زياد الغزالي

ليلة سقوط المنطقة الخضراء

تكشف الرواية عن اللحظات الحرجة التي سبقت سقوط النظام العراقي وتفاصيل ليلة انهياره، لتعلن نهاية عهد وبداية آخر ، معتمدة على سرد مثير يشدّ الأنفاس .

ليلة سقوط المنطقة الخضراء

تأليف

زياد الغزالي

القسم الأول

تمهيد

في قلب بغداد القديمة، حيث تتشابك الأزقة كشبكة عنكبوت ضاربة في القدم، كان ضوء الفجر يتسلل بخجل عبر النوافذ المتكسرة، وكأنما يهمس بأسرار الليل المنصرم. كانت المدينة تستيقظ ببطء، وحفيف المآذن ينساب عبر الشوارع، يداعب أرواح النائمين بوعود يوم جديد. زياد، شاب نحيل كالغصن، يتجول بين الأزقة بوجهه المرهق وشعره الأسود الذي يتدلى كسياط من الحرمان. كان يخطو بحذر، وكأن كل خطوة هي تحدٍ للصمود في وجه الرياح العاتية.

زياد، الذي لم يعرف من الحياة سوى الكد والكدح، يسير بخطى متثاقلة نحو سوق الخضار. كان يحمل في جيبه القليل من الدراهم، تشهد على ليال طويلة من الشقاء والعمل المضني. كل درهم كان يكاد يئن تحت وطأة الأمل المعلق برقاب الفَقراء.

السوق، قلب الحياة النابض في بغداد، كان يعج بالأصوات والروائح. رائحة الخضروات الطازجة تختلط بروائح البهارات النفاذة، مكونة سيمفونية عطرية تأخذك إلى عوالم من الحلم والحنين. الباعة ينادون بأصواتهم المتداخلة، كل منهم يعرض بضاعته وكأنما يقدم قصيدة على مسرح الحياة.

زياد وقف أمام أحد الباعة، يتفاوض بصوت خافت، محاولاً أن يحصل على ما يكفي لإطعام أسرته لليوم. كان البائع يتفحصه بعينين حذرتين، يشتم في زياد رائحة الفقر والكفاح. لكن المفاوضات قُطعت فجأة، حينما اقترب منه رجل ضخم الجثة، كالجبل الذي لا يهتز.

الرجل الضخم، بملابسه الأنيقة التي تلمع كالذهب في ضوء الصباح، نظر إلى زياد بنظرة ازدراء. كانت عيناه تتحدثان بلغة لا تعرف الرحمة، لغة من تعود على الدوس على رقاب الآخرين للوصول إلى القمة.

الرجل الضخم (بصوت متعجرف): "ابتعد أيها الشحاذ، لا أريد أن يلوث أحد مثلك مكاني. الناس أمثالك يجب أن يتعلموا مكانهم".

حاول زياد تجاهل الرجل واستكمال حديثه مع البائع ، لكن الرجل الضخم لم يتركه وشأنه . بدأ بدفعه بقوة ، وكأنما يريد أن يمحو وجوده من السوق . سقط زياد على الأرض ، متدحرجًا في الطين والأوساخ ، جمع نقوده القليلة بيدين مرتعشتين ، ودموعه تنهمر على وجنتيه كأنهار من الألم .

بينما وقف زياد بصعوبة، والدموع تغمر عينيه، شعر بالإذلال والإهانة تحت نظرات اللامبالاة من المارة. كان الناس يمرون بجانبه وكأنه جزء من المشهد اليومي ، جزء من لوحة البؤس التي اعتادوا عليها .

اقتربت منه امرأة مسنة ، بوجهها المليء بالتجاعيد التي تروي قصصًا من الصبر والتحمل . وضعت يدها على كتفه بحنان ، وكأنها تسكب في قلبه بعض الأمل المفقود .

المرأة المسنة (بصوت دافئ) : "لا تقلق يا بني ، الفرج قريب بإذن الله" .

في تلك اللحظة ، ولدت في قلب زياد شعلة جديدة من العزيمة . أدرك أن عليه أن يفعل شيئًا لتغيير هذا الواقع المرير ، ليس فقط لأجل نفسه ، بل لأجل جميع من يعانون في هذا الوطن الممزق . قرر أن يكون صوت المظلومين ، أن يقودهم نحو التغيير . تلك اللحظة كانت نقطة تحول في حياته ، حيث بدأ يفكر بجدية في خطواته القادمة .

زياد (محدثًا نفسه بفكر متأمل ومليء بالغضب) : "لماذا يجب أن أتحمل كل هذا الظلم والإذلال؟ لماذا يجب أن أعيش في هذا البؤس بينما يعيش هؤلاء في ترف؟ لقد تعبنا من الوعود الفارغة والإصلاحات الكاذبة . كيف يمكن أن يستمر هذا الظلم؟ سأكون صوت المظلومين ، سأقودهم نحو التغيير . لن أترك هذا النظام الفاسد يستمر في قمعنا" .

كان زياد يشعر بأن قلبه ينبض بقوة جديدة، قوة تشبه الأمواج العاتية التي لا تعرف الاستسلام . عاد إلى منزله المتواضع ، حيث جلس في زاوية الغرفة المظلمة يبكي بكاءً مريرًا . لكن دموعه هذه المرة لم تكن دموع يأس ، بل كانت دموع الغضب والتحول . أدرك أن عليه أن يتحرك ، أن يكون هو الشرارة التي ستشعل الثورة في قلوب الناس .

بينما كان يجلس في غرفته ، تذكر قصص الأبطال القدامى ، الذين وقفوا في وجه الطغاة وكتبوا أسماءهم في صفحات التاريخ . تذكر جلجامش ، الملك الذي سعى لتحقيق الخلود ، وتذكر إنكيدو ، الصديق الذي ضحى بنفسه من أجل العدالة . شعر زياد بأنه يجب أن يسير على خطاهم ، أن يكون الفارس الذي يحلم الناس به .

زياد (بإصرار): "سأكون الفارس الذي يحتاجه الشعب. سأكون الأيقونة التي تلهم الجميع للوقوف في وجه الظلم".

بهذه الفكرة التي تشتعل في ذهنه، بدأ زياد يخطط لخطواته القادمة. كان يعلم أن الطريق سيكون طويلا ومليئًا بالتحديات، لكنه كان مصممًا على تحقيق التغيير. كانت روحه تشتعل بحماسة جديدة، حماسة الفارس الذي يعرف أن النصر يتطلب التضحية.

زياد (بفكر متجدد): "لن أستسلم. سأظل أناضل من أجل الحرية والعدالة، حتى لو كان الطريق صعبًا. سأكون صوت المظلومين ويدهم التي تحمل السلاح في وجه الظلم".

في تلك الليلة، بينما كان يجلس في غرفته المظلمة، بدأ يخطط لخطوته القادمة. كان يعلم أن الطريق سيكون صعبًا ومليئًا بالتحديات، ولكنه كان مصممًا على تغيير هذا الواقع المرير. فكر في كل من تعرض للظلم مثله، وفي كل من يعيشون في بؤس مثله. قرر أن يحمل همومهم ويكون قائدهم. هكذا بدأت تتبلور في ذهنه فكرة الثورة، فكرة الانتفاض ضد الظلم والطغيان، ليصبح زياد الثائر رمزًا للتغيير القادم.

بهذا القرار، بدأ زياد رحلة جديدة، رحلة الفارس الذي لا يعرف الهزيمة. كان يعلم أن عليه أن يكون قويًا، أن يكون حكيمًا، وأن يكون مستعدًا لمواجهة كل الصعاب. كان يعلم أن النصر يتطلب التضحية، وأن الحرية ليست هبة تمنح، بل حق يُنتزع بالقوة والإرادة...

المحاولة الأولى: توزيع المنشورات

في إحدى ليالي بغداد الحالكة، حيث تتعانق أضواء الشوارع الخافتة مع الظلال، كان زياد يتسلل بخفة بين الأزقة الضيقة. كانت الأزقة ضيقة، تعج بالقمامة والقطط الضالة، والبيوت المتهالكة تحكي قصصاً من البؤس والمعاناة. صوت وقع خطواته بالكاد يُسمع، وهو يحافظ على هدوء حركته بحذر، كالفأر الذي يخشى أن يسمعه صياد متربص. في حقيبته الجلدية القديمة، كانت مئات من المنشورات المتهدلة تحت وطأة الأمل، تحمل دعوة للحرية والعدالة.

زياد (بهمس داخلي" :(هذه الليلة ستكون البداية. الكلمة أقوى من السيف، وستصل إلى كل بيت".

وصل زياد إلى جدار مهترئ، أضاءه ضوء الشارع بلون أصفر باهت. بدأ بلصق المنشورات واحدة تلو الأخرى، ويداه ترتجفان بجرعة من الخوف والتصميم. شعر زياد بقطرات العرق تتساقط من جبينه، رغم برودة الليل، وكانت يداه ترتجفان ليس فقط من الخوف، ولكن من الثقل العاطفي لما يفعله. كانت الكلمات المطبوعة تصرخ في وجه الظلام: "لن نكون عبيداً بعد اليوم. حان الوقت لنرفع أصواتنا ضد الظلم".

كل منشور كان يشبه ورقة شجر في غابة مظلمة، تحمل رسالة الأمل لكل من يراها. بينما كان يلصق آخر منشور، سمع صوت خطوات ثقيلة تقترب. تجمدت أنفاسه في صدره، وتوترت عضلاته كما لو كانت تتهيأ للهرب. لكنه تمالك نفسه، محاولاً التصرف كأنه مجرد عابر سبيل.

الشرطي بصوت قاسٍ" :ماذا تفعل هنا في هذا الوقت المتأخر؟"

زياد (بتوتر" :أنا فقط أمشي، لا شيء أكثر".

لم يكن الشرطي مقتنعًا، فاقترب ونظر إلى المنشورات المعلقة. عينا الشرطي ضيقتا من الشك، ثم مزق المنشور بغضب.

الشرطي (بغضب" :أتعلم أن هذه الورقات قد تجلب عليك الويلات؟ اذهب إلى بيتك وابقى بعيداً عن هذه الأمور".

زياد (بتصميم مكتوم" :ورقة واحدة قد تكون أقوى من جيش كامل، عندما تحمل الحق".

ابتلع زياد خوفه وألمه، وعاد إلى منزله الصغير بخطوات مثقلة باليأس. عند وصوله، جلس في زاوية الغرفة المظلمة، يفكر في ما حدث. كانت عيناه تملؤهما دموع لم تنهمر، وكلماته تئن داخل صدره.

زياد (بحزن داخلي" :)هل يمكن لكلمة على ورق أن تغير شيئًا؟ هل يعقل أن يكون هذا هو مصير أحلامنا؟"

في صباح اليوم التالي، استيقظ على صوت الناس يتحدثون في الشوارع. خرج ليرى المنشورات ممزقة وملقاة على الأرض، كما لو أنها لم تكن يومًا. حينما رأى الأوراق ممزقة، عاد إليه شبح الفشل، تذكر وجوه أحبائه الذين فقدهم، وصوت أمّه وهي تحثّه على عدم الاستسلام. لكن تلك الكلمات تحولت إلى وميض أمل يضيء قلبه المثقل. جمعها بيديه المرتعشتين، وشعر بثقل الإحباط يسحق قلبه.

زياد (بتصميم متجدد" :)ربما تمزقت الورق، لكن الفكرة لا تموت. سأجد طريقة أخرى، سأستمر".

بينما كان يجمع القصاصات المتناثرة، اقترب منه رجل مسن بوجهه المليء بالتجاعيد، التي تروي قصص حياة مليئة بالمعاناة. نظر إلى زياد بحنان، وقال بصوت دافئ:

الرجل المسن" : لا تيأس يا بني، البداية دائمًا صعبة. الكلمة تزرع بذور الأمل، حتى لو لم ترَ الثمار الآن".

ابتسم زياد رغم دموعه، وشعر ببعض الأمل يعود إلى قلبه. أدرك أن الطريق طويل وشاق، لكن يجب أن يستمر. عاد إلى منزله وأخذ يفكر في الخطوة التالية، وفي قلبه شعلة صغيرة من الأمل لم تنطفئ بعد.

زياد (بإصرار داخلي)" : حتى لو تحطمت الكلمات على أسوار القمع، فإن صداها يستمر في العقول والقلوب، ويزرع بذور التغيير في أعماقها. إذا كان الورق لا يكفي، فسأبحث عن طرق أخرى. يجب أن نجد صوتنا، ونجعل العالم يسمعنا".

المحاولة الثانية : الاجتماعات السرية

في قلب بغداد، تحت ستار الليل الأسود، كان زياد يتنقل بحذر بين الأزقة الضيقة، متجهاً إلى منزل أحد أصدقائه. كانت الاجتماعات السرية تُعقد في غرف مظلمة، مضاءة فقط بشموع صغيرة ترتعش ألسنتها كأنها تخشى الظلام الذي يحيط بها. كان الحذر عنوان كل لقاء، وكان زياد يعرف أن أي خطوة خاطئة قد تكون نهايتهم.

زياد (بهمس حماسي): "علينا أن نكون حذرين، ولكن لا يجب أن نتوقف. الحرية تستحق كل مخاطرة".

تجمع الناشطون حول طاولة خشبية قديمة، وجوههم تكسوها ظلال الشموع المتراقصة. كانت العيون تلمع بالحماس والخوف في آن واحد. زياد، بنبرة هادئة وقوية، بدأ يتحدث عن الخطط والاستراتيجيات، محاولا إشعال روح العزيمة فيهم.

زياد: "يجب أن نضع خطة محكمة لجذب المزيد من الناس إلى حركتنا. علينا أن نكون أذكياء في تنظيم احتجاجاتنا وتوزيع منشوراتنا".

ناشط آخر (بصوت هادئ): "ماذا لو استخدمنا مواقع التواصل الاجتماعي للتواصل بشكل أكثر سرية؟ يمكننا إنشاء مجموعات مغلقة ونشر الوعي هناك".

زياد (بتفكير عميق): "فكرة جيدة، لكن يجب أن نكون حذرين. النظام يراقب كل شيء".

كانت النقاشات تدور في جو مشحون بالتوتر، والخوف من اكتشافهم يخيم كظل ثقيل على قلوبهم. كل نقرة على الباب كانت تجعلهم يقفزون من أماكنهم، وكل صوت خارج النافذة كان ينذرهم بالخطر.

في إحدى الليالي، بينما كانوا مجتمعين في منزل أحد الأصدقاء، سمعوا أصواتًا مرتفعة تقترب. خطوات الشرطة الثقيلة كانت تقترب بسرعة، وأصواتهم القاسية تتردد في الأزقة.

الشرطي (بصوت قاسٍ): "افتحوا الباب! هذه مداهمة"!

تحول وجه زياد إلى شاحب، وبدأت القلوب تخفق بسرعة. كان الهروب مستحيلاً، فالباب الخلفي كان مغلقًا بإحكام. اقتحمت الشرطة المنزل وبدأت في اعتقال الناشطين واحداً تلو الآخر، دون رحمة أو تفهم.

زياد (متحدثًا إلى نفسه، بخيبة أمل): "كل خطوة نتخذها يقابلها رد فعل عنيف. كيف يمكننا الاستمرار هكذا؟"

كانت تلك الليلة بمثابة ضربة قاسية لحركة زياد، حيث تم اعتقال العديد من أصدقائه. أصبح الجو أكثر توترًا وخطورة، والخوف بدأ يتسلل إلى قلوب الجميع.

في اليوم التالي، اجتمع ما تبقى من الناشطين في مكان آخر، وكانت الخيبة تملأ أعينهم. أحد الناشطين، الذي كان معروفًا بشجاعته، بدأ يشعر بالخوف على حياته وحياة أسرته.

الناشط السياسي (بصوت مرتجف): "لا أستطيع المخاطرة بحياتي وحياة أسرتي. هذا الجنون يجب أن يتوقف".

حاول زياد التمسك ببقايا الأمل، لكنه شعر بوزن اليأس يضغط على صدره. كان يعلم أن الطريق إلى الحرية مليء بالعقبات، لكنه لم يكن يتوقع أن يكون بهذه القسوة.

زياد (بإصرار متجدد): "قد نخسر بعض المعارك، لكن الحرب لم تنته بعد. يجب أن نجد طريقة أخرى. لا يمكننا الاستسلام الآن".

نظر إلى رفاقه المتبقين، ورأى في أعينهم بريقًا خافتًا من الأمل، وقرر أن يستمر في النضال مهما كانت التحديات. كانت تلك الليلة بداية لمرحلة جديدة من المقاومة، حيث أدركوا أن التغيير الحقيقي يتطلب تضحيات أكبر وشجاعة لا تتزعزع.

المحاولة الثالثة: التوعية عبر الصحف المحلية

في ليل هادئ، جلس زياد على طاولته المتواضعة، وأمامه أوراق بيضاء وحبر أسود. في قلبه تشتعلُ نار التغيير، وفي عقله تدور أفكار عن الحرية والعدالة. قرر أن ينقل تلك النار إلى الحروف، ليجعل من كلماته سيفًا يقطع به حبال الظلم والطغيان.

زياد (بصوت ملهم): "سأكتب اليوم ما لم يُكتب من قبل. سأجعل كلماتي تثير النفوس، وتحيي الأمل في القلوب".

بدأ زياد يخط بمشاعره قبل قلمه، يكتب عن تاريخ الأمة، عن أبطالها الذين لم يخضعوا للظلم، عن القيم التي تربت عليها الأجيال. كان يكتب وكأنه ينحت في الصخر، كل كلمة تحمل في طياتها صرخة تحدٍ، وكل جملة تضيء كالبرق في ليلة مظلمة.

زياد (يكتب بحماسة): "يا أبناء بغداد، يا أبناء الحضارة والتاريخ، لنكن كما كان أسلافنا، أعمدة للحق وقلاعًا للعدل. لا تدعوا الظلم يكمم أفواهكم، ولا اليأس يسكن قلوبكم. إننا اليوم في مفترق الطرق، فإما حياة كريمة تليق بنا، وإما موت بشرف".

عندما انتهى من كتابته، قرأ المقالة مرات ومرات، وكأنه يستمد منها القوة والعزيمة. ثم وضعها في مغلف، وذهب بنفسه إلى الصحف المحلية، ليبعث بها إلى المحررين.

المقالة كما نشرت في الجريدة

عنوان المقالة: "نحو فجر جديد: دعوة للحرية والعدالة"

يا أبناء بغداد، يا أبناء الحضارة والتاريخ، لنكن كما كان أسلافنا، أعمدة للحق وقلاعًا للعدل. لا تدعوا الظلم يكمم أفواهكم، ولا اليأس يسكن قلوبكم. إننا اليوم في مفترق الطرق، فإما حياة كريمة تليق بنا، وإما موت بشرف.

لقد حان الوقت لنرفع أصواتنا ونطالب بحقوقنا. لن نكون عبيداً بعد اليوم. حان الوقت لنقول لا للظلم، لا للقهر، لا للفساد. نحن أبناء هذه الأرض الطيبة، ولنا الحق في العيش بحرية وكرامة.

لقد تعلمنا من تاريخنا أن الكلمة أقوى من السيف، وأن الحق يعلو ولا يعلى عليه. فلنكن كما كان أجدادنا، نضحي بالغالي والنفيس من أجل الحرية. فلنكن كالنخيل، جذورنا في الأرض، وأغصاننا تلامس السماء.

إننا اليوم مطالبون بأن نقف صفًا واحدًا، قلبًا واحدًا، روحًا واحدة. إننا اليوم مطالبون بأن نكون صوتًا للحق، يدًا تبني وتعمر، وعينًا تحرس وتصون. فلنكن كما نحن دائمًا، أبناء بغداد العظيمة، أبطال الحرية والعدل.

إننا نرى اليوم بأعيننا كيف يُذل الإنسان في وطنه، وكيف يُقهر الشعب بصمت. متى سنفيق من سباتنا؟ متى سنكسر قيود الخوف ونتحرك؟ علينا أن نكون أشجع من جدران الصمت المحيطة بنا، وأن نواجه الظلم بقلوب لا تعرف الانكسار.

بعد أن نشرت الصحيفة مقالته الأولى، شعر زياد ببعض الأمل. ولكنه لم يكن يعلم أن هذا الأمل سيكون قصير الأجل. بدأ في كتابة مقالات أخرى، يملأها بالحماس والدعوة إلى التغيير. كان يكتب بانتظام، ويرسل مقالاته إلى الصحف المحلية، محاولا إشعال روح الثورة في قلوب الناس.

ولكن سرعان ما بدأت الضغوط من السلطات تنهال على تلك الصحف، لتحجب صوت زياد وتمنع كلماته من الوصول إلى الناس. بعض الصحف توقفت عن نشر مقالاته تمامًا، وأخرى بدأت تقتصر على نشر أجزاء صغيرة منها بعد حذف الأجزاء الحماسية.

مع مرور الوقت، لاحظ زياد أن مقالاته لم تعد تجذب الناس كما كان يأمل. رأى عزوف القراء عن مقالاته، وكأن كلماته تتلاشى بين زخم الأخبار اليومية. الناس كانوا مشغولين بمشاكلهم اليومية، ولم يكن لديهم الوقت أو الرغبة في قراءة المقالات الطويلة التي تدعو للتغيير.

زياد (بحزن): "الكلمات تبدو بلا قوة. الحبر لا يغير الواقع".

كان يشعر بأن جهوده تذهب سدى، وأن الحلم بالتغيير يتبدد كسراب في صحراء القمع. في إحدى الصحف، نشر أحد القراء ردًا على مقالات زياد، يسخر فيها من محاولاته ويستخف بها.

القارئ المجهول (بكلمات حادة): "الأحلام الكبيرة تحتاج لأفعال، وليس فقط كلمات على الورق. الثورة لا تصنع بالأحبار".

كانت تلك الكلمات كطعنة في قلب زياد، لكنه لم يستسلم. جلس مرة أخرى إلى طاولته، وكتب ردًا على ذلك القارئ المجهول، يوضح فيه رؤيته ويحث الناس على الاستمرار في النضال.

زياد (يكتب بعزم): "ربما تكون الكلمة ضعيفة بمفردها، لكنها تصير قوية عندما تتحد مع الفعل. الحبر قد لا يغير الواقع فوراً، لكنه يزرع بذور التغيير في العقول والقلوب. إننا لن نتوقف، ولن نصمت، حتى يتحقق العدل وينتصر الحق".

قرأ زياد كلماته الأخيرة، وشعر بأنها تحمل قوة أكبر من أي سلاح. كان يعلم أن الطريق طويل، لكن الأمل كان ينمو في قلبه كما تنمو الزهور بين الصخور.

المحاولة الرابعة: المظاهرات الصغيرة

في قلب بغداد، حيث الأزقة تعج بحكايات الماضي والحاضر، بدأ زياد بتنظيم تجمعات صغيرة في الأحياء المختلفة. كانت خطته تهدف إلى إشعال فتيل الوعي والاحتجاج بين الناس، لكنه كان يعلم أن الخوف قد تسلل إلى قلوبهم كأسراب من الغربان.

زياد (بصوت حماسي): "يجب أن نخرج إلى الشوارع. لن تُسمع أصواتنا ونحن في بيوتنا. الشارع هو ميدان التغيير".

كانت الدعوة للمظاهرات تُنقل سراً، مثل همسات الرياح بين الأشجار. استخدم زياد رسائل مكتوبة بخط اليد، تحمل دعوة للاحتجاج في أماكن وأوقات محددة. كان يمررها من شخص لآخر، وكل واحد منهم كان يحفظ السر كما يحفظ جوهرة ثمينة.

زياد (بهمس داخلي): "علينا أن نتحرك بخفة الفراشات، وأن نكون حذرين مثل القطط في الليل".

في إحدى الليالي، تجمع عدد قليل من الناس في أحد الأزقة الضيقة، وجوههم مغطاة بالكمامات وقلوبهم مليئة بالرهبة. كانوا مثل براعم صغيرة تنمو في ظل جدار عالٍ، يحجب عنها الشمس لكنها تتشبث بالحياة.

زياد (بصوت ملهم): "لقد حان الوقت ليرى الناس أننا لسنا خائفين. نحن هنا لنطالب بحقوقنا. يجب أن يروا أن هناك من يجرؤ على الوقوف في وجه الظلم".

كانت الكلمات تخرج من فمه كأنها لهيب يشعل نار الحماسة في القلوب المترددة. رفع الجميع لافتات صغيرة كتبوا عليها شعارات تنادي بالحرية والعدالة، وكانت أعينهم تلمع بالتصميم رغم الخوف.

بدأت المظاهرة تتحرك ببطء، مثل نهر صغير يشق طريقه بين الصخور. عدد قليل من الناس كانوا يسيرون بخطى حذرة، وأصواتهم ترتفع بالهتافات التي تملأ الأزقة بصدى الأمل. لكن تلك الأصوات لم تكن لتدوم طويلاً.

فجأة، انطلقت صفارات الشرطة كالعواصف الرعدية، وجاءت القوات كأمواج عاتية، تفرق الجموع بسرعة وقسوة. كانت العصي والهراوات تلوح في الهواء، وبدأ الناس يركضون كغزلان مذعورة، يحاولون الفرار من قسوة القمع.

زياد (بخيبة أمل): "حتى عندما نخرج للشوارع، نواجه بالقمع والتفريق".

بعد المظاهرة، اجتمع الناجون في مكان آمن، وجوههم كانت تحمل آثار الرعب والتعب. جلسوا في دائرة، كل منهم يحمل في قلبه شعلة صغيرة من الأمل لكنها تتلاشى ببطء.

المشارك (بصوت متهدج): "لا أحد يريد المخاطرة. الناس خائفون، ونحن قلة لا نغير شيئًا".

كانت كلمات المشارك تخرج من فمه كأنها رياح باردة، تحمل معها مشاعر الإحباط واليأس. شعر زياد بأن كل جهد بذله وكل خطر واجهه كان بلا فائدة. كان كمن يحاول أن يزرع بذوراً في صحراء قاحلة.

زياد (بهمس داخلي): "هل يمكن للتغيير أن يحدث؟ هل يمكن أن يتحول هذا الليل الطويل إلى فجر جديد؟"

جلس زياد يتأمل في وجوه رفاقه، يرى في عيونهم الخوف والتردد، ويشعر بأن الحلم الذي يسعى إليه يتلاشى كسراب. كان يعرف أن التغيير يتطلب التضحية والشجاعة، لكنه لم يكن يتوقع أن يكون الطريق مملوءًا بهذا القدر من العقبات.

زياد (بصوت داخلي مكسور): "لقد جربنا كل شيء. الكتابة، الاجتماعات السرية، والآن المظاهرات. كل خطوة نخطها تقابل بالقمع، وكل صوت يرتفع يواجه بالصمت. كيف يمكننا أن نستمر في هذا الظلام؟"

كان يشعر بأن العالم ينهار من حوله، وأن القلوب التي حاول أن يشعل فيها الأمل قد أُطفئت بيد الواقع القاسي. لكنه لم يكن يعرف ماذا يفعل. هل يستمر في النضال رغم كل شيء؟ أم يستسلم لليأس ويعود لحياته السابقة؟

زياد (بتصميم متجدد): "لا يمكنني التراجع الآن. الطريق طويل وشاق، لكن الحرية تستحق كل هذا الألم. يجب أن نجد طريقة أخرى. يجب أن نواصل النضال".

بعد تفريق المظاهرة، كانت الأزقة مملوءة بالصمت الموحش، كأنها تعيش لحظات حداد على حلم ضائع. عاد زياد إلى منزله بخطى مثقلة، وكأن الأرض تسحب قدميه نحو الأسفل. جلس في غرفته المظلمة، وبدأ يراجع أحداث اليوم في عقله.

كان يشعر بأن كل خطوة أخذها، وكل كلمة نطق بها، كانت تذهب أدراج الرياح. كأنه يحارب طواحين الهواء، بلا جدوى وبلا نهاية. لكنه كان يعرف في أعماقه أن الاستسلام ليس خياراً.

زياد (بهمس داخلي): "إذا كانت الكلمة لا تكفي، وإذا كان الحبر لا يغير الواقع، فربما يكون علينا أن نجد سبيلاً آخر. ربما يكون الأمل في التكنولوجيا، في شيء لا يمكن للنظام أن يقمعه بسهولة".

استلقى زياد على سريره، وأخذ يتأمل في السقف المظلم. كانت أفكاره تتقافز بين اليأس والأمل، بين الرغبة في التغيير والخوف من الفشل. لكنه كان يعرف في أعماقه أن هذا النضال هو حياته، وأنه لا يمكنه التراجع الآن.

زياد (بإصرار داخلي): "سأستمر. مهما كان الثمن، مهما كانت العقبات. يجب أن نستمر في النضال حتى نرى الفجر، حتى يتحقق الحلم".

المحاولة الخامسة: الدعوة للاعتصامات

في ظهيرة يوم مشمس، حيث كانت شوارع بغداد تموج بالحركة، وقع حادث أشعل فتيل الغضب في قلوب الناس. كان أحد المواطنين العاديين، وهو بائع متجول، يتعرض للإهانة والضرب على يد شرطي أمام أعين المارة. المشهد كان كافياً لإشعال شرارة الغضب التي كانت تشتعل ببطء في صدور الناس.

المواطن (بصوت مرتعش): "أرجوك، أنا لا أملك شيئاً. لماذا تسيئون معاملتي؟"

الشرطي (بصوت قاسٍ): "أنت لست سوى بائس يتسبب في الفوضى. ارحل من هنا فوراً"!

كان زياد يشهد هذا الحادث، وتملأه مشاعر الغضب والظلم. رأى في أعين الناس حوله شرارات من الغضب المكبوت، وقرر أن يستغل هذا الوضع للدعوة إلى اعتصام كبير في الساحة العامة. كان يعرف أن الوقت قد حان لتحويل هذا الغضب إلى قوة دافعة للتغيير.

زياد (بصوت قوي): "يا أهل بغداد، انظروا إلى ما يحدث لأبسط حقوقنا. يجب أن نقف معاً ضد هذا الظلم. دعونا نعتصم في الساحة العامة، لنجعل أصواتنا تُسمع".

بدأ زياد بنشر الدعوة للاعتصام عبر مختلف الأحياء. استخدم وسائل التواصل الاجتماعي والرسائل النصية، وحث الناس على التجمع في الساحة العامة والبقاء حتى تتحقق مطالبهم. كانت الرسائل تملأ الشوارع والأزقة، وكأنها شرايين تحمل دماء الثورة.

زياد (بصوت داخلي ملهم): "يجب أن نكون على أهبة الاستعداد. الاعتصام هو صوتنا، والشارع هو ميداننا".

تجمع الناس في الساحة العامة، وجوههم تملؤها الحماسة والتحدي. كانوا يرفعون لافتات تحمل شعارات العدالة والحرية، وكانت الهتافات تتصاعد كأنها نداءات من أعماق القلوب. بدأ الاعتصام بشكل سلمي، وكان الأمل يشع في أعين الجميع.

زياد (بصوت ملهم): "لن نرحل حتى تتحقق مطالبنا. نحن هنا لنبقى، ولن يخيفنا القمع".

ولكن سرعان ما جاءت قوات الأمن لتفريق الجموع. كانت الشرطة مدعومة بميليشيات غير رسمية، وجوههم مغطاة وأسلحتهم جاهزة للاستخدام. الهراوات تتلوح في الهواء، والغاز المسيل للدموع ينشر سحابة خانقة.

بدأت القوات الأمنية والميليشيات في استخدام العنف لتفريق المعتصمين. كانت الصرخات تتعالى، والدموع تختلط بالعرق في وجوه الناس. المعتصمون كانوا يُعتقلون أو يُطردون بوحشية، والاعتصام ينتهي بفشل مرير.

زياد (بإصرار يتضاءل): "كم من الوقت سنظل نُسحق تحت أقدام الطغاة؟"

بعد إحدى الاعتصامات الفاشلة، جلس زياد مع مجموعة من المعتقلين السابقين في أحد المنازل السرية. كان الجو مفعمًا بالتوتر والمرارة، وكانت أعينهم تعكس الخذلان واليأس.

المعتقل السابق (بابتسامة مريرة): "الاعتصامات أصبحت مجرد لعبة للقمع، يراقبوننا كالفئران في مصيدة".

كانت كلمات المعتقل السابق تحمل في طياتها مرارة الواقع. كانوا يشعرون بأن كل جهد يبذلونه يتبدد أمام قسوة النظام وأدواته القمعية. كان زياد يرى في وجوههم شبح الخذلان، ويشعر بأن كل حلم بالتغيير يتلاشى كالدخان في الهواء.

لم يكن التحدي في مواجهة الشرطة وحدها، بل كانت الميليشيات غير الرسمية تزيد من تعقيد المشهد. تلك الميليشيات كانت تمثل يد النظام الحديدية، التي تضرب بلا هوادة وتخيف الناس بأساليبها الوحشية. كانوا يظهرون فجأة في الساحات، بوجوه مقنعة وأسلحة جاهزة للاستخدام، يزرعون الخوف في القلوب ويعكرون صفو الاعتصامات.

زياد (بهمس داخلي): "كيف يمكننا مواجهة هذا الظلم المركب؟ الشرطة والميليشيات معًا؟"

كانت الميليشيات تتصرف بوحشية لا تعرف الرحمة، تضرب وتعتقل دون تمييز. كانوا يمثلون قوة غاشمة، لا تهتم بالقانون ولا بحقوق الإنسان. كان المعتصمون يشعرون بأنهم في مواجهة جدار من الحديد والنار، وأن كل خطوة يتخذونها تواجه بعاصفة من العنف.

مع مرور الوقت، بدأ الناس يفقدون الثقة في جدوى الاعتصامات. كانوا يرون أن كل جهد يبذلونه يواجه بالقمع والتفريق، وأن الخوف يتسلل إلى قلوبهم كما يتسلل الليل إلى النهار. كان زياد يشعر بأن حلم الحرية يتحول إلى كابوس من الخذلان واليأس.

زياد (بصوت داخلي مكسور): "هل يمكن للتغيير أن يحدث؟ هل يمكن أن يتحول هذا الليل الطويل إلى فجر جديد؟"

كان يشعر بأن العالم ينهار من حوله، وأن القلوب التي حاول أن يشعل فيها الأمل قد أُطفئت بيد الواقع القاسي. لكنه لم يكن يعرف ماذا يفعل. هل يستمر في النضال رغم كل شيء؟ أم يستسلم لليأس ويعود لحياته السابقة؟

بعد تفريق أحد الاعتصامات، كانت الأزقة مملوءة بالصمت الموحش، كأنها تعيش لحظات حداد على حلم ضائع. عاد زياد إلى منزله بخطى مثقلة، وكأن الأرض تسحب قدميه نحو الأسفل. جلس في غرفته المظلمة، وبدأ يراجع أحداث اليوم في عقله..

زياد (بهمس داخلي): "إذا كانت الكلمة لا تكفي، وإذا كان الحبر لا يغير الواقع، فربما يكون علينا أن نجد سبيلاً آخر. ربما يكون الأمل في التكنولوجيا، في شيء لا يمكن للنظام أن يقمعه بسهولة".

المحاولة السادسة: الانضمام لحزب متطرف

في لحظة يأس عميق، عندما كانت قلوب الأمل تتساقط كأوراق الخريف، وجد زياد نفسه يبحث عن مخرج آخر، عن وسيلة أخرى للتغيير. كانت الأيام الأخيرة قد أثقلت كاهله بالإحباطات، والخيبات المتكررة أصبحت مثل سلاسل تقيده. في تلك اللحظة، تواصل زياد مع حزب متطرف كان يتردد عنه أنه يمتلك القوة لتحقيق التغيير بالعنف.

زياد (بصوت داخلي مضطرب): "ربما تكون القوة هي الحل. ربما يكون العنف هو الطريق الوحيد المتبقي".

بدأ زياد يحضر اجتماعات سرية للحزب، كانت تُعقد في أماكن مظلمة، تحت ضوء الشموع الخافتة التي كانت تتراقص ظلالها على الوجوه المجهولة. كان يشعر وكأنه يدخل عالمًا آخر، عالمًا مليئًا بالغضب والكراهية.

زياد (بتردد داخلي): "هل يمكن لهذا المكان أن يكون مصدر التغيير؟ هل يمكن للعنف أن يجلب السلام؟"

في الاجتماعات، كانت الأحاديث تدور حول القتل والتدمير، حول استخدام القوة لتحقيق الأهداف. كان يشعر بارتجاف قلبه في كل مرة يسمع فيها تلك الكلمات، وكان يرى في أعين

الحاضرين بريق الجنون. كانت كلماتهم كالنار التي تحرق الضمير، تتسلل إلى عقله وتحاول إقناعه بأن العنف هو الحل الوحيد.

عضو الحزب (بصوت حاد): "القوة هي السبيل الوحيد لتحقيق التغيير. الكلمات لن تغير شيئًا، علينا أن نحمل السلاح ونقاتل".

كان زياد يجلس بصمت، يشعر بثقل الكلمات كالسيوف التي تمزق أحشاء روحه. كان يسمع دقات قلبه تتسارع، ويشعر بأن كل خلية في جسده ترفض ما يسمعه.

زياد (بهمس داخلي): "هل يمكن للعنف أن يجلب العدالة؟ هل يمكن للسيف أن يبني مجتمعًا أفضل؟"

كانت مشاعر التردد تملأ قلبه، وكان يشعر بأنه ينجرف نحو هاوية لا يرى لها قاعًا. كان كل اجتماع يحضره يزيد من شعوره بالغربة، وكأن روحه ترفض هذا الطريق المظلم.

في إحدى الليالي، وبعد اجتماع مليء بالحديث عن عمليات تفجير وقتل، جلس زياد في زاوية الغرفة، يفكر بعمق في ما سمعه. كانت الأفكار تتصارع في عقله، وكان قلبه ينزف من الألم.

خلال أحد الاجتماعات، قدم زعيم الحزب تفاصيل عن عملية مقبلة تتضمن تفجير مبنى حكومي مهم، يقع في حي مزدحم بالسكان. رأى زياد بأم عينيه صور الأطفال والأسر التي قد تتأذى. تلك الصور علقت في ذهنه ككابوس لا ينتهي، وأدرك بعمق أن هذا الطريق لن يؤدي إلا إلى المزيد من الدمار.

زياد (بصوت داخلي مكسور): "لا يمكن لهذا أن يكون طريقنا. لا يمكننا أن نبني مستقبلا على دماء الأبرياء".

في طريق عودته إلى بغداد، وأثناء تجوله في حيّه القديم، التقى زياد بأستاذه القديم، الأستاذ عمر، الذي كان يعيش في نفس الحي. كان الأستاذ عمر قدوة لزياد في شبابه، ورجلا حكيمًا يؤمن بالسلام والتغيير من الداخل.

عمر (بصوت حزين): "زياد، ما الذي أراه في عينيك؟ هل تخطط للانضمام لهؤلاء الناس؟"

زياد (بتردد): "لا أعرف يا أستاذ عمر. كل الأبواب تبدو مغلقة".

عمر (بصوت مليء بالعزم): "العنف ليس الحل. تذكر تلك الأيام التي كنا نحلم فيها بتغيير العالم بالكلمات والأفكار. لا تدع اليأس يقودك إلى طريق مظلم".

أخذ زياد يتجول في الحي الذي يعيش فيه، ورأى بأم عينيه عواقب أفعال الحزب. رأى أسراً فقدت أحباءها، وأطفالا بلا مأوى. كانت تلك الصور كالشمس التي لا تشرق في قلبه، ملأت روحه باليأس والندم.

زياد (بصوت مرتجف): "العنف يولد العنف. هذا ليس الطريق الذي أؤمن به. لا يمكن للدم

في تلك اللحظة، أدرك زياد الحقيقة. أدرك أن العنف لا يمكن أن يكون الحل، وأن القوة الغاشمة لن تبني مجتمعًا عادلاً. كان يشعر بأن كل خطوة في هذا الطريق المظلم تبتعد به عن القيم التي يؤمن بها.

في صباح اليوم التالي، أعلن زياد عن قراره بمغادرة الحزب. كانت تلك اللحظة تحمل في طياتها شجاعة كبيرة، لكنه كان يعلم أن عليه أن يتحمل تبعات قراره. أحد أعضاء الحزب حاول إقناعه بالبقاء، محاولاً زعزعة قراره.

عضو الحزب (بحدة): "القوة هي السبيل الوحيد لتحقيق التغيير. لا تكن جبانًا".

زياد (بحزم): "لا، يجب أن نجد طريقة أخرى، طريقة لا تعتمد على سفك الدماء. العنف لن يجلب لنا سوى المزيد من الألم".

المحاولة السابعة: تجنيد دعم خارجي

في بداية الأمر، كان زياد مملوءاً باليأس. كانت الأحداث الأخيرة قد أثرت على نفسيته بشكل عميق. فقد شاهد العديد من رفاقه يُعتقلون ويُعذبون، وتبددت أحلام التغيير أمام أعينه كفقاعة صابون في مهب الريح. كان الليل يطول والنهار يمتلئ بالخيبات، حتى أصبح لا يرى نور الأمل.

زياد (بصوت داخلي محطم): "كم من الوقت سنظل نُسحق تحت أقدام الطغاة؟ هل هناك سبيل للخلاص؟"

قبل انخراطه في النضال، كان زياد يعيش حياة بسيطة. كان يعمل مدرسًا للتاريخ في إحدى المدارس الثانوية، مؤمنًا بأن العلم والمعرفة هما مفتاح التغيير الحقيقي. كان يحب قراءة الكتب القديمة، ويجد فيها عزاءً من واقع الحياة القاسية. لكن الأوضاع السياسية المتردية، والقمع المتزايد جعلاه يشعر بالعجز واليأس.

زياد (بتفكير عميق): "كل ما آمنت به يبدو كأنه يتلاشى. كيف يمكن للتاريخ أن يعلمنا ونحن نعيش في دائرة من الظلم لا تنتهي؟"

في لحظة يأسه، تواصلت معه دولة خارجية، بعدما سمعت بنواياه لتغيير النظام. كان العرض مغريًا: دعم دولي يمكن أن يقلب الموازين. في البداية، شعر زياد ببعض الأمل، وأخذ يحلم بأن هذا الدعم قد يكون ما يحتاجه الشعب لتحقيق التغيير.

زياد (ببصيص أمل): "ربما يكون الحل في الخارج. نحن بحاجة إلى دعم دولي قوي لنحقق ما نصبو إليه".

بدأ زياد بإعداد خطة محكمة للتواصل مع الدولة الخارجية. استعان بأصدقائه الذين لديهم اتصالات دولية، وتمكن من ترتيب اجتماع سري مع ممثلي تلك الدولة. كانت التحضيرات تتسم بالسرية التامة، والحرص على عدم لفت الأنظار.

زياد (بتفكير عميق): "علينا أن نكون حذرين. أي خطأ قد يكلفنا غالياً. يجب أن نكون مستعدين لأي احتمال".

في إحدى الليالي، سافر زياد إلى مدينة مجاورة للقاء ممثلي الدولة الخارجية. كان الاجتماع في فندق فاخر، وكانت الأجواء مفعمة بالرسمية والاهتمام. جلس زياد في غرفة الاجتماعات الفاخرة، يشعر بالتوتر والآمال المتداخلة.

كان الديكور فخمًا، والجدران مزينة بلوحات فنية باهظة الثمن. كان الممثلون يرتدون بدلات أنيقة، وأعينهم تعكس مزيجًا من البرود والحذر.

الممثل الخارجي (بابتسامة مهنية): "نحن هنا لدعمكم في نضالكم من أجل الحرية. نؤمن بأن للشعب الحق في تقرير مصيره".

بدأ زياد يعرض عليهم الوضع بالتفصيل، مؤكداً على حاجة الثورة للدعم الدولي. بدا أن ممثلي الدولة الخارجية يستمعون باهتمام، وأظهروا استعدادهم لتقديم الدعم، لكن بشروط.

الممثل الخارجي (بصوت هادئ): "نحن مستعدون لتقديم الدعم اللازم لكم، لكن يجب أن نفهم جيداً مصالحنا في المنطقة. نريد تحقيق الاستقرار الذي يتماشى مع مصالحنا الاستراتيجية".

إبراز لحظة الكشف عن النوايا

بدأت الشكوك تتسلل إلى قلب زياد، لكنه كان يأمل أن يكون الدعم حقيقيًا ومخلصًا. وافق على المضي قدمًا، على أمل أن يتمكنوا من تحقيق التغيير المنشود.

لكن مع مرور الوقت، بدأت الصورة تتضح. أدرك زياد أن الدولة الخارجية لم تكن تسعى لتحقيق العدالة للشعب العراقي، بل كانت تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة. كانت الاجتماعات اللاحقة تكشف عن نواياهم الحقيقية شيئاً فشيئاً.

الممثل الخارجي (بصوت بارد): "نحن هنا لتحقيق مصالحنا. إذا كانت تتماشى مع أهدافكم، فنحن معكم. وإلا، فعليكم أن تتدبروا أموركم بأنفسكم".

كانت الكلمات كالصاعقة على قلب زياد. أدرك أن الاعتماد على الأجنبي لن يجلب سوى الخيانة والمصالح الذاتية. كانت تلك اللحظة كاشفة لكل الأوهام التي كان يعلقها على الدعم الخارجي.

عاد زياد إلى بغداد، وقد تملكه شعور بالخيانة والخيبة. كان يعرف أن الطريق إلى الحرية لا يمكن أن يعتمد على دعم أجنبي يسعى لتحقيق مصالحه على حساب الشعب.

زياد (بخيبة أمل): "لا يمكننا الاعتماد على الأجنبي. يجب أن نحقق التغيير بأنفسنا. لن يأتي الدعم الحقيقي إلا من داخل الوطن".

بدأت كلمات زياد تنتشر كالنار في الهشيم. بدأ الناس يدركون أن الحل يجب أن يكون من داخلهم، وأن التغيير الحقيقي يأتي من إرادتهم الصلبة وصمودهم أمام الظلم.

زياد (بصوت داخلي مطمئن): "سنحقق التغيير بأنفسنا. سنبني مستقبلنا بأيدينا. هذه هي القوة الحقيقية، وهذا هو الطريق.

المحاولة الثامنة : التجنيد عبر وسائل التواصل الاجتماعي

في غياهب الليل ، وبينما كانت النجوم تلمع في السماء كأنها جواهر متناثرة في قبة السماء ، جلس زياد في غرفته المتواضعة ، يحدق في شاشة حاسوبه . الأفكار تتصارع في ذهنه ، يبحث عن طريق آخر يمكن أن يفتح نافذة أمل لشعبه المظلوم . قرر أن يلجأ إلى العالم الافتراضي ، ذلك المكان الذي يظنه الكثيرون ملاذاً آمنًا ، بعيداً عن بطش النظام وأذرعه الطويلة .

زياد (بصوت داخلي ملهم) : "ربما يكون الفضاء الإلكتروني هو الساحة الجديدة لنضالنا . هنا يمكن للكلمات أن تتحرر ، ويمكن للأفكار أن تنتشر كالنار في الهشيم" .

بدأ زياد بإعداد خطة محكمة لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لنشر أفكاره وجذب الناس للثورة . أنشأ حسابات متعددة على منصات مختلفة ، واختار أسماء مستعارة تعبر عن روح المقاومة والصمود . كان الهدف واضحًا : تجنيد الدعم الشعبي من خلال رسائل قوية ومؤثرة تنبض بالأمل والتحدي .

زياد (بصوت ملهم أمام الكاميرا) : "يا أبناء الوطن ، إن الظلم لن يدوم ، والطغاة لن يظلوا إلى الأبد . حان الوقت لنقف معًا ، لنرفع أصواتنا ضد القمع ، ولننشد الحرية والكرامة" .

شرع زياد في نشر مقاطع الفيديو والمقالات على حساباته ، وكانت كلماته تنساب كالماء العذب في الصحراء القاحلة ، تجذب الناس وتجدد فيهم الأمل . بدأت التعليقات تتوالى ، والمشاركات تتزايد ، وكأن لسان حالهم يقول : "نحن هنا ، نحن معك" .

زياد (بفرحة ودهشة) : "ها قد بدأ الناس يستجيبون . كلماتي تصل إلى قلوبهم ، وتثير فيهم الشجاعة للنضال" .

لكن الفرحة لم تدم طويلاً . سرعان ما بدأت الحسابات تتعرض للاختراق والتعطيل من قبل النظام . كانت الأيادي السوداء تعمل في الظلام ، تحاول إسكات صوت الحرية حتى في العالم الافتراضي . كانت الرسائل التحذيرية تتوالى ، تحذيرات من أصدقاء مجهولين يخشون على سلامته .

الصديق المجهول (بقلق) : "النظام لديه خبراء في التكنولوجيا . يجب أن تكون حذراً ، يمكنهم الوصول إليك حتى هنا" .

زياد (بصوت داخلي متفكر) : "كيف يمكنهم الوصول إلي؟ هل نحن حقًا محصنون في هذا العالم الافتراضي؟"

بدأ زياد يتعمق في فهم التهديدات الرقمية. قام بقراءة مقالات عن الأمن السيبراني، وكيف يمكن للنظام أن يخترق الحسابات، ويعطل الأنظمة، ويراقب الأنشطة. أدرك أن الأمر ليس بسيطًا، وأن عليه أن يكون أكثر ذكاءً في تحركاته.

قرر استخدام تقنيات التشفير، وتغيير كلمات المرور بانتظام، وإنشاء حسابات بديلة يمكنه من خلالها مواصلة نشر رسائله. كما بدأ في استخدام تطبيقات الاتصال المشفرة للتواصل مع مؤيديه بأمان.

كان زياد يفتح جهازه الحاسوب بحذر، يترقب الرسائل التي تصل إليه من أصدقائه المحذرين. كانوا ينبهونه إلى الخطر الداهم، وأن النظام يراقب كل حركة، وكل كلمة تُنشر. كان يدرك أن الخطر ليس بعيداً، وأن عليه أن يكون أكثر حذراً.

زياد (بصوت داخلي متردد) : "كيف يمكنني أن أستمر في هذا الطريق؟ هل يجب أن أستسلم للصمت؟"

بينما كان زياد يتنقل بين الرسائل والتعليقات، لاحظ تكراراً لاسم مستعار يشاركه دائمًا برأي ونصيحة. كان الاسم يحمل عبق الحكمة، وكأنه ينبثق من زمن بعيد، من شخص يعرف دروب النضال وأسراره. كانت نصائحه تأتي كالنور في الظلام، تدله على الطرق الآمنة في غياهب هذا العالم الرقمي.

المتابع المجهول (بصوت قلق) : "يا زياد، احذر. النظام يتتبعك. تذكر أن الحذر هو رفيق النضال، وأن الحرية لا تُنال إلا بالذكاء والصبر".

شعر زياد بالإحباط وهو يرى حساباته تُغلق واحدة تلو الأخرى، وأصوات داعميه تختفي في بحر الصمت الرقمي. كانت الخيبة تتسلل إلى قلبه كضباب كثيف، يحجب عنه رؤية الأمل الذي كان يلتمسه.

زياد (بإحباط) : "حتى العالم الافتراضي ليس بمنأى عن قمعهم. هل من مكانٍ آمنٍ لنضالنا؟"

قرر أن يستمر في محاولاته، وأن يستخدم أساليب جديدة لتجاوز الرقابة الإلكترونية.

زياد (بصوت مليء بالعزم): "لن أتوقف. سأستمر في نشر أفكاري، وسأجد طرقًا جديدة للوصول إلى الناس. لا يمكن للصمت أن يكون خيارنا".

قرر زياد أن ينشر رسالة جديدة، يخبر فيها مؤيديه بما حدث، ويحذرهم من المخاطر، لكنه يؤكد على أهمية الاستمرار في النضال.

زياد (أمام الكاميرا): "يا أبناء الوطن، لقد حاول النظام إسكاتنا، لكننا لن نصمت. سنواصل النضال، سنستخدم كل وسيلة متاحة، سنكون أذكياء في تحركاتنا. الحرية لن تأتي بسهولة، لكنها تستحق كل التضحيات".

كانت كلماته كالشعلة التي تضيء الطريق، وكأنه يزرع بذور الأمل في قلوب الناس.

المحاولة التاسعة : التوجه للأمم المتحدة

في إحدى الليالي الهادئة ، بينما كان زياد يطالع بعض الكتب القديمة في مكتبته الصغيرة ، وقع بصره على سيرة إحدى الشخصيات التي لجأت إلى الأمم المتحدة في أوقات مضت ، وكيف كانت جهودها مؤثرة في تغيير مجرى الأحداث . هذه الشخصية ، التي كان يُدعى صاحبها أحمد بن ناصر ، كان له دور كبير في لفت أنظار العالم إلى قضية شعبه المضطهد ، مستخدمًا البلاغة والإصرار كأدوات رئيسية .

زياد (بدهشة واهتمام) : "إذا كان هذا الرجل قد نجح في إيصال صوته إلى العالم ، فلماذا لا نحاول نحن أيضًا ؟"

قرر زياد أن يغوص في تفاصيل سيرة أحمد بن ناصر . عرف كيف أن أحمد كتب خطابًا مليئًا بالشجن والقوة ، وصف فيه معاناة شعبه وطلب التدخل الدولي . تحديات كثيرة واجهها أحمد ، منها تجاهل المؤسسات الدولية في البداية ، ولكنه لم يستسلم وواصل إرسال الخطابات وعقد المؤتمرات الصحفية حتى استجاب العالم له .

زياد (بإعجاب وتأمل) : "كان أحمد يعرف أن الصبر والمثابرة هما مفتاح النجاح . لقد واجه الرفض عدة مرات ، لكنه لم يتوقف حتى سمع العالم صوته" .

قرر زياد أن يكتب خطابًا مفصلا يشرح فيه معاناة الشعب العراقي ، ويطالب بالتدخل الدولي . جلس أمام مكتبه ، وتناول قلمه ، وبدأ يكتب كلماته بعناية ، مستعيرًا من القوة والبلاغة ما يحيي الآمال في القلوب . كان يعرف أن الخطاب يجب أن يكون مفعمًا بالحياة ، ليصل إلى أعماق القلوب البعيدة .

زياد (بصوت ملهم وهو يكتب) : "يا أعضاء الأمم المتحدة ، إن الشعب العراقي يعاني من وطأة الظلم والقمع . نحن بحاجة إلى دعمكم لتخفيف معاناتنا وتحقيق العدالة . أنتم صوت الإنسانية ، فلا تتركونا وحدنا في هذا الليل البهيم" .

بعد إتمام الخطاب ، قام زياد بإرساله إلى الأمم المتحدة عبر البريد الإلكتروني ، منتظرًا الرد بفارغ الصبر . كانت الأيام تمر ببطء ، وكأن الزمن قد تجمد في مكانه . كل صباح كان يستيقظ بقلب مترقب ، يتمنى أن يجد الرد الذي يفتح له باب الأمل .

وأخيراً، وصل الرد. فتح زياد البريد الإلكتروني بعينين متلهفتين، ليجد رسالة رسمية، مكتوبة بلغة دبلوماسية باردة. كانت أيديه ترتجف وهو ينقر على الرسالة ليفتحها أمام الناشطين الذين تجمعوا في منزله. قرأ الرسالة بصوت عالٍ، وكل كلمة كانت تثقل كاهله أكثر.

زياد (بخيبة أمل): "حتى المؤسسات الدولية تغض النظر عن معاناتنا. هل نحن حقًا بلا صوت في هذا العالم الواسع؟"

أثناء اجتماع مع بعض الناشطين، عرض زياد الرد الذي تلقاه. كان الجو مليئًا بالتوتر، والوجوه تعكس مشاعر الإحباط والخيبة. أحد الناشطين، بابتسامة مريرة، علق على الرد بسخرية.

الناشط السياسي (بابتسامة مريرة): "الخطابات الرسمية لا تغير شيئًا. نحن وحدنا في هذه المعركة".

تحدث ناشط آخر عن كيف تعاملت المؤسسات الدولية مع قضايا مشابهة في الماضي، وكيف أن البيروقراطية والتعقيدات الإدارية عرقلت جهود التغيير. ذكر أمثلة عن فشل الأمم المتحدة في اتخاذ إجراءات فعلية في صراعات أخرى.

كان زياد يشعر بالضياع، مشاعر الأمل واليأس تتصارع في داخله. تذكر كلمات أحمد بن ناصر وكيف لم يستسلم رغم كل الصعوبات. كان عليه أن يجد القوة في داخله ليستمر.

زياد (بصوت داخلي متفكر): "هل يجب أن أستسلم الآن؟ هل يمكن لكلماتي أن تصل إلى من يهمه الأمر؟ أم أنني أواجه طاحونة بيروقراطية لا ترحم؟"

في تلك الأثناء، بدأت تسريبات إعلامية تظهر عن خطاب زياد للأمم المتحدة، مما أثار ضجة إعلامية. كانت بعض وسائل الإعلام المؤيدة للنظام تحاول تشويه صورته، بينما كانت وسائل إعلام أخرى تدعمه وتطالب بالتحقيق في قضيته.

زياد (بقلق): "هذه التسريبات قد تعقد الأمور أكثر. علينا أن نكون حذرين في تعاملنا مع الإعلام".

بدأت رسائل الدعم والانتقاد تتوالى على زياد. كان هناك من يدعمه بشدة، وآخرون يشككون في جدوى جهوده. هذه التفاعلات زادت من حدة التوتر، لكنها أيضًا جعلته يدرك أن هناك من يستمع إليه ويؤمن بقضيته.

زياد (بأمل متجدد): "ربما لا يكون الطريق سهلاً، لكن كل كلمة تُقال، كل دعم يُقدم، هو خطوة نحو التغيير".

رغم خيبة الأمل، لم يكن زياد مستعداً للاستسلام. قرر أن يواصل جهوده، وأن يبحث عن طرق أخرى لجذب انتباه المجتمع الدولي. بدأ يخطط لعقد مؤتمرات صحفية، ودعوة وسائل الإعلام الدولية لتغطية معاناة الشعب.

زياد (بصوت مليء بالعزم): "لن نسمح للصمت أن يخيم على قضيتنا. سنواصل النضال، ونستخدم كل وسيلة متاحة لنصل إلى هدفنا".

في أحد الاجتماعات التالية، جلس زياد مع مجموعة من الناشطين في منزله. كانت الجدران تحمل آثار الزمن، وكأنها شاهدة على كل ما مر به من معاناة وأمل. تحدثوا عن الخطوات التالية، وكيف يمكنهم الضغط على الأمم المتحدة لاتخاذ موقف فعلي.

ناشط آخر (بصوت حازم): "علينا أن ننظم مظاهرات سلمية أمام مكاتب الأمم المتحدة في بلادنا، ونستغل وسائل الإعلام لنشر قضيتنا".

كانت السيرة التي قرأها زياد تظل تلوح في ذهنه، تذكره بأن الأمل لا يجب أن يتلاشى. كان يتذكر كيف أن الشخصية التي لجأت للأمم المتحدة تمكنت من حشد الدعم الدولي، وكيف أن الإصرار والتفاني يمكن أن يغيرا مجرى التاريخ.

زياد (بصوت داخلي ملهم): "إذا تمكن شخص واحد من تغيير العالم، فبإمكاننا نحن أيضًا أن نفعل ذلك. لا يمكننا أن نفقد الأمل".

استمر زياد في جهوده، مؤمنًا بأن الطريق طويل ومليء بالعقبات، لكنه أيضًا مليء بالأمل والتحدي. قرر أن يكتب مقالات جديدة، وينشر مقاطع فيديو مؤثرة، وأن يستمر في نضاله دون هوادة.

المحاولة الحادية عشرة: محاولة استمالة رجال الدين

في إحدى المناسبات الدينية العظيمة في البلاد، حيث كان الناس يتجمعون لأداء الطقوس الحسينية التي تخلد ذكرى أربعينية الحسين، كانت الأضواء المتلألئة تزين الشوارع، ورائحة البخور تملأ الهواء، وأصوات الدعاء ترتفع في السماء كأنها نجوم تتلألأ. وسط هذا المشهد الروحاني، وجد زياد في هذه المناسبة فرصة سانحة للتواصل مع رجال الدين الذين يملكون تأثيراً كبيراً على الناس.

زياد (بصوت داخلي متحمس): "إذا استطعنا استمالة رجال الدين إلى جانبنا، فسنكسب دعم الناس وتأييدهم. ثورة الحسين هي رمز للعدل والمقاومة، ويجب أن نستلهم منها القوة".

قرر زياد أن يبدأ بمحاولة التواصل مع رجال الدين الذين يحظون باحترام كبير في المجتمع. اختار أحد كبار رجال الدين الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة بين الناس، ورتب معه لقاءً خاصاً. زياد، مرتديًا ثوبًا أبيض بسيطًا، كانت خطواته مترددة وهو يتوجه إلى المجلس الفخم، حيث كان يجلس رجل الدين.

زياد (بصوت مؤثر): "يا شيخنا الفاضل، إننا نعيش في زمن يحتاج فيه الناس إلى العدل والكرامة. ثورة الحسين كانت من أجل الحق والعدل، ونحن نسعى لتحقيق نفس الأهداف. نحتاج إلى دعمكم لتوعية الناس ودفعهم للوقوف ضد الظلم".

رجل الدين كان جليل القدر، له لحية بيضاء تزين وجهه المهيب، وعمامة سوداء تدل على نسبه الهاشمي. عيناه كانتا تحملان بريق الحكمة والخبرة، وصوته الجهوري كان يتردد كصدى بين جدران المجلس. بدأ زياد حديثه بعرض تفاصيل معاناة الشعب، موضحًا كيف أن النظام الحالي يغرق في الفساد والظلم، وكيف أن دعم رجال الدين يمكن أن يكون له أثر كبير في تحفيز الناس على المطالبة بالتغيير.

زياد (بإصرار): "يا شيخنا، إنكم تحملون رسالة الحسين، رسالة العدل والحق. نحتاج إلى صوتكم ليصل إلى الناس ويحثهم على الوقوف معًا ضد الظلم".

لكن الرد لم يكن كما توقعه زياد. واجه رفضًا من معظم رجال الدين الذين تواصل معهم. كان الخوف من فقدان الامتيازات، أو الاعتقاد بأن الثورة قد تجلب الفوضى، يسيطر على مواقفهم.

رجل الدين (بصوت جاف): "يا بني، لا يمكننا المخاطرة بما لدينا من استقرار. الثورة تجلب الفوضى، ونحن بحاجة إلى السلام. يجب أن نتحلى بالصبر والتريث".

شعر زياد بخيبة أمل كبيرة وهو يرى كيف أن رجال الدين، الذين كان يعتقد أنهم سيكونون أعمدة الدعم، يخشون التغيير ويفضلون الاستقرار على العدالة.

زياد (بإحباط): "حتى رجال الدين يخشون التغيير. أين نجد الدعم؟"

في محاولة أخيرة، توجه زياد إلى أحد رجال الدين الأكثر تأثيرًا، محاولا مرة أخرى أن يعرض قضيته بطرق مختلفة.

زياد (بلهجة أكثر إقناعًا): "شيخنا الجليل، الطقوس الحسينية يجب أن تكون زاحفة نحو إسقاط النظام الفاسد. إن أربعينية الحسين هي رمز للمقاومة والصمود، ونحن بحاجة إلى أن نستلهم منها قوة لتغيير واقعنا".

رجل الدين (بصوت هادئ): "يا بني، نفهم نواياك الطيبة، ولكن الطريق الذي تدعو إليه محفوف بالمخاطر. لا يمكننا المجازفة بمستقبل شعبنا لأجل هدف قد يجلب الفوضى بدلاً من الاستقرار. إن كلمة الحق يجب أن تُقال بحكمة، فثورة الحسين كانت من أجل الحق، ولكن علينا أن نتذكر أن الحكمة والصبر هما ما نحتاجه الآن".

ثم أكمل رجل الدين بنبرة أكثر جدية، تلمع في عينيه ذكريات الماضي القاسية.

رجل الدين (بنبرة مخيفة): "يا بني، لا تنسَ ما عاناه شعبنا في حقبة البعث الصدامي. كان النظام السابق يضطهد شعائرنا ويمنعنا من إقامة طقوسنا الدينية. لقد عشنا في خوف ورعب، والآن نخشى أن يعيد التاريخ نفسه إذا ما فقدنا الاستقرار. الثورة قد تفتح الباب لعودة تلك الأيام المظلمة".

رغم الخذلان والخوف الذي واجهه زياد، لم يكن مستعداً للاستسلام. كان يعلم أن الطريق إلى الحرية مليء بالعقبات، وأن النضال الحقيقي يتطلب المثابرة. قرر أن يستمر في جهوده، وأن يبحث عن طرق أخرى لجذب الدعم.

زياد (بصوت مليء بالعزم): "إذا كان رجال الدين يخشون التغيير، فسنعمل نحن على توعية الناس. سنواصل نضالنا ولن نتوقف حتى نحقق العدالة".

كانت السيرة الحسينية تظل تلوح في ذهن زياد، تذكره بأن الأمل لا يجب أن يتلاشى. كان يتذكر كيف أن الحسين وقف في وجه الظلم والطغيان، وكيف أن الصمود والإصرار يمكن أن يغيرا مجرى التاريخ.

زياد (بصوت داخلي ملهم): "إذا تمكن الحسين من تغيير العالم، فبإمكاننا نحن أيضًا أن نفعل ذلك. لا يمكننا أن نفقد الأمل"..

المحاولة الثانية عشرة: محاولة التجنيد في الجيش

في إحدى ليالي الشتاء الباردة، بينما كانت الرياح تعصف في الخارج، جلس زياد متفكرًا في طريقة جديدة لتحقيق التغيير. كان يعلم أن الجيش يمثل قوة حاسمة، وأن الحصول على دعم من داخله يمكن أن يكون مفتاحًا لتحريك عجلة الثورة. استلهم من حقبة الستينات حين كانت الانقلابات العسكرية وسيلة لتغيير الأنظمة، وقرر أن يحاول تجنيد الجنود والشخصيات المؤثرة في الجيش إلى جانبه.

زياد (بصوت داخلي حازم): "إذا استطعنا جذب الجيش إلى قضيتنا، يمكننا أن نحقق التغيير. يجب أن أكون حذراً، فالخطر كبير، لكن الأمل أكبر".

بدأ زياد بالتواصل مع بعض الجنود الشباب الذين يعرفهم، مستخدمًا شبكته من الأصدقاء والمعارف. كانت الاجتماعات تتم في أماكن سرية، بعيداً عن أعين النظام. تحدث معهم عن الظلم والفساد، وأهمية التحرك لتغيير الوضع القائم.

زياد (بصوت ملهم): "يا شباب، أنتم تحملون السلاح في وجه العدو الخارجي، فلماذا لا نحمل صوت التغيير في وجه الفساد والظلم الداخلي؟ إن مستقبلنا ومستقبل أبنائنا يعتمد على شجاعتكم".

في إحدى الليالي، اجتمع زياد مع مجموعة من الجنود في منزل قديم بعيد عن الأنظار. كانت الأجواء مشحونة بالتوتر والخوف، ولكن أيضًا بالأمل. بدأ زياد حديثه بحماس، محاولا إقناعهم بأن الجيش يجب أن يكون جزءًا من حركة التغيير.

زياد (بإصرار): "يا أبطال الوطن، أنتم حماة الشعب وحراس العدالة. انضمامكم إلينا سيكون خطوة حاسمة نحو تحقيق العدالة والمساواة".

لكن محاولات زياد قوبلت بالخوف والتردد. الجنود الذين تحدث معهم كانوا يعلمون جيدًا العقوبات القاسية التي تنتظرهم إذا اكتشف النظام تورطهم في أي حركة تمرد.

الجندي (بصوت متردد): "نحن مجرد تروس في آلة كبيرة. التمرد يعني الموت. النظام قوي ومسيطر، وأي محاولة للانقلاب ستقابل بالقمع الشديد".

شعر زياد بحزن عميق وهو يرى كيف أن الجنود الذين كانوا يحملون السلاح في وجه العدو الخارجي يخشون حمل صوت التغيير في وجه الفساد الداخلي. كان يعلم أن التحديات كبيرة، ولكن الأمل لم يكن قد تلاشى بعد.

زياد (بحزن): "حتى من يحمل السلاح في وجه العدو يخشى أن يحمل صوت التغيير".

أخذ زياد يتذكر حقبة الستينات، عندما كانت الانقلابات العسكرية تُستخدم كوسيلة لتغيير الأنظمة. قرر أن يحاول إعادة تلك الروح، فبدأ بالتواصل مع شخصيات كبيرة في الجيش، محاولا نشر رسالته بينهم بشكل سري.

كانت الأيام تمضي بسرعة، وكان زياد يعمل بجد لزرع بذور التغيير داخل الجيش. كان يعلم أن الجيش ضعيف ومفكك، وأن النظام قد نجح في تسيسه وتحويله إلى أداة قمع. بدأ زياد بالتواصل مع شخصيات كبيرة داخل الجيش، محاولا إقناعهم بأن الوقت قد حان للتحرك.

زياد (بصوت داخلي مليء بالأمل): "يجب أن نستمر في المحاولة. الجيش قد يكون ضعيفًا الآن، لكن يمكننا أن نعيد له قوته وكرامته".

في إحدى الليالي الحالكة، التقى زياد بأحد الضباط الكبار في الجيش في مكان سري بعيد عن الأنظار. كان الضابط يجلس بهدوء، وعيناه تلمعان بذكاء وخبرة السنين. بدأ زياد الحديث بحماس، محاولا إقناع الضابط بأهمية التحرك.

زياد (بصوت جاد): "سيدي، أنتم تعلمون أن الوضع لا يمكن أن يستمر هكذا. الفساد والظلم يأكلان من جسد الوطن، ونحن بحاجة إلى تدخل الجيش لإحداث التغيير".

الضابط (بصوت هادئ، مشوب بالحنكة): "يا بني، إن الجيش ليس كما تظن. نحن مجرد تروس في آلة كبيرة، والنظام قوي ومستبد. التمرد قد يعني دمارنا جميعًا".

أدرك زياد بعد محاولاته أن الجيش، في حالته الحالية، ليس صالحًا للانقلاب. كان النظام قد نجح في تفكيكه وزرع الخوف في قلوب جنوده. كما أن هناك مراكز قوى أخرى تسيطر على البلاد وتجعل من التغيير العسكري أمرًا شبه مستحيل.

زياد (بصوت داخلي حزين ولكن مصمم): "لقد رأيت ضعف الجيش وتفككه، لكنني لن أستسلم. سنجد طريقًا آخر لتحقيق التغيير".

رغم الفشل، لم يكن زياد مستعداً للاستسلام. كان يعلم أن الطريق إلى الحرية مليء بالعقبات، وأن النضال الحقيقي يتطلب المثابرة. قرر أن يستمر في جهوده، وأن يبحث عن طرق أخرى لجذب الدعم.

زياد (بصوت مليء بالعزم): "إذا كان الجيش ضعيفًا ومفككًا، فسنعمل على توعية الناس وتقويتهم. سنواصل نضالنا ولن نتوقف حتى نحقق العدالة".

المحاولة الثالثة عشرة: التعاون مع النقابات العمالية

في صباح يوم خريفي، حيث كانت أوراق الشجر تتساقط كأنها رسائل من الزمن، وقف زياد أمام مقر النقابات العمالية، متأملا في القوة الكامنة في هذه البنية العريقة. كانت النقابات، في نظره، تمثل الأمل الأخير في إحداث تغيير جوهري، فهي تحمل في طياتها القوة لتوجيه ضربة اقتصادية مؤثرة للنظام.

قرر زياد أن يبدأ بمحاولة التواصل مع قادة النقابات العمالية، عازمًا على إقناعهم بأن الوقت قد حان للتحرك. جلس في قاعة صغيرة، الوجوه كانت مرهقة، تحمل مزيجًا من الأمل والخوف، وعرض عليهم خطته للإضرابات الواسعة.

زياد: "يا قادة العمال، أنتم صوت الطبقة العاملة، اليد القادرة على تغيير مسار التاريخ. قوتكم تكمن في وحدتكم، وصمتكم يمكن أن يكون أداة لتحريك الجبال. الإضراب هو السلاح الذي يمكن أن يزلزل أركان الظلم".

بدأ زياد حديثه بحماس، موضحًا كيف أن الإضرابات يمكن أن تشل حركة الاقتصاد وتضغط على النظام لتحقيق التغيير. كان يعلم أن الأمر ليس بالسهل، فهؤلاء القادة يحملون على عاتقهم مصائر آلاف الأسر.

زياد: "الإضراب ليس فقط وسيلة للاحتجاج، بل هو صرخة في وجه الطغيان، إعلان بأننا لن نقبل بالظلم بعد اليوم. انضمامكم إلينا سيحدث تغييراً جذريًا".

لكن الردود لم تكن كما توقعها زياد. واجه تردداً كبيراً من قادة النقابات، الذين كانت عيونهم تعكس القلق والخوف من المستقبل. كانت التحديات أكبر مما تصور، فالنظام قد نجح في زرع الرعب في قلوبهم.

قائد النقابة: "يا بني، الإضراب يعني الجوع لأسرنا. نحن مقيدون بالخوف. إذا تحركنا، ستنهال علينا العقوبات، وسنفقد وظائفنا، وسيعاني أطفالنا من الجوع. الأمل موجود، لكن الخوف أقوى".

شعر زياد بخيبة أمل عميقة وهو يرى كيف أن العمال، الذين يمثلون عصب الاقتصاد، يخشون التحرك. كان يعلم أن الخوف هو السلاح الأقوى الذي يستخدمه النظام للسيطرة على الناس.

زياد (بخيبة أمل): "إذا كانت العمالة تخشى أن تقف، فكيف نتحرك؟"

في محاولة لتقديم حجة أكثر إقناعًا، استحضر زياد الأيديولوجية الماركسية التي طالما كانت رمزًا للنضال العمالي ضد الاستغلال. تحدث عن أهمية وحدة الطبقة العاملة في مواجهة الظلم، وكيف أن التاريخ شهد قوة العمال حينما يتحدون.

زياد: "يا قادة العمال، تذكروا كلمات ماركس وإنجلز، إن الطبقة العاملة لا تملك شيئًا لتفقده سوى قيودها. أنتم القوة الحقيقية، والإضراب هو طريقنا لتحرير أنفسنا من نير الاستغلال".

في ختام الاجتماع، حاول زياد أن يترك أثرًا بليغًا في نفوس القادة، مستعينًا بحكمة تاريخية.

زياد: "إن النار تشتعل من شرارة صغيرة، ونحن الشرارة التي ستشعل ثورة العدالة. لا تخافوا من الجوع، فالجوع إلى الحرية أعظم وأسمى".

رغم خيبة الأمل، لم يكن زياد مستعدًا للاستسلام. كان يعلم أن التحديات كبيرة، وأن الخوف عميق في نفوس الناس، لكن الإيمان بالقضية كان يدفعه للاستمرار.

زياد (بصوت داخلي مليء بالعزم): "إذا كان العمال يخشون التحرك الآن، سنعمل على توعيتهم وتقويتهم. سنواصل نضالنا ولن نتوقف حتى نحقق العدالة".

جلس زياد مع فريقه من الناشطين في غرفة مضاءة بشمعة، قرروا تنظيم محاضرات وندوات توعوية، مستلهمين من تاريخ الحركات العمالية العالمية دروسًا في المقاومة والصمود.

ناشط آخر: "علينا أن نستخدم كل الوسائل المتاحة لنشر رسالتنا. يمكننا استغلال وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام البديل للوصول إلى الناس".

كانت سير الحركات العمالية الكبرى تظل تلوح في ذهن زياد، تذكره بأن الأمل لا يجب أن يتلاشى. كان يتذكر كيف أن العمال في مختلف أنحاء العالم وقفوا في وجه الظلم والاستغلال، وكيف أن الصمود والإصرار يمكن أن يغيرا مجرى التاريخ.

زياد (بصوت داخلي ملهم): "إذا تمكنت الحركات العمالية من تغيير العالم، فبإمكاننا نحن أيضًا أن نفعل ذلك. لا يمكننا أن نفقد الأمل".

وفي ليلة أخرى، بينما كان زياد يخطط لخطواته التالية، وصلته أخبار عن تزايد الوعي بين صفوف العمال. شعر زياد بأن الجهود بدأت تؤتي ثمارها، لكنه كان يعلم أن الطريق لا يزال طويلا.

زياد (بصوت داخلي مطمئن): "سنحقق التغيير بأنفسنا. سنبني مستقبلنا بأيدينا. هذه هي القوة الحقيقية، وهذا هو الطريق الذي سنسلكه".

المحاولة الرابعة عشرة: محاولة كسب تأييد المثقفين

في مساء شتوي حيث كانت الرياح تعصف بالشوارع الضيقة، جلس زياد في مقهى قديم يعج بالذكريات، المقهى الذي كان يومًا ملتقى للمثقفين والفنانين. الجو يحمل رائحة البن المحمص وعبق الدخان، ممزوجًا بأحاديث الأدب والفن التي طالما ملأت المكان. كان زياد يؤمن أن هؤلاء المثقفين والفنانين هم أكثر من يستطيع إلهام الجماهير وتحريكها نحو التغيير، فالكلمة الحقيقية، والصورة الصادقة، تحملان قوة تفوق الأسلحة.

بدأ زياد بمخاطبة من يعرفهم من الأدباء والفنانين. كان يدرك أن هؤلاء يحملون في قلوبهم نارًا خامدة قد تشتعل إذا أُشعل الفتيل المناسب. كان يأمل أن يجد فيهم الحماس الكافي للانضمام إلى قضيته.

زياد: "أنتم يا من تجسدون روح الأمة، أنتم المرآة التي تعكس الحقائق، أنتم القادرون على تحويل الألم إلى أمل، والصوت المكتوم إلى صرخة مدوية. نحن بحاجة إلى كلماتكم، إلى فنكم، إلى تلك الشعلة التي تسكن في أعماقكم".

اجتمع حوله مجموعة من الشعراء، والكتاب، والفنانين، كل منهم يحمل في قلبه خوفًا من المجهول، وأملا في أن يكون التغيير ممكنًا. جلسوا حول طاولة خشبية طويلة، تشهد على مئات النقاشات التي دارت حولها عبر السنين. كانت العيون تحمل ثقل السنوات، وتجارب الحياة التي قيدتهم بطرق غير مرئية.

الشاعر (بنبرة مترددة): "الكلمة هي السلاح الأقوى، نعم، لكنها أيضًا أضعف ما يمكن عندما تُواجه بالخوف. كيف يمكن للكلمة أن تفتح أبواب الحرية إذا كانت تحاصر بالجدران العالية والظلام الدامس؟"

زياد (بشغف): "الخوف هو عدو الكلمة، لكنه أيضًا دليل على قوتها. إذا كانت الكلمة تُطارد، فهذا يعني أنها تهدد الطغاة. أنتم تعرفون أكثر من أي شخص آخر أن الحقيقية لا تموت حتى وإن حاصرها الخوف.

بينما كان النقاش يدور في الغرفة، لاحظ زياد وجود شخصية مثقفة معروفة بتأييدها للسلطة، كان يجلس في زاوية المقهى بصمت، يتابع النقاش بعينين حادتين. كان هذا المثقف معروفًا بدعمه العلني للنظام، وكتاباته التي تروج لاستقرار الدولة وأهمية الحفاظ على النظام الحالي.

المثقف الموالي (بنبرة هادئة، ولكنه مصمم): "أفهم أنكم تريدون التغيير، ولكن يجب أن ندرك أن التغيير ليس دائمًا للأفضل. نحن نعيش في نظام، قد لا يكون مثاليًا، لكنه يضمن لنا الاستقرار. الفوضى ليست حلا، والتاريخ مليء بالأمثلة على أن السعي وراء التغيير قد يؤدي إلى كارثة".

زياد (بدهشة ممزوجة بالغضب): "هل تدافع عن نظام يقمع حرية الكلمة ويخنق الفنون؟ النظام الذي تدافع عنه يخاف من الأفكار الحرة لأنها تهدده. كيف يمكن لمثقف أن يدافع عن سلطة تقمع حرية الفكر والتعبير؟"

المثقف الموالي (بصوت أكثر حدة): "الحرية التي تنادي بها قد تؤدي إلى الفوضى والدمار. النظام يضمن الاستقرار، ومع الاستقرار يأتي الأمان. لا يمكننا أن نضحي بالأمان من أجل أوهام الحرية التي قد تتحول إلى كابوس. الفوضى لن تجلب سوى الفقر والموت".

بدأ الجدل يتصاعد في الغرفة. كان هناك من يؤمن بأن الوقت قد حان للتحرك، وأن الكلمة والفن يجب أن يتحررا من قيود الصمت. لكن المثقف الموالي كان يجادل بأن الحفاظ على النظام والاستقرار أهم من الحرية التي قد تأتي بالفوضى.

الفنان (بتحد): "أنت تتحدث عن الأمان وكأنه قيمة مطلقة، لكن أي أمان هذا الذي يأتي على حسابً الكرامة والحرية؟ كيف يمكن لنا أن نصمت ونحن نرى الظلم يتفشى؟ الفن يجب أن يكون حرًا، وإلا فإنه يموت".

المثقف الموالي (بصوت مرتفع): "الفن الذي يدمر المجتمع لا يستحق أن يُسمى فنًا. نحن بحاجة إلى استقرار لنبني مستقبلا أفضل، وليس إلى فوضى تجرنا إلى الوراء. أنتم تحلمون بأوهام، ولكن الواقع أكثر قسوة مما تتصورون".

بدأ المثقفون ينقسمون بين مؤيد ومعارض. كان هناك من يرى أن الوقت قد حان للمواجهة، بينما كان الآخرون يخشون من أن يكون الثمن أكبر من قدرتهم على التحمل. هذا الانقسام كان يعكس مدى تعقيد الموقف، ومدى سيطرة الخوف على النفوس.

الشاعر (بصوت متردد): "أفهم ما تقول يا زياد، وأحترم شجاعتك، ولكننا رأينا كيف ينتهي الأمر. الحرية التي نتحدث عنها قد تكلفنا حياتنا، قد تكلفنا أكثر مما نستطيع دفعه".

المثقف الموالي (بنبرة انتصار): "بالضبط. نحن لسنا في زمن الأحلام. نحن في زمن الواقعية. يجب أن نكون عقلانيين ونتخذ قرارات تحافظ على سلامتنا وسلامة مجتمعنا".

زياد (بصوت مليء بالتصميم): "لكن ما قيمة الحياة إذا كانت تُعاش في ظل الخوف؟ وما قيمة الفن إذا لم يكن حرًا؟ الحرية ليست هبة تُعطى، بل تُنتزع. أنتم يا من صوّرتم الجمال وسط الخراب، وصنعتم الأمل من اليأس، تعلمون جيدًا أن الفن والكلمة أقوى من كل قيد".

كان زياد يشعر بالخيبة تتسلل إلى قلبه، لكنه كان يعلم أن الطريق إلى الحرية مليء بالأشواك. وقف بصمت، متأملا الوجوه التي كانت تعكس مرارة الواقع وثقل المسؤولية.

زياد (بصوت هادئ ومليء بالتفكير): "أفهم مخاوفكم، وأعرف أن الطريق ليس سهلا. لكن تذكروا أن الحرية لا تأتي بدون تضحيات. الكلمة التي تخشى أن تُقال، والفن الذي يخشى أن يُعرض، كلاهما ليس حرًا. إذا استسلمنا للخوف، سنبقى عبيدًا للأبد".

غادر المثقفون والفنانون الاجتماع، كل منهم يحمل في قلبه صراعًا بين الخوف والواجب. كانت القاعة تغمرها رائحة القهوة الباردة والدخان الذي بدأ يتلاشى. بقي زياد وحده، يتأمل فيما يمكن أن يحدث بعد ذلك. لم يكن يتوقع أن يكون الأمر بهذه الصعوبة، لكنه لم يكن مستعدًا للاستسلام.

زياد (بإصرار داخلي): "إذا لم يكن اليوم، فسيكون غدًا. إذا لم يكن هؤلاء، فسيأتي غيرهم. المهم أن نبقى مؤمنين بالحق، مؤمنين بأن الفكرة أقوى من كل خوف".

عاد زياد إلى منزله تلك الليلة، وكانت الأفكار تتدافع في رأسه. كان يعرف أن التغيير يحتاج إلى أكثر من مجرد كلمات، يحتاج إلى أفعال، وإلى شجاعة لا تعرف التراجع. جلس في غرفته المظلمة، مستعينًا بضوء خافت من شمعة صغيرة، وبدأ يكتب. كتب عن الشجاعة، عن الخوف، عن التضحية، وعن الحرية التي تستحق كل مخاطرة.

زياد (بينما يكتب): "الكلمة الحقيقية لا تُقتل، حتى وإن مات صاحبها. الفن الصادق لا يُسجن، حتى وإن حُبس الفنان. نحن لسنا وحدنا، الفكرة ستستمر، ستكبر، وستحقق ما نصبو إليه".

وفي اليوم التالي، قرر زياد أن يستمر في محاولاته. لم يكن الاجتماع قد حقق ما كان يأمل فيه، لكن البذور قد زُرعت. كان يؤمن أن المثقفين والفنانين سيعودون، سيجدون الشجاعة في يوم ما، وسيقفون إلى جانبه في معركته من أجل الحرية.

المحاولة الخامسة عشرة: محاولة تحريك المجتمع النسائي

في ليلة هادئة، كانت السماء مغطاة بسحب ناعمة تحتضن المدينة برفق، جلس زياد في مقهى صغير يطل على الشارع الرئيسي. كانت رائحة القهوة تملأ المكان، بينما كانت الأحاديث الناعمة تتناثر هنا وهناك. النساء اللاتي اجتمعن حول الطاولات كنّ يتحدثن عن حياتهن وأحلامهن، لكن زياد كان يعرف أن وراء هذه الأحاديث تكمن قلوب تحمل قوة قادرة على إحداث التغيير، إذا ما أُطلقت في الاتجاه الصحيح.

بدأ زياد بالتواصل مع مجموعة من النساء الناشطات في مجالات مختلفة، من بينهنّ معلمات، طبيبات، وربات منازل. كان يهدف إلى بناء جسر بينهنّ وبين حركته، عسى أن يجد في قلوبهنّ رغبة في الانضمام إلى حملة تسعى لتحقيق العدالة. لكنه كان يعلم أن النساء، بعاطفتهن الجياشة، يبحثن عن الاستقرار والهدوء أكثر مما يبحثن عن الثورة.

زياد: "أيتها الأخوات، أنتنّ عماد المجتمع، وأي تغيير حقيقي لا يمكن أن يحدث دون مشاركتكنّ. إن أصواتكنّ هي التي يمكن أن تحدث الفارق، وهي التي يمكن أن تضع حداً للظلم".

اجتمع زياد بمجموعة من النساء في لقاء ودي، كانت الأجواء مفعمة بالدفء، حيث كانت الوجوه تبتسم بخجل، والأصوات تنخفض بنعومة. بدأ زياد يعرض عليهنّ أفكاره، لكنه سرعان ما لاحظ أن النساء كنّ أكثر حذراً واهتماماً بمطالبهنّ الخاصة أكثر من اهتمامهنّ بمسألة إسقاط النظام.

المرأة الأولى (بصوت ناعم): "زياد، نحن نعرف أن هناك ظلماً، ولكننا نخشى من الفوضى. نحن نريد حقوقنا كنساء، نريد حماية أكبر، نريد أن نعيش في أمان، ولكننا لا نريد أن نخاطر بأماننا الحالي. الثورات قد تجلب العواصف، ونحن نفضل الهدوء".

زياد (بلطف): "أفهم تمامًا ما تشعرن به. ولكن أليس من حقكنّ أن تعشن في مجتمع يعترف بكنّ بشكل كامل، مجتمع يحترم حقوقكنّ ويمنحكنّ الحرية؟ الثورة ليست بالضرورة عنفًا، يمكن أن تكون طريقًا للسلام والعدالة".

كانت النساء يتحدثن عن الخوف من قيود المجتمع، من نظرة الناس، من فقدان السكينة التي يتشبثن بها. كان الخوف يظهر في أعينهنّ كما يظهر النور في شمعة على وشك أن تنطفئ. كانت كل كلمة تخرج منهنّ مليئة بالتردد والحذر.

المرأة الثانية (بصوت متهدج): "نحن نعرف أن المطالبة بالحقوق تتطلب شجاعة، لكننا نخشى من أن يتحول الأمر إلى فوضى. المجتمع قاس على النساء اللواتي يتجاوزن حدوده. نحن نريد حقوقنا، ولكن بسلام، بدون ضجيج، بدون أن نفقد ما نملكه الآن".

زياد (بحنان): "أنتنّ على حق، الفوضى لا تأتي بشيء جيد. ولكن التغيير أحيانًا يحتاج إلى وقفة، إلى صوت يُسمع. أليس من حقكنّ أن يُسمع صوتكنّ، أن تكون لكنّ مكانة تستحقونها؟"

وفي تلك اللحظة، وقفت من بينهن امرأة ذات ملامح حادة وعيون تعكس حماسة متقدة، تُدعى أسماء. كانت أسماء ناشطة نسوية معروفة بجرأتها وصراحتها، وكانت تؤمن إيمانًا راسخًا بأفكار زياد، بل وتعتبر أن الثورة هي الطريق الوحيد لتحقيق العدالة الحقيقية.

أسماء (بغضب واضح): "إلى متى سنظل نختبئ خلف مخاوفنا؟ إلى متى سنظل نخشى قيود المجتمع ونتجاهل حقيقة أننا نحن أيضًا نمتلك القوة لتغيير هذا الواقع؟ ما تقولونه الآن ليس سوى تبرير للاستسلام. نحن لسنا ضعيفات، ولسنا بحاجة لحماية زائفة. حقوقنا لن تأتي إلينا ونحن نجلس في هدوء، بل علينا أن ننتزعها بأنفسنا".

كانت أسماء قد فقدت والدها قبل سنوات بسبب موقفه المعارض للنظام. كان والدها رجلا نبيلا، لكنه دفع ثمن مبادئه بحياته. منذ ذلك الوقت، قررت ليلى أن تكرس حياتها للنضال من أجل الحرية والعدالة، مدفوعة بتلك الخسارة التي حفرت في قلبها جرحًا عميقًا، لكنها زرعت فيها أيضًا قوة لا تنكسر.

كانت كلمات أسماء كالشرارة التي أشعلت الجدال في الغرفة. كانت النساء منقسمات بين خوفهنّ من مواجهة المجتمع والسلطة، وبين إيمانهنّ بضرورة التحرك لتحقيق العدالة. كان زياد ينظر إلى ليلى بإعجاب، ويشعر أن كلماتها تعكس ما يحاول إيصاله.

أسماء (بشغف): "القيد الذي تطوقنا به مخاوفنا هو قيد وهمي. نحن من نصنع هذه القيود بأفكارنا، والخوف هو ما يبقينا عبيداً لها. الثورة هي المفتاح الذي سيحررنا من هذه القيود، لنعيش كما نستحق، أحراراً في هذا العالم".

المرأة الثالثة (بصوت يشوبه الحزن): "أنت شجاعة يا أسماء، ولكننا أمهات. نحن نفكر في أطفالنا. لا نريد أن نعرضهم للخطر، نريَد لهم أن يعيشوا في هدوء. الثورة قد تحملنا إلى مستقبل مجهول، ونحن لا نريد أن نخسر ما لدينا".

أسماء (بهدوء ولكن بحزم): "الأمومة ليست ضعفًا، بل هي القوة بعينها. أنتم تفكرون في أمان أطفالكم اليوم، وأنا أفكر في مستقبلهم غداً. أي مستقبل نريده لهم إذا لم نمنحهم الحرية والكرامة؟ الثورة ليست فوضى، بل هي ولادة جديدة، ولادة لعالم أفضل نريده لأطفالنا".

في لحظة صمت، تحدثت أسماء عن امرأة عرفتها، كانت تُدعى سعاد، فقدت كل شيء من أجل مستقبل أبنائها. "سعاد كانت امرأة بسيطة، لكنها قوية. لم تخشَ أن تقف في وجه الظلم، ولم تخف من العواقب. كانت تقول دائمًا: 'لن أترك لأبنائي عالمًا يخنق حريتهم. سأضحي بكل شيء، حتى لو كان ذلك يعني أن أفقد حياتي.' تلك المرأة علمتني أن الشجاعة ليست فقط في القتال، بل في الاستمرار رغم الخوف".

شعرت النساء بعمق كلمات أسماء، وبدأ بعضهنّ يفكرن بجدية فيما قالته. لم يكن التحول فورياً، لكنه كان بداية لتحول داخلي. قبل أن ينتهي اللقاء، قدمت ليلى لزياد مشبك شعر قديم كانت تملكه والدتها، وقالت له: "هذا الرمز هو ما يحفزني على الاستمرار. احتفظ به، وليكن رمزاً لقوتنا وصمودنا".

عندما انتهى اللقاء، شعرت النساء بأنهنّ بحاجة لمزيد من الوقت للتفكير. لم يكنّ مستعدات للانضمام إلى حركة تسعى لإسقاط النظام، لكنهنّ كنّ يملكن الرغبة في تحقيق مطالبهنّ الفئوية في جو من الهدوء والاستقرار. أما أسماء، فقد كانت تشعر بالغضب من هذه الرؤية المستخذية، لكنها قررت أن تستمر في نضالها بجانب زياد، مؤمنة بأن التغيير الحقيقي لن يحدث إلا عندما تتحرك النساء بكامل قوتهنّ وإيمانهنّ.

أسماء (بصوت داخلي هادئ ولكن مليء بالإصرار) : "التغيير يبدأ بخطوة ، والخطوة الأولى قد تكون أصعبها ، لكنها ليست مستحيلة" .

غادرت النساء الاجتماع ، تاركات خلفهنّ أفكاراً تتردد في أذهانهنّ. كان زياد يعرف أن الطريق لا يزال طويلا ، لكنه كان يرى في عيون ليلى إصراراً لا يقهر ، وفي وجوه النساء الأخريات ، بدأت تلمع تلك الشرارة الصغيرة ، شرارة الأمل والتغيير .

زياد (بصوت داخلي متجدد) : "لن أتوقف ، لن أستسلم . الحرية تستحق كل تضحية ، وكل كلمة تُقال ، وكل خطوة تُخطى نحو الأمام. سيأتي اليوم الذي نحقق فيه العدالة للجميع" . . .

المحاولة السادسة عشرة: محاولة الحصول على دعم اقتصادي من رجال الأعمال

في صالة فاخرة تزينها الثريات الكريستالية والمفروشات الفاخرة ، جلس رجل الأعمال الثري ، السيد فؤاد ، يحتسي قهوته بينما يتأمل الأفق من نافذته الزجاجية الضخمة. كان المكان يعكس البذخ والثراء ، حيث كانت تجتمع فيه الطبقة العليا من المجتمع لتبادل الأحاديث والتخطيط لمصالحهم الاقتصادية. وفي هذه الأجواء ، خطرت على بال زياد فكرة استمالة رجال الأعمال لدعم حركته ، مدركًا أنهم العصب الاقتصادي للبلد ، وأن دعمهم يمكن أن يحدث فرقًا حقيقيًا .

بدأ زياد بالتخطيط للقاء مع بعض رجال الأعمال البارزين ، مدركًا أن الوصول إليهم يتطلب الإعداد الجيد وعرضًا مقنعًا. كان يعلم أن لغة المال هي اللغة التي يفهمونها ، وأن إقناعهم بدعم التغيير يحتاج إلى توضيح الفوائد الاقتصادية التي يمكن أن تتحقق من وراء هذا الدعم .

زياد (محدثًا نفسه) : "إذا استطعنا إقناعهم بأن التغيير سيؤدي إلى بيئة اقتصادية أكثر عدالة واستقراراً ، فقد نتمكن من الحصول على دعمهم. التحدي يكمن في تجاوز مخاوفهم من العقوبات والخسائر" .

اجتمع زياد مع مجموعة من رجال الأعمال في الصالة الفاخرة للسيد فؤاد. كانت الوجوه تحمل ملامح الجدية والحذر ، وكانوا يجلسون حول طاولة كبيرة ، يستمعون إلى زياد وهو يعرض خطته .

زياد : "السادة ، إن التغيير الذي نسعى إليه ليس مجرد حلم بعيد المنال ، بل هو خطوة ضرورية لتحقيق بيئة اقتصادية أكثر عدالة واستقراراً . أنتم تعرفون جيداً أن الاقتصاد المزدهر يحتاج إلى بيئة مستقرة ، ومجتمع يشعر بالعدالة . دعمكم لنا يمكن أن يسهم في تحقيق هذا الهدف" .

بدأ رجال الأعمال يتبادلون النظرات ، وكانت التعابير تعكس ترددهم وحذرهم . كانوا يعرفون أن دعم مثل هذه الحركة قد يعرض مصالحهم للخطر ، خاصة في ظل نظام لا يتسامح مع المعارضة .

رجل الأعمال الأول (بصوت قلق) : "زياد ، نحن نفهم ما تقوله ، ولكن المخاطرة ليست جزءاً من خططنا . النظام يعاقب بقسوة ، ونحن لا نستطيع تحمل الخسائر . مصالحنا وأعمالنا تعتمد على استقرار النظام الحالي ، وأي تحرك قد يؤدي إلى خسائر كبيرة" .

زياد (بإصرار) : "أفهم مخاوفكم ، ولكن دعوني أشرح لكم كيف يمكن لهذا التغيير أن يعود بالنفع على الجميع . بيئة اقتصادية عادلة تعني زيادة في الاستثمارات ، وتحسين في البنية التحتية ، وتوسع في الأسواق . أنتم تعرفون جيداً أن الاستقرار الحقيقي يأتي من العدالة والتنمية المستدامة" .

بينما كان النقاش يحتدم ، دخل رجل الأعمال السيد سامي ، المعروف بفساده وانغماسه في غسيل الأموال وتعامله المشبوه مع السياسيين . كان رجلا ضخم البنية ، يرتدي بدلة فاخرة ويضع على وجهه ابتسامة متعجرفة . جلس على الطاولة ونظر إلى زياد بنظرة ازدراء .

السيد سامي (بصوت ساخر): "أوه، زياد، أتيت لتبيع لنا أحلامك الوردية عن التغيير والعدالة؟ دعني أخبرك شيئًا، هذا العالم لا يتحرك بالأحلام، بل بالمال والنفوذ. وأنت تحاول زعزعة هذا النظام الذي يعمل لصالحنا" .

حاول زياد أن يستخدم لغة المال والمصالح لإقناع رجال الأعمال ، متجاهلا تحريض السيد سامي .

زياد : "فكروا في الأمر كاستثمار طويل الأجل . إذا ساهمتم في تحقيق بيئة اقتصادية مستقرة وعادلة، فإن العوائد ستكون مضاعفة على المدى البعيد. السوق الذي يشعر بالعدالة والاستقرار يجذب الاستثمارات، ويزيد من النمو الاقتصادي. أنتم تعلمون جيداً أن الأسواق غير العادلة تؤدي إلى اضطرابات وخسائر" .

السيد سامي (بغضب): "استثماراتك؟ استثماراتك هذه ستذهب بنا إلى السجون! نحن نعيش في استقرار بفضل هذا النظام، وأنا لن أخاطر بأموالي ومصالحي من أجل أوهامك المثالية. رجال الأعمال هنا يدركون جيداً أن النظام الحالي هو الذي يحمي مصالحنا ويوفر لنا الأمان".

في تلك اللحظة، رن هاتف السيد فؤاد، وكانت المكالمة تحمل تحذيراً مبطنًا من مسؤول حكومي. كان الصوت على الجانب الآخر جافًا وقاسيًا، يحذر من أي محاولة لدعم الحركات المعارضة. أغلق السيد فؤاد الهاتف ونظر إلى زياد، عاكسًا مدى الضغط الذي يتعرض له رجال الأعمال.

السيد فؤاد (بصوت خافت): "أنت ترى يا زياد، نحن لسنا أحراراً في قراراتنا. النظام يراقب كل خطوة، وكل كلمة تُقال. نحن نخشى على حياتنا وحياة عائلاتنا".

شعر زياد بخيبة أمل عميقة، وهو يرى أن حتى من يملكون القدرة على تغيير الواقع يخشون من أن يفعلوا ذلك. كان يعلم أن الطريق لا يزال طويلا، وأن الحصول على دعم رجال الأعمال يتطلب تغييراً في العقلية والتفكير.

زياد (بخيبة أمل): "حتى من يملكون القدرة على تغيير الواقع يخشون من أن يفعلوا ذلك. لكنني لن أتوقف. سأبحث عن طرق أخرى لتحقيق التغيير. الأمل لا يموت، والإصرار هو ما سيقودنا في النهاية".

السيد سامي (بابتسامة ساخرة): "حسنًا، زياد. أتمنى لك حظًا سعيداً في إقناع الناس بأحلامك. لكن لا تتوقع دعمًا منا. نحن نعلم جيداً أين تكمن مصالحنا".

غادر زياد الاجتماع، وهو يشعر بثقل المسؤولية على كتفيه. كان يعرف أن الطريق مليء بالتحديات، ولكن إيمانه بالعدالة كان يدفعه للاستمرار. قرر أن يواصل محاولاته، وأن يبحث عن دعم من مصادر أخرى، مؤمنًا بأن التغيير يحتاج إلى الإصرار والتضحية.

المحاولة الثامنة عشرة: محاولة تشكيل تحالف مع الحركات الطلابية

في صباح يوم مشمس، كان زياد يتجول في حرم الجامعة الكبير، يشعر بالحماس والأمل. كان يؤمن بأن الشباب الجامعي يحمل طاقة وقوة يمكن أن تقود التغيير، وأن الحركات الطلابية يمكن أن تكون العمود الفقري لحركته. لكنه لم يكن غافلا عن التحديات؛ فقد لاحظ كيف أن الطلاب أصبحوا مستغرقين في عوالمهم الخاصة، منشغلين بألعاب الفيديو مثل "ببجي" و"فورتنايت"، وبالاهتمام بالموضة والأناقة.

زياد (محدثًا نفسه): "الشباب هم المستقبل. هم النواة الحقيقية لأي تغيير. إذا استطعنا إيقاظهم من سباتهم، فإننا سنحرك الجبال".

بدأ زياد بالتخطيط للقاء مع قادة الحركات الطلابية. كان يعلم أن الأمر لن يكون سهلا، خاصةً وأن معظم الطلاب كانوا يعيشون في حالة من اللامبالاة، مستغرقين في حياتهم اليومية، بعيدين عن السياسة والنضال. كانوا مهتمين أكثر بأحدث صيحات الموضة، وألعاب الفيديو، والعلاقات الاجتماعية السطحية.

كان الحرم الجامعي يعج بالحياة، الطلاب يتنقلون بين القاعات الدراسية والمكتبة والمقاهي الصغيرة المنتشرة في كل زاوية. كان بإمكانك سماع الضحكات والأحاديث الجانبية حول آخر مباراة كرة قدم أو أحدث حلقات المسلسلات الشهيرة. كل ذلك كان يشكل خلفية لضجيج الصمت السياسي الذي أراد زياد كسره.

اجتمع زياد مع مجموعة من قادة الحركات الطلابية في إحدى القاعات الدراسية. كانت القاعة مليئة بالطلاب الذين يتحدثون بصوت عال عن أحدث الألعاب الإلكترونية والموضة. جلس زياد في المقدمة، محاولا لفت انتباههم إلىً أهمية القضية التي جاء من أجلها.

زياد: "أيها الشباب، أنتم المستقبل، أنتم الطاقة التي يمكن أن تحرك هذا البلد نحو التغيير. إذا لم نقم نحن بالتحرك، فمن سيفعل؟"

رغم محاولاته الجادة، واجه زياد ترددًا واضحًا ولا مبالاة من قبل العديد من الطلاب. كانوا منشغلين بهواتفهم، وبعضهم كان يسخر من فكرته.

الطالب الأول (بصوت ساخر): "أنت تتحدث عن الثورة والتغيير، ونحن هنا بالكاد نستطيع أن نركز على دروسنا. التظاهر يعني الطرد من الجامعة وربما السجن. نحن لا نستطيع تحمل هذه المخاطر".

طالبة (بتبرج وأناقة): "نحن نعيش حياتنا ونستمتع بها. لماذا نضع أنفسنا في مواجهة مع النظام؟ لدينا أحلام وطموحات شخصية، ولا نريد أن نضحي بها".

بينما كان النقاش يدور، وقف أحد الطلاب المعروفين بسخريته الدائمة، واسمه كمال، وأطلق تعليقًا ساخرًا زاد من التوتر في الغرفة.

كمال (بصوت عال): "كيف لشخص مثل زياد أن يتحدث عن الثورة؟ هل يعتقد أننا سنضحي بكل شيءٍ من أجل أحلامه؟ نحن نعيش في عالم واقعي، والعالم الذي يتحدث عنه هو مجرد وهم".

شعر زياد بالإحباط، لكنه لم يكن مستعداً للاستسلام. نظر إلى كمال بثبات، محاولا أن يجيب بطريقة تجمع بين الحزم والأمل.

زياد: "أفهم مخاوفكم، وأدرك أن النظام قد زرع الخوف في قلوب الجميع. لكن أليس من حقنا أن نحلم بعالم أفضل؟ أليس من حقنا أن نسعى لتغيير واقعنا؟ نعم، التظاهر يحمل مخاطر، لكن السكوت يحمل مخاطر أكبر. المستقبل الذي نطمح إليه لا يأتي بالجلوس والانتظار، بل بالعمل والشجاعة".

زياد (في داخله): "أعرف أن الكلمات وحدها لا تكفي. هؤلاء الشباب يحتاجون إلى رؤية الأمل في أعيننا، يحتاجون إلى أن يشعروا بأننا نفهم مخاوفهم، وأننا نشاركهم هذه المخاوف. التغيير لا يأتي بسهولة، لكنه يأتي بالشجاعة والإصرار".

رغم السخرية واللامبالاة، بدأت كلمات زياد تجد طريقها إلى قلوب بعض الطلاب. لاحظ زياد أن هناك من بدأوا في الاستماع بإمعان، وبدأت بعض العيون تلمع ببريق الأمل.

الطالبة ندى (بصوت متردد): "زياد، نحن نخاف، لكن ربما نحن بحاجة لشخص مثلك ليقودنا. الخوف من الطرد والسجن حقيقي، ولكن ربما التغيير يستحق المخاطرة".

زياد (بابتسامة خفيفة): "ندى، الخوف هو جزء من الرحلة، لكنه ليس نهاية الطريق. إذا اتحدنا، يمكننا مواجهة هذه المخاوف معًا. يمكننا أن نصنع الفرق، وأن نبني مستقبلا أفضل لنا ولأبنائنا".

بعد الاجتماع، التقى زياد بندى وكمال في مقهى قريب من الجامعة. جلسوا في زاوية هادئة، يتبادلون الحديث بشكل أعمق عن مخاوفهم وطموحاتهم.

ندى (بصوت هادئ): "أفكر كثيراً في كلامك يا زياد. أريد أن أكون جزءاً من التغيير، لكنني أخشى العواقب".

كمال (بصوت أقل سخرية): "أنا أيضًا أريد أن أرى تغييرًا، لكنني لا أستطيع تحمل فكرة الطرد من الجامعة. نحن نحتاج إلى ضمانات".

زياد (بإصرار): "لا يمكننا أن نحصل على ضمانات في هذه الحياة، ولكن يمكننا أن نخلق الأمل بأنفسنا. أنتم النواة الحقيقية لأي تغيير. دعونا نعمل معًا، ونواجه المخاوف سوية".

في إحدى زوايا الحرم الجامعي، كانت هناك مجموعة من الطلاب يلعبون كرة القدم بفرح، بينما كانت مجموعة أخرى تجلس تحت ظل شجرة ضخمة تتحدث عن آخر الأفلام. هذه الأجواء كانت تعكس تناقض الحياة الجامعية؛ بين البحث عن المتعة واللامبالاة تجاه القضايا الكبرى.

بدأ بعض الطلاب يشعرون بالتحول الداخلي، ربما بشكل غير ملموس. لكن زياد كان يرى تلك الشرارات الصغيرة التي قد تتحول يومًا إلى نار عظيمة. بدأ الطلاب يتبادلون النظرات، وبعضهم بدأ يفكر بجدية في الانضمام إلى الحركة.

ورغم البداية الواعدة، كانت التحديات لا تزال كبيرة. كان على زياد أن يواجه ليس فقط النظام، بل أيضًا الخوف المتأصل في نفوس الناس. لكنه لم يكن مستعداً للاستسلام. كانت كل خطوة صغيرة، وكل كلمة تشجيعية، تساهم في بناء مستقبل أفضل.

زياد (بصوت داخلي مليء بالإصرار): "لن أتوقف، لن أستسلم. الحرية تستحق كل تضحية، وكل خطوة نحو الأمام هي خطوة نحو تحقيق العدالة للجميع".

غادر زياد الاجتماع بشعور من الإحباط والأمل. كان يعرف أن الطريق لن يكون سهلا، وأن كسب دعم الحركات الطلابية يحتاج إلى وقت وصبر. لكن رؤية بعض الطلاب يبدأون في التفكير بجدية في الانضمام إلى حركته أعطته دفعة قوية للاستمرار.

زياد (بصوت داخلي مليء بالإصرار): "لن أتوقف، لن أستسلم. الحرية تستحق كل تضحية، وكل خطوة نحو الأمام هي خطوة نحو تحقيق العدالة للجميع". .

المحاولة التاسعة عشرة: محاولة الحصول على دعم من المنظمات غير الحكومية

في إحدى الأمسيات الهادئة، جلس زياد في مكتبه الصغير، محاطًا بأوراقه وخططه، يفكر في الخطوة التالية لحركته. كانت فكرة التواصل مع المنظمات غير الحكومية، التي تعمل في مجال حقوق الإنسان والديمقراطية، تلوح في ذهنه كأمل جديد. كان يعرف أن هذه المنظمات تحمل في طياتها مبادئ الحرية والعدالة والإخاء، وأنها قد تكون داعمة قوية لحركته.

بدأ زياد بإعداد خطط مفصلة، مستندات توضح أهداف الحركة، التحديات التي تواجهها، والفرص التي يمكن أن تقدمها هذه المنظمات. كان يأمل أن يجد في هذه المؤسسات حلفاء جدداً، قادرين على تقديم الدعم المالي والمعنوي الذي يحتاجه لتحقيق التغيير المنشود. تذكر زياد كيف أن تجاربه السابقة مع النظام القمعي قد صقلته وأعطته الدافع لمواصلة نضاله، ولم يكن يريد أن يخسر الأمل الآن.

زياد (محدثًا نفسه): "إنهم يحملون شعارات نبيلة، ويسعون لتحقيق العدالة والحرية. لا بد أن يجدوا في حركتنا ما يستحق الدعم والمساندة".

كان زياد قد نشأ في عائلة عانت من القمع السياسي لفترة طويلة. فقد والده في إحدى الحملات القمعية، مما زرع فيه روح المقاومة والرغبة في تغيير النظام الجائر. كانت تلك التجارب القاسية هي التي جعلته يكرس حياته للنضال من أجل الحرية والعدالة.

اجتمع زياد مع مجموعة من ممثلي المنظمات غير الحكومية في مكتبهم الفخم الواقع في قلب المدينة. كانت القاعة تزينها شعارات حقوق الإنسان، والديمقراطية، والعدالة. جلس زياد في المقدمة، محاولا أن يعرض عليهم خطته بحماس وثقة.

زياد: "السادة، نحن نسعى لتحقيق تغيير حقيقي في مجتمعنا. حركتنا تعتمد على مبادئ الحرية والعدالة التي نعلم أنكم تؤمنون بها. نحن بحاجة لدعمكم المالي والمعنوي لتحقيق هذا الهدف النبيل".

كانت المنظمة تعج بالنشاط اليومي، حيث يعقد الموظفون الاجتماعات ويتبادلون الأفكار حول كيفية تحسين حقوق الإنسان وتعزيز الديمقراطية. كان الجو مشحونًا بالحيوية، لكن البيروقراطية كانت دائمًا حاضرة كظل ثقيل يعطل حركتهم. زياد لاحظ كيف أن الأمل يملأ عيون البعض، بينما كان التردد والخوف يسيطران على الآخرين.

رغم حماسه وإيمانه العميق بمبادئ الحرية، وجد زياد نفسه يواجه جداراً من البيروقراطية والتعقيدات القانونية. كان ممثلو المنظمات يتبادلون النظرات الجافة، والتعابير الباردة تعكس ترددهم وحذرهم.

ممثل المنظمة الأول (بصوت جاف): "زياد، نحن نواجه قيوداً قانونية صارمة. تقديم الدعم المباشر لحركتكم قد يعرضنا لمشاكل كبيرة مع السلطات. نحن نحترم ما تسعون لتحقيقه، ولكن البيروقراطية تعيق حركتنا".

سامر، المحامي الشاب في المنظمة، كان قد انضم إليها بعد أن تخرج بتفوق من كلية الحقوق. كان يؤمن بقوة بالعدالة والحرية، وقد واجه العديد من التحديات مع النظام البيروقراطي الذي يحاول تقييد حركة المنظمات. سامر كان متحمساً لرؤية تغيير حقيقي، وكان يجد في قضية زياد فرصة لتجسيد مبادئه.

لم يكن زياد مستعداً للاستسلام. نظر إلى الحاضرين بثبات، محاولا أن يقنعهم بضرورة تجاوز هذه البيروقراطية من أجل تحقيق العدالة الحقيقية.

زياد: "أليس من واجبنا أن نواجه هذه القيود لنحقق ما نؤمن به؟ الحرية والعدالة لا تأتي بسهولة، ونحن هنا لنعمل معًا لتجاوز هذه التحديات. يجب أن نجد طرقًا للتعاون تتجاوز هذه البيروقراطية المقيتة".

لكن لم يكن الجميع في القاعة يؤمنون بنفس القدر من النقاء. كان هناك من يسعى للتكسب باسم المدنية وحقوق الإنسان، مستفيداً من التعقيدات البيروقراطية لزيادة نفوذه وثروته.

ممثل المنظمة الثاني (بصوت ملؤه الرياء): "نحن نقدر جهودكم يا زياد، لكن علينا أن نكون واقعيين. الدعم يحتاج إلى إجراءات قانونية معقدة، والتمويل يتطلب موافقات طويلة. نحن نواجه تحديات كبيرة من الناحية الإدارية".

كان زياد يشعر بالخيبة تتسرب إلى قلبه. كيف يمكن لمنظمات تحمل شعارات الحرية والعدالة أن تكون مكبلة بهذا القدر من القيود؟ كيف يمكن للبيروقراطية أن تحول دون تحقيق ما ينادون به؟

زياد (بخيبة أمل): "حتى منظمات حقوق الإنسان مكبلة بقيود البيروقراطية. كيف يمكننا أن نحقق العدالة إذا كنا نخشى من الأوراق والإجراءات؟"

بينما كان زياد يشعر بالإحباط، اقترب منه محامي شاب يعمل في المنظمة، يدعى سامر. كان سامر يبدو متحمسًا ومتعاطفًا مع قضية زياد.

سامر (بهدوء): "زياد، أود التحدث معك بشكل خاص. أعتقد أن هناك طرقًا قانونية يمكننا استكشافها لتجاوز هذه القيود".

في مكتب منفصل، جلس زياد مع سامر الذي بدأ يشرح له بعض الثغرات القانونية والإجراءات البديلة التي يمكن أن تساعد في الحصول على الدعم دون تعريض المنظمة للمشاكل القانونية.

سامر: "يمكننا استخدام بعض الصناديق الخاصة بالدعم غير المباشر، وتجنب المواجهة المباشرة مع السلطات. الأمر يتطلب بعض التحايل، لكنني أعتقد أنه ممكن".

رغم خيبة الأمل التي شعر بها زياد في البداية، وجد في كلمات سامر نفحة أمل. قرر أن يستمر في محاولاته، وأن يبحث عن طرق أخرى للحصول على الدعم. كان يعلم أن الطريق مليء بالتحديات، لكن الأمل في تحقيق العدالة كان يدفعه للاستمرار.

زياد (بصوت داخلي مليء بالإصرار): "لن أستسلم. الطريق إلى الحرية مليء بالعقبات، لكننا سنواصل السعي نحو العدالة. الأمل هو ما يدفعنا إلى الأمام، ولن نتوقف حتى نحققه".

بعد الاجتماع، تجول زياد في القاعة والتقى ببعض أعضاء المنظمة والناشطين. استمع إلى آرائهم ونصائحهم، وشعر بالدعم المعنوي من البعض الذي أبدى استعداده للمساعدة بطرق غير تقليدية.

ناشطة: "زياد، نعلم أن الأمر ليس سهلاً، لكننا نؤمن بك وبما تسعى لتحقيقه. لا تفقد الأمل، وسنكون بجانبك بقدر ما نستطيع".

زياد (بابتسامة): "شكراً لكم. معًا، يمكننا أن نصنع الفرق. لن نسمح للبيروقراطية أن تعيق نضالنا من أجل الحرية والعدالة".

غادر زياد الاجتماع بشعور من الإحباط والأمل. كان يعرف أن الطريق لن يكون سهلا، وأن كسب دعم المنظمات غير الحكومية يحتاج إلى وقت وصبر. لكن رؤية بعض الأعضاء يظهرون تعاطفهم واستعدادهم للمساعدة أعطته دفعة قوية للاستمرار.

زياد (بصوت داخلي مليء بالإصرار): "لن أتوقف، لن أستسلم. الحرية تستحق كل تضحية، وكل خطوة نحو الأمام هي خطوة نحو تحقيق العدالة للجميع"...

المحاولة العشرون: محاولة تحريك المجتمع الرياضي

كان زياد جالسًا في مدرجات الملعب الكبير، مشجعًا متحمسًا لنادي الزوراء. منذ صغره، كان يحلم بأن يكون لاعب كرة قدم مشهور، لكن الأحداث السياسية التي عصفت ببلاده حولت مساره إلى النضال من أجل الحرية. في طفولته، كان يلعب الكرة في شوارع الحي، يحلم بارتداء قميص النادي، إلا أن الظلم والاضطهاد الذي شهده حول أحلامه إلى كفاح ضد النظام الجائر. كان يشاهد اللاعبين وهم يركضون على الملعب بمهارة وحماس، والجماهير تردد الهتافات بحماس، مما ألهب في قلبه فكرة جديدة: ماذا لو استطاع تحويل هذا الحماس الرياضي إلى زخم ثوري كبير؟

بدأ زياد بالتخطيط للقاء مع بعض اللاعبين والمدربين من نادي الزوراء. كان يعرف أن الأمر لن يكون سهلا، خاصةً وأن الرياضيين كانوا مرتبطين بعقود صارمة مع الأندية والجهات الراعية. لكنه كان يأمل أن يجد بينهم من يؤمن بالقضية ويدرك أهمية التغيير. فكر زياد في استخدام أسلوب الترغيب لإغراء الرياضيين بفوائد ملموسة يمكن تحقيقها من خلال دعم حركته.

زياد (محدثًا نفسه): "الرياضة تجمع الناس. إذا استطعنا استمالة هؤلاء الرياضيين لدعم حركتنا، فإننا سنحقق زخمًا لا يمكن إيقافه. يمكننا أن نوفر لهم الفرص للبطولات القارية والعالمية، وننشئ أكاديميات رياضية مخصصة لتطوير مهاراتهم".

اجتمع زياد مع مجموعة من اللاعبين والمدربين في إحدى القاعات الملحقة بالملعب. كانت القاعة مزينة بصور البطولات والإنجازات الرياضية، ولكن الجو كان مشحونًا بالتوتر والترقب. بدأ زياد يعرض عليهم خطته بحماس وثقة، مستخدمًا أسلوب الترغيب.

زياد: "السادة، نحن نسعى لتحقيق تغيير حقيقي في مجتمعنا. أنتم تعلمون جيدًا أن لديكم تأثير كبير على الجمهور. دعمكم لنا يمكن أن يكون حاسمًا في تحقيق هذا الهدف النبيل. نحن نخطط لتنظيم بطولات قارية وعالمية، وتوفير أكاديميات رياضية مخصصة لتطوير مهاراتكم، مما سيفتح أمامكم أبواب الشهرة والنجاح على المستوى الدولي".

قبل الاجتماع، اعتاد زياد الذهاب إلى المقهى صباحًا، حيث يجتمع بأصدقائه الناشطين. كان المقهى يعج بالحياة والنقاشات الحامية حول الأوضاع السياسية، وكيف يمكن تغيير الواقع. كان زياد يستمع بشغف إلى قصص النضال من زملائه، ويشاركهم أفكاره وخططه المستقبلية. كان يؤمن بأن الأمل يبدأ من النقاش الصادق والإصرار على التغيير.

رغم محاولاته الجادة واستخدامه لأسلوب الترغيب، وجد زياد نفسه يواجه جداراً من الرفض والتردد من قبل الرياضيين. كانوا يخشون من فقدان عقودهم ومكانتهم، وكانت نظراتهم تعكس تردداً وحذراً كبيرين.

الرياضي الأول (بصوت حذر): "زياد، نحن ملتزمون بعقودنا، وأي تحرك يمكن أن ينهي مسيرتنا المهنية. نحن نفهم ما تسعى إليه، لكن المخاطرة كبيرة جدًا".

لم يكن زياد مستعداً للاستسلام. حاول أن يوضح للرياضيين أن التغيير الذي يسعى إليه ليس مجرد حلم بعيد المنال، بل هو خطوة ضرورية لتحقيق بيئة رياضية واجتماعية أكثر عدالة واستقرارًا.

زياد: "أفهم مخاوفكم، ولكن دعوني أشرح لكم كيف يمكن لهذا التغيير أن يعود بالنفع على الجميع. بيئة رياضية عادلة تعني زيادة في الاستثمارات، وتحسين في البنية التحتية، وتوسع في الفرص. أنتم تعرفون جيدًا أن الاستقرار الحقيقي يأتي من العدالة والتنمية المستدامة".

المدرب حسن، الذي كان رياضيًا سابقًا تعرض للاضطهاد، كان يشعر بصراع داخلي بين الحفاظ على مهنته ودعم الحركة الثورية. تذكر حسن كيف كانت حياته قبل الاضطهاد، وكيف تغيرت عندما تعرض للظلم. كان يؤمن بأن الحرية والعدالة تستحقان التضحية.

الملعب يمكن أن يشبه ساحة المعركة، حيث يحتاج اللاعبون للشجاعة مثل الجنود. العشب الأخضر في الملعب يمكن أن يكون رمزاً للتجديد والأمل، وكيف أن التغيير يشبه إعادة زراعة الملعب ليصبح أكثر خضرة ونضارة.

بينما كان النقاش يحتدم، وقف لاعب سابق معتزل يعرفه الجميع كنموذج للنضال الرياضي. كان اللاعب أحمد قد خاض معارك كثيرة في حياته الرياضية، وكان يؤمن بأن الشجاعة تتطلب مواجهة الظلم.

أحمد: "يا شباب، التغيير يحتاج إلى شجاعة. نحن نعيش في مجتمع يحتاج إلى العدالة. إذا لم نقف نحن مع زياد، فمن سيقف؟ نحن جزء من هذا المجتمع، ويجب أن نكون جزءاً من التغيير".

بدأت كلمات أحمد تؤثر على الحاضرين. رأى زياد في أعين اللاعبين بعض البريق، وبدأ يشعر أن هناك أملا حقيقيًا في تغيير مواقفهم.

زياد (بابتسامة خفيفة): "شكراً لك يا أحمد. أنتم تعرفون جيدًا أن التغيير لا يأتي بسهولة، لكنه يأتي بالشجاعة والإصرار. إذا اتحدنا، يمكننا أن نصنع الفرق".

بعد الاجتماع، التقى زياد بأحد المشجعين الذين يعرفهم من المدرجات. كان المشجع يتحدث بحماس عن آخر مباريات ريال مدريد وبرشلونة، ولم يظهر أي اهتمام بالقضايا المحلية.

زياد: "مرحبًا، كيف ترى الوضع الرياضي هنا في البلد؟"

المشجع (بلا مبالاة): "أنا مشغول بمباريات ريال مدريد وبرشلونة، هؤلاء النجوم هم من يشعلون حماسي. الأمور السياسية لا تهمني كثيراً، أنا هنا للاستمتاع بالكرة فقط".

شعر زياد بخيبة أمل مضاعفة بعد حديثه مع المشجع. أدرك أن كثيراً من الشباب مفرطون في اهتمامهم بالرياضة بشكل يجعلهم غير مبالين بالقضايا المهمة في بلدهم. كان يرى كيف أن الجماهير تملأ المدرجات وتهتف بحماس لفرقهم المفضلة، ولكن عندما يتعلق الأمر بمستقبل بلدهم، فإن الحماسة تتلاشى ويحل محلها اللامبالاة.

زياد (بحزن داخلي): "كيف يمكن أن نحرك هذه الجماهير نحو قضية أعمق وأكثر أهمية؟ كيف يمكننا أن ننتزعهم من تعصبهم لأندية أجنبية ليصبحوا جزءاً من التغيير في وطنهم؟"

رغم هذا الإحباط ، بدأ بعض اللاعبين يشعرون بالتحول الداخلي . رأى زياد أن هناك من بدأ يفكر بجدية في الانضمام إلى حركته . كان يعرف أن الطريق لن يكون سهلا ، لكنه كان يرى أن هناك بداية تحول حقيقية .

غادر زياد الاجتماع بشعور من الإحباط والأمل . كان يعرف أن الطريق لن يكون سهلا ، وأن كسب دعم الرياضيين يحتاج إلى وقت وصبر . لكن رؤية بعض اللاعبين والمدربين يظهرون تعاطفهم واستعدادهم للمساعدة أعطته دفعة قوية للاستمرار .

زياد (بصوت داخلي مليء بالإصرار) : "لن أتوقف، لن أستسلم. الحرية تستحق كل تضحية ، وكل خطوة نحو الأمام هي خطوة نحو تحقيق العدالة للجميع" . . .

المحاولة الواحدة والعشرون : محاولة استمالة الإعلام المستقل

كان زياد يدرك أن الإعلام المستقل هو الأمل الأخير لإيصال صوت الشعب وتحقيق التغيير . قرر التواصل مع وسائل الإعلام التي لا تخضع لسيطرة النظام ، على أمل أن يجد بينهم من يملك الشجاعة للوقوف بجانب قضيته . مع اقتراب تمرير قانون جديد يضيق الخناق على حرية الإعلام ، ازدادت أهمية هذا التحرك بالنسبة له .

بدأ زياد بإعداد مواد إعلامية قوية ، مقاطع فيديو مؤثرة ، مقالات مكتوبة بعناية ، وشهادات حية لأشخاص يعانون من ظلم النظام . كانت هذه المواد تعكس عمق المعاناة التي يعيشها الشعب ، وتسلط الضوء على أهمية التحرك نحو التغيير . أرسل زياد هذه المواد إلى وسائل الإعلام المستقلة ، على أمل أن يتم نشرها وإيصال رسالته إلى أكبر عدد ممكن من الناس .

زياد (محدثًا نفسه) : "إذا تمكنا من الوصول إلى الناس عبر وسائل الإعلام المستقلة ، فإننا نكون قد كسبنا نصف المعركة . الإعلام هو السلطة الرابعة ، وإذا كانت هذه السلطة بيد الحق ، فإنها ستكون قادرة على تحريك الجبال" .

بينما كان زياد يستعد للقاء أحد الإعلاميين المستقلين ، عاد بذاكرته إلى أيام شبابه ، حين كان يجلس لساعات أمام التلفاز يشاهد البرامج الإخبارية والتقارير الصحفية . كان يؤمن بأن

الإعلام يمكن أن يكون سلاحًا للتغيير، وأن الحقيقة لا يمكن إسكاتها. تلك الذكريات هي التي دفعته للمضي قدمًا رغم كل الصعوبات.

تواصل زياد مع مجموعة متنوعة من الإعلاميين المستقلين، حيث واجه مواقف مختلفة تعكس تنوع الشخصيات والآراء:

الإعلامي الهادئ والداعي للتغيير التدريجي:

- إعلامي ذو خبرة طويلة، يؤمن بضرورة التغيير لكنه يفضل الحذر والتدرج في طرح المواضيع الحساسة.
- الإعلامي: "زياد، نحن نتفق على ضرورة التغيير، لكن لا يمكننا القفز إلى المجهول. النظام قوي، وإذا قمنا بخطوات جريئة جداً قد نخسر كل شيء. دعونا نعمل على التغيير التدريجي ونبني التحالفات بعناية".
- زياد (بهدوء): "أنا أفهم قلقك، لكن الوقت يداهمنا. النظام لن يمنحنا الوقت الكافي إذا لم نتحرك الآن".

الإعلامي المتطرف اليساري:

- شاب مندفع، يؤمن بالعنف الثوري كوسيلة لتحقيق العدالة، ويرى أن الإعلام يجب أن يكون سلاحًا في معركة التغيير.
- الإعلامي: "الكلمات وحدها لا تكفي، زياد. نحن بحاجة إلى أفعال، إلى الثورة! الإعلام يجب أن يكون أكثر من مجرد ناقل للأخبار؛ يجب أن يكون محفزاً للثورة".
- زياد (بتحد): "الثورة ليست فقط عنفًا. الكلمة الصحيحة يمكن أن تشعل النار في قلوب النّاس، ولكنها تحتاج إلى حكمة وتخطيط".

الإعلامي المبتز للسياسيين:

- إعلامي معروف باستغلاله للمعلومات للحصول على مكاسب شخصية، يبتز السياسيين ويستخدم الإعلام كوسيلة لتحقيق ثروات.
- الإعلامي: "زياد، أنا أستطيع نشر موادك، ولكنك تعلم أن لكل شيء ثمن. إذا كنت جاداً في رسالتك، يجب أن تكون مستعداً لدفع ثمن انتشارها. الجميع يعرف أن الإعلام يحتاج إلى تمويل، ولا شيء يأتي بالمجان".

- زياد (بارتباك) : "هذه ليست قضية شخصية ، إنها قضية أمة . المال لن يشتري الحق ، ولكنه قد يشتري الصمت" .

الإعلامي المحاط بالتهديدات :

- إعلامي يعاني من ضغوط وتهديدات متواصلة من قبل النظام ، يحاول الحفاظ على استقلالية مؤسسته بقدر المستطاع .
- الإعلامي : "زياد ، نحن نواجه ضغوطًا هائلة . نشر موادك يعني تعريض مؤسستنا للانهيار . التهديدات مستمرة ، ونحن نحاول البقاء على قيد الحياة وسط هذا الطوفان" .
- زياد (بتعاطف) : "أفهم ما تمر به . الخوف يطوقنا جميعًا ، لكن الاستسلام يعني أنهم انتصروا" .

الإعلامي الضعيف والمستقل في الظاهر فقط :

- إعلامي يمنح هامشًا ضيقًا من الحرية من قبل النظام ليبدو مستقلا ، لكنه في الحقيقة يخشى الحديث عن مواضيع حساسة .
- الإعلامي : "زياد ، إسقاط النظام ليس بالأمر السهل . نحن نحاول أن نحافظ على ما لدينا من حرية ، مهما كانت ضئيلة . التحرك ضد النظام بشكل مباشر قد يؤدي إلى تدمير كل ما بنيناه" .
- زياد (بإصرار) : "ما تبنيه على الخوف سيهدمه الطغيان عاجلا أم آجلا . لا يمكننا التراجع الآن" .

الإعلامي القلق من القوانين الجديدة :

- إعلامي مهتم بالحفاظ على استقلالية مؤسسته ، لكنه قلق بشأن تمرير قانون جديد يهدد بحرية الإعلام ويزيد من الرقابة .
- الإعلامي : "زياد ، الوضع يتجه نحو الأسوأ . هناك حديث عن قانون جديد يضيق على الإعلام المستقل . إذا تم تمرير هذا القانون ، فحتى هذا الهامش الضئيل من الحرية سيختفي" .
- زياد (بتوتر) : "القانون الجديد هو سيف على رقاب الجميع . إذا لم نتحرك الآن ، سنكون جميعًا سجناء صمتنا" .

رغم تنوع الاستجابات التي تلقاها زياد، بدأت بعض وسائل الإعلام المستقلة بنشر المواد التي أرسلها. لكن سرعان ما بدأت الضغوط تتزايد، وتم التضييق على الإعلاميين. بعضهم تلقى تهديدات مباشرة، وآخرون واجهوا ضغوطًا اقتصادية وسياسية، بينما ازدادت المخاوف من تمرير القانون الجديد الذي سيقضي على ما تبقى من حرية الإعلام.

زياد (بقلق): "حتى الصوت الحر يواجه الخطر. كيف يمكن للإعلام أن يكون سلطة رابعة إذا كان مكبلاً بالخوف؟"

الإعلامي المستقل (بصوت متوتر): "نحن نواجه ضغوطًا هائلة. نشر موادك يعني نهاية مؤسستنا. ومع القانون الجديد، قد نُغلق إلى الأبد. نحن نؤمن بما تقوله، لكن الواقع أصعب مما تتخيل".

زياد حاول أن يناقش مع كل فئة من الإعلاميين بشكل منفصل، مستخدمًا لغة الإعلام وأدواته. كان يتحدث عن دور الإعلام في تشكيل الرأي العام، وكيف أن التغيير لا يمكن أن يحدث إذا استمر الإعلام في لعب دور المتفرج.

زياد: "أنتم تعرفون جيداً قوة الكلمة. الإعلام هو السلطة الرابعة، ولديه القدرة على قلب موازين القوى. إذا تخلت وسائل الإعلام عن دورها في نقل الحقيقة، فمن سينقل صوت الشعب؟"

الإعلامي القلق من القانون الجديد: "الواقع أن القانون الجديد سيجعل من الصعب علينا الاستمرار في نقل الحقيقة. الحكومة تريد أن تُخرس كل الأصوات المعارضة، ونحن على حافة الانهيار".

الإعلامي المتطرف: "الكلمات وحدها لا تكفي. يجب أن نتخذ موقفًا أكثر حزمًا، الإعلام يجب أن يكون سلاحًا في أيدي الثورة".

الإعلامي المبتز: "كل شيء له ثمن. الإعلام ليس استثناءً".

زياد: "الإعلام هو الضوء الذي يبدد ظلام الطغيان. إذا خمد هذا الضوء، فإن الظلام سيسود. الإعلام سيف ذو حدين؛ إذا استُخدم بشكل صحيح يمكنه قطع قيود الطغيان، لكن إذا وقع في الأيدي الخطأ قد يصبح أداة للقمع وتقييد الحرية".

غادر زياد الاجتماعات وهو يشعر بمزيج من الإحباط والخوف. كان يعلم أن الإعلاميين المستقلين يواجهون ضغوطًا هائلة، لكن خيبة الأمل كانت واضحة في عينيه. رأى كيف أن

الخوف والتهديدات قد كبّلوا الإعلاميين، حتى أولئك الذين كانوا يؤمنون بالحرية والعدالة. ورغم كل ذلك، لم يفقد الأمل.

في اللحظة التي خرج فيها من أحد الاجتماعات، تلقى رسالة على هاتفه من رقم مجهول: "نعلم ما تفعله، ولن نسمح لك بالاستمرار." كان هذا التهديد بمثابة ضربة قوية له، لكنه رأى أيضًا بصيصًا من الأمل عندما قرأ تقريرًا جريئًا في إحدى الصحف المستقلة صباح اليوم التالي. التقرير كان يتحدث عن نفس القضية التي كان يروج لها زياد.

زياد (بصوت داخلي مليء بالإصرار): "لن أستسلم. الإعلام هو سلاح قوي، وسأواصل البحث عن طرق لإيصال صوتنا، حتى لو كانت الأبواب تُغلق في وجوهنا. هناك دائمًا من يؤمن بالحق، حتى في أحلك الأوقات"..

المحاولة الثانية والعشرون: محاولة التواصل مع الشخصيات المؤثرة المعتدلة

كان زياد يدرك أن التغيير الحقيقي لا يمكن أن يأتي من خلال الثورة المسلحة وحدها، بل يحتاج إلى دعم الشخصيات المؤثرة التي تحمل أفكارًا قادرة على تغيير المجتمع من الداخل. هؤلاء المثقفون والفلاسفة لا يؤمنون بالثورة الحركية كوسيلة لإسقاط النظام، بل يرون أن التغيير يجب أن يأتي من خلال تغيير العقول وتثقيف الناس. زياد، المتشبع بفكرة الثورة، يواجه صراعًا داخليًا بين حاجته الملحة للتحرك السريع وإدراكه المتزايد لأهمية تغيير الفكر أولاً.

بدأ زياد في البحث عن هذه الشخصيات المعتدلة، الذين كانوا معروفين بتأثيرهم الكبير على المجتمع من خلال كتاباتهم وأفكارهم. كانت مهمته معقدة، فهو يعلم أن هؤلاء الأشخاص يؤمنون بأن التغيير العميق لا يمكن أن يحدث بين ليلة وضحاها، بل يحتاج إلى سنوات من العمل المستمر لتغيير الأفكار والعقليات.

زياد (محدثًا نفسه): "ربما تكون الثورة هي الطريق الأسرع، لكنها ليست دائمًا الأعمق. إذا لم نغير أفكار الناس، فما الذي سيمنع الطغاة من العودة؟"

اجتمع زياد مع مجموعة من الشخصيات المؤثرة المعتدلة في قاعة هادئة داخل مكتبة عريقة تعج برائحة الكتب القديمة. كان اللقاء مليئًا بالنقاشات الفلسفية العميقة، حيث حاول زياد

إقناعهم بدعم حركته الثورية. لكن هؤلاء المفكرين كانوا يرون الأمور من زاوية مختلفة، وقد أدت هذه النقاشات إلى ظهور العديد من الآراء المتباينة.

زياد: "التغيير الذي نتحدث عنه لا يمكن أن يحدث دون مواجهة النظام. نحن بحاجة إلى ثورة تقلب الطاولة على الطغيان، وإلا سيستمر الشعب في المعاناة".

الشخصية المؤثرة المعتدلة الأولى (بهدوء): "الثورات الحركية قد تُسقط أنظمة، لكنها نادراً ما تغير المجتمعات بشكل جذري. التغيير الحقيقي يبدأ من تغيير الأفكار والعقليات. إذا قمنا بتغيير الناس من الداخل، فإن النظام سيسقط من تلقاء نفسه عندما يفقد قاعدته الشعبية".

زياد (بتحد): "لكن النظام لن يترك لنا المجال لتغيير الأفكار. هو يسيطر على كل شيء: الإعلام، التعليم، وحتى الفكر العام. إذا لم نواجهه بقوة، فكيف سنتحرر من قبضته؟"

الشخصية المؤثرة المعتدلة الثانية (بنبرة فلسفية): "إذا واجهته بقوة، ستخلق فقط نظامًا جديداً بالقوة ذاتها. ولكن إذا بدأنا بتغيير الناس بأنفسهم، سنخلق مجتمعًا يقاوم الطغيان بالفكر، وليس بالعنف. التغيير من الداخل هو الأكثر ديمومة".

إحدى الشخصيات المعتدلة، وهي كاتبة ومفكرة معروفة، كانت في السابق ناشطة سياسية مؤمنة بالثورة كوسيلة للتغيير. لكنها شهدت الفشل المتكرر للثورات في إحداث تغيير حقيقي، ما دفعها إلى التحول نحو الإيمان بأهمية تغيير الأفكار بدلاً من الأنظمة. حكت قصتها لزياد قائلة:

الكاتبة (بتأمل): "في شبابي، كنت أؤمن بأن الثورة هي السبيل الوحيد لتحقيق العدالة. شاركت في احتجاجات وحركات سرية، لكنني رأيت كيف أن العنف والاضطرابات دمرت كل شيء في النهاية. ما نحتاجه حقًا هو ثورة فكرية، تغيير في العقول وليس مجرد تغيير في الحكومات".

بعد انتهاء اللقاء، جلس زياد بمفرده في المكتبة القديمة، غارقًا في أفكاره. كان الصراع الداخلي يعتمل في نفسه؛ فهو يعلم أن الوقت لا يرحم، وأن الشعب بحاجة إلى تغيير فوري. لكنه بدأ يتساءل: "هل يمكن أن تكون الثورة الفكرية هي الطريق الصحيح؟ هل يمكنني الانتظار حتى تتغير الأفكار بينما يعاني الناس؟"

زياد (في حوار داخلي): "الثورة يمكن أن تكون الشرارة التي تشعل التغيير، ولكن هل يمكن أن تستمر النار بدون تغذية؟ ربما يكون تغيير الأفكار هو الوقود الحقيقي. ولكن ماذا عن الذين يعانون الآن؟ هل يمكنني أن أطلب منهم الصبر حتى تنضج الأفكار؟"

في أحد المشاهد، يستشهد أحد المفكرين المعتدلين بالتاريخ، مشيراً إلى أن النهضة الأوروبية لم تكن نتاج ثورات عنيفة، بل جاءت نتيجة تغيير عميق في الأفكار والعقول.

المفكر: "النهضة الأوروبية لم تبدأ بثورات دموية، بل بتغيير الأفكار ونشر المعرفة. هذا التغيير الفكري هو ما قاد المجتمعات إلى التقدم والتحرر من القيود القديمة".

في المقابل، يعارضه مفكر آخر داخل المجموعة، وهو معتدل لكنه يؤمن بأن التغيير يتطلب توازنًا بين الأفكار والعمل الثوري.

المفكر الآخر: "أوافق أن الأفكار لها قوة كبيرة، لكن بدون تحرك حقيقي، ستبقى مجرد أفكار. التغيير يجب أن يكون متوازنًا بين الفكر والعمل الثوري. نحتاج إلى تغيير العقول، ولكننا نحتاج أيضًا إلى تحدي النظام القائم. التغيير الفكري وحده قد يستغرق أجيالاً، ولكن الثورة يمكن أن تسرع العملية".

أشار أحد المفكرين إلى أن ما يحدث في البلاد ليس معزولا عن العالم، وأن الأفكار العالمية حول الديمقراطية والحرية قد أثرت على الوضع المحلي.

المفكر: "ما نراه اليوم ليس مجرد صراع محلي، بل هو جزء من حركة عالمية. الأفكار حول الحرية والديمقراطية تنتقل عبر الحدود، وهي ما يزرع الأمل في نفوس الناس. نحن جزء من هذا التغيير العالمي، ويجب أن نكون واعين لذلك".

زياد (متفكرًا): "إذا كانت الأفكار تنتقل عبر الحدود، فهل يمكن أن تكون الثورة الفكرية أكثر تأثيراً من أي ثورة مسلحة؟"

أحد المفكرين يستخدم استعارة قوية ليشرح رؤيته: "الثورة هي كالعاصفة، قد تزيل الطغيان، ولكنها قد تقتلع الجذور الطيبة أيضًا. أما تغيير الأفكار فهو كالزرع؛ ينمو ببطء، ولكنه يؤسس لجذور عميقة لا يمكن اقتلاعها بسهولة".

زياد (بتفكر): "ربما يكون الزرع أبطأ، ولكنه بالتأكيد أكثر استقراراً. لكننا بحاجة إلى أن نبدأ الآن. يجب أن يكون هناك توازن بين الزرع والعاصفة، بين التغيير التدريجي والحركة السريعة".

بعد اللقاء، يتجول زياد في أرجاء المكتبة، حيث يلتقي بشاب من الجيل الجديد. هذا الشاب كان يستمع من بعيد إلى النقاش، ويعبر لزياد عن إيمانه بأن التغيير الفكري هو الطريق الأمثل للحرية.

الشاب: "أفكاركم بدأت تنتشر، وأنا أرى جيلي يتبنى هذه الأفكار. نحن نؤمن بالتغيير السلمي، ونريد بناء مجتمع جديد يقوم على الحوار والتفاهم. ربما نحن بحاجة إلى وقت، لكننا نرى الأمل في المستقبل".

كما يمكن إضافة مشهد يُظهر تأثير الأفكار التي يروج لها المفكرون على الناس في المجتمع. في أحد الأسواق، يتناقش البائعون والعملاء حول قضايا التغيير والإصلاح، مما يعكس بداية تحول حقيقي في الوعي العام.

البائع: "الأفكار التي نسمعها هذه الأيام مختلفة. الناس بدأوا يتحدثون عن التغيير الحقيقي، وليس فقط عن تغيير الوجوه".

يمكن أن يظهر في النقاشات أن هناك صراعًا بين الأجيال حول كيفية تحقيق التغيير. الجيل القديم، الذي عايش ثورات سابقة، يرى في الثورة المسلحة وسيلة فعالة، بينما الجيل الجديد يميل نحو التغيير الفكري والتدريجي.

المفكر الشاب: "نحن نعيش في زمن جديد. الثورات المسلحة أصبحت جزءًا من الماضي. نحتاج إلى تغيير حقيقي يبدأ من العقول. العنف لن يجلب إلا المزيد من العنف، لكن الأفكار يمكن أن تغير العالم".

زياد (بفكر): "ربما يجب أن أستمع لهذا الجيل الجديد. لقد عاشوا في عالم مختلف، وربما لديهم رؤية أوضح للمستقبل".

أحد المفكرين يشير إلى أهمية الزمن في تحقيق التغيير، ويثير نقاشًا حول كيف أن التغيير السريع قد يؤدي إلى نتائج غير مستدامة، بينما التغيير البطيء يؤسس لأسس قوية ودائمة.

المفكر: "الزمن قد يكون عدونا وصديقنا. التغيير السريع مغر، لكنه غير مستدام. أما التغيير البطيء، فهو ما يبني مجتمعات قوية على المدى البعيد. ًعلينا أن نتعلم الصبر والعمل المستمر".

زياد (بقلق): "لكن الوقت لا يرحم، والناس يعانون الآن. كيف يمكننا أن نوازن بين الحاجة الملحة للتغيير والحاجة لضمان استدامته؟"

عندما كان زياد يستعد للمغادرة، اقترب منه أحد المفكرين الكبار، الذي كان صامتًا طوال اللقاء. بدلاً من المغادرة بهدوء، قدم له اقتراحًا غير متوقع:

المفكر الغامض: "زياد، لقد استمعت لكل ما قيل اليوم. ربما لا ترى الأمر واضحًا الآن، لكن هناك طريقًا آخر. ما رأيك في الانضمام إلى حركة سرية تعمل على نشر الأفكار بطرق غير تقليدية؟ نحن نؤمن بأن الجمع بين الفكر والعمل يمكن أن يحقق تغييرًا حقيقيًا. لا تتخذ قرارك الآن، لكن فكر في الأمر".

زياد (مندهشًا): "حركة سرية؟ هل يمكن أن يكون هذا هو الحل الوسط الذي كنت أبحث عنه؟ سأفكر في الأمر بجدية".

في نهاية اليوم، خرج زياد من المكتبة وهو يشعر بمزيج من الإحباط والأمل. أثناء تجوله في الشوارع، التقى ببائع متجول كان يتحدث عن معاناته اليومية. شعر زياد بالعجز أمام معاناته، لكنه قرر أن يستمر في نضاله.

البائع: "الحياة صعبة يا سيدي، ونحن نحاول البقاء. لكن أحيانًا أشعر أن الأمور لن تتغير أبدًا".

زياد (بصوت داخلي): "كيف يمكنني أن أطلب من هؤلاء الناس الصبر بينما هم يعانون؟ هل يمكن أن تكون الأفكار وحدها كافية؟"

رغم صراعاته الداخلية، قرر زياد أن يستمر في بحثه عن الطريق الصحيح، مقتنعًا بأن الجمع بين الفكر والعمل قد يكون السبيل لتحقيق التغيير الذي ينشده.

المحاولة الثالثة والعشرون: محاولة الحصول على دعم من المغتربين

زياد كان دائمًا مؤمنًا بأن الجاليات العراقية في الخارج تحمل في طياتها قوة قد تكون مفتاحًا للتغيير. رغم المسافات الشاسعة والغربة التي أبعدتهم عن وطنهم، إلا أن زياد كان يأمل في أن يبقى الحنين للوطن متجذرًا في قلوبهم. هؤلاء المغتربون، الذين تركوا الوطن بحثًا عن

حياة أفضل، كانوا في نظره كالجذور التي تمتد في أعماق الأرض، ولكنها تحتاج إلى الماء لتستعيد قوتها وتزهر من جديد.

بدأ زياد بتنظيم سلسلة من المؤتمرات عبر الإنترنت، مستهدفًا الجاليات العراقية في مختلف البلدان. كانت الفكرة أن يجمع هؤلاء المغتربين في حوار مفتوح، يحثهم فيه على المشاركة في نضال الشعب العراقي ضد الفساد والظلم. كان يعلم أن الحياة في الغربة قد صنعت فجوة بين هؤلاء الناس ووطنهم، لكن الأمل لم يفارقه بأن يستطيع إشعال شرارة الحنين في قلوبهم من جديد.

زياد (محدثًا نفسه): "ربما تكون الغربة قد جرفت بعضهم بعيدًا، لكن جذورهم لا تزال في تراب الوطن. إذا تمكنا من توجيه أصواتهم لتكون صرخة واحدة، يمكننا إحداث تغيير حقيقي. العالم يستمع لمن يمتلك الصوت، ولديهم القدرة على رفع أصواتهم بأعلى ما يكون".

بدأت المؤتمرات الإلكترونية، واجتمع زياد مع أفراد من الجاليات العراقية في مختلف البلدان. كان يتحدث بحماسة، يعرض عليهم صوراً ومقاطع فيديو توثق معاناة الشعب تحت وطأة النظام القمعي. استخدم كل أداة بلاغية ممكنة، مستنداً إلى استعارات عميقة وصور شاعرية، محاولا أن يوقظ فيهم مشاعر الحنين والوطنية.

زياد (بصوت مليء بالعاطفة): "أنتم أوراق شجرة العراق التي سقطت في خريف مضطرب، لكن ريح الوطن قد تعيد جمعكم في ربيع جديد. جذوركم لا تزال ضاربة فيٍّ تراب هذا الوطن، ونحن بحاجة إليكم لتغذية شجرةً الحرية. يمكنكم أن تكونوا الجسر الذي يعبر بنا نحو عالم يفهم قضيتنا ويدعمها".

خلال إحدى المؤتمرات، تلقى زياد سؤالا من مغترب يعيش في أوروبا. كان صوت المغترب يحمل في طياته الحيرة والخوف، مما دفع زياد للتأمل في ما إذا كان يطلب منهم أكثر مما يستطيعون تقديمه.

المغترب (بتردد): "زياد، نحن نعيش هنا منذ سنوات طويلة. حياتنا استقرت، وأطفالنا ينشأون هنا. كيف يمكننا المخاطرة بكل هذا؟ نحن نتابع أخبار الوطن، لكن الواقع هنا مختلف. ماذا يمكننا أن نفعل حقًا؟"

زياد (بصوت هادئ لكنه حازم): "لا أطلب منكم العودة الجسدية، ولا أطلب منكم أن تهجروا ما بنيتموه. لكن الوطن بحاجة لأصواتكم، لمواقفكم. يمكنكم الكتابة، التحدث في

وسائل الإعلام، التواصل مع السياسيين في بلدانكم. كل كلمة منكم قد تكون الفرق بين الظلام والنور في وطننا".

رغم حماسه، بدأ زياد يشعر بالإحباط تدريجيًا. فمعظم المغتربين كانوا مشغولين بحياتهم الجديدة. قليلون فقط من أبدوا استعداداً للمساعدة، بينما البقية عبروا عن حزنهم لكنهم لم يستطيعوا تقديم الكثير. زياد كان يعيد التفكير في استراتيجيته، يتساءل عما إذا كان الزمن قد أبعد المغتربين نفسيًا عن وطنهم بنفس القدر الذي أبعدهم جغرافيًا.

المغترب الأول (بصوت حزين): "لقد غادرنا الوطن بحثًا عن الأمان والحياة المستقرة. لدينا عائلات وأطفال هنا. لقد بنت الغربة حاجزاً بيننا وبين الوطن، حاجزاً من الخوف من العودة أو المخاطرة".

المغترب الثاني (بواقعية): "نحن نشعر بمعاناتكم، ولكن حياتنا هنا أصبحت كل شيء. لدينا التزامات لا يمكننا التخلي عنها. القلوب قد تكون معكم، لكن الأيدي مقيدة".

زياد (بإحباط متزايد): "حتى من تركوا الوطن يخشون العودة إليه بأي شكل. هل يمكن أن تكون الغربة قد أزالت كل ما كان يربطهم بالوطن؟"

شارك بعض المغتربين قصصهم الشخصية خلال المؤتمرات. تحدث أحدهم عن نجاحه في بناء حياة جديدة في كندا، وكيف يشعر بالذنب كلما تذكر معاناة أهله في العراق.

المغترب (بصوت مفعم بالحنين والذنب): "نعم، لقد حققت النجاح هنا، ولكن كل مرة أرى فيها أخبار الوطن، أشعر أنني خذلت الجميع. العودة؟ العودة ليست خياراً. الوطن لم يعد كما كان، وأنا لم أعد كما كنت. نحن نبني هنا، نزرع مستقبلا لأبنائنا، لكن جذورنا... جذورنا لا تزال في العراق".

في إحدى المؤتمرات، كان هناك مغترب نشط أبدى حماسة كبيرة لدعم زياد في البداية، لكن فجأة تراجع عن دعمه وبدأ يتحدث بلهجة مختلفة.

المغترب النشط (بتردد): "زياد، فكرت كثيراً فيما قلته. لكن لدي عائلة هنا، وأطفال يعتمدون علي. لا يمكنني المخاطرة... النظام لن يتسامح مع أي تحرك ضدهم، وأنا لا أستطيع تحمل العواقب".

زياد (بخيبة أمل): "حتى من كانوا أقرب الناس إلينا يمكن أن يتخلوا عنا في اللحظة الأخيرة. ربما كانت توقعاتي أكبر مما ينبغي".

رغم الصعوبات، بدأ زياد يلاحظ تجمعات صغيرة من المغتربين بدأت تظهر، تدعم قضيته بطرق بسيطة. شكلت مجموعة من المغتربين لجنة صغيرة تهدف إلى دعم التغيير في العراق من خلال وسائل إعلامية ونشاطات إنسانية. كان هذا التحرك، رغم بساطته، بمثابة شعاع من الأمل في ظلام تلك اللحظة.

زياد (بأمل متجدد): "كل جهد صغير يمكن أن يصنع فارقًا. عندما يجتمع الناس من أجل قضية عادلة، تصبح أصواتهم قوة لا يمكن إيقافها. نحن في بداية الطريق، ولكننا بدأنا نتحرك".

بدلاً من أن ينتهي النص برسالة واحدة، بدأ زياد يتلقى سلسلة من الرسائل والدعوات من مغتربين مختلفين، بعضها مشجع وبعضها متردد. كانت هذه الرسائل تعكس تنوع المشاعر والانتماءات بين المغتربين، لكنهم جميعًا اتفقوا على شيء واحد: الوطن يستحق الجهد.

مغترب آخر (في رسالة إلكترونية): "زياد، لم أتمكن من التحدث في المؤتمر، لكني أريد أن أخبرك أنني بدأت حملة صغيرة هنا في مدينتي لجمع التبرعات لدعم النشاطات الإنسانية في العراق. لا يمكنني أن أعود، لكني أريد أن أفعل شيئًا من أجل الوطن".

زياد (بصوت داخلي مليء بالتفكير): "ربما لن يكون الأمر سهلا، وربما لن نرى التغيير غداً. لكن كل صوت يضاف إلى قضيتنا هو خطوة نحو النور. سنستمر، لأن الوطن يستحق ذلك".

في لحظة من التأمل، جلس زياد وحيداً بعد انتهاء أحد المؤتمرات. كان يفكر في مفهوم "المنفى" وكيف أن المنفى ليس فقط بعداً جغرافيًا ولكنه أيضًا حالة نفسية. تساءل زياد عما إذا كان المغتربون يعيشون في منفى داخلي، بعيدًا عن الجذور التي نشأوا منها، لكنه في الوقت نفسه أدرك أن بعضهم قد أصبح جزءاً من مكان آخر بطريقة لا يمكن التراجع عنها.

زياد (في تأمل عميق): "ربما يكون المنفى ليس فقط في البعد عن الوطن، بل في البعد عن الذات. هل يمكن أن تكون العودة مجرد وهم؟ وهل يمكن أن نعود حقًا إلى ما كنا عليه؟ أم أننا جميعًا تغيرنا بطريقة لا رجعة فيها؟"

بينما كان زياد يتحدث مع المغتربين، استخدم رمزية الضوء والظلام للتعبير عن الأمل الذي يمكن أن يجلبه دعمهم لقضيته. كان يمسك بمصباح صغير، يضيء به كلما تحدث عن الأمل والتغيير.

زياد (بصوت مؤثر): "هذا المصباح هو رمز للأمل الذي نحمله في قلوبنا. حتى في أحلك الأوقات، يمكن لشعلة صغيرة أن تضيء الطريق. أنتم تلك الشعلة، يمكنكم أن تكونوا النور الذي يكشف الظلام ويقودنا نحو الحرية".

فجأة، تلقى زياد دعمًا غير متوقع من شخصية معروفة من الجالية العراقية في الخارج، فنان مشهور قرر أن يستخدم شهرته لجلب الانتباه العالمي لما يحدث في العراق.

الفنان المشهور (في مكالمة هاتفية مع زياد): "زياد، استمعت إلى حديثك في المؤتمر. لقد تأثرت بما قلته، وأنا مستعد لدعم قضيتكم. سأستخدم منصتي لجعل صوتكم مسموعًا في جميع أنحاء العالم. لن نسمح لهذا الظلام أن يستمر".

زياد (بدهشة وسعادة): "لم أكن أتوقع هذا الدعم... ربما يكون هذا هو التحول الذي نحتاجه. شكراً لك، سنعمل معًا لجعل هذا الضوء يضيء كل ركن من أركان الوطن".

بدأ زياد في بناء علاقة مستمرة مع المغتربين من خلال تبادل الرسائل والبريد الإلكتروني بشكل دوري. كانوا يقترحون عليه أفكارًا جديدة ويصبحون جزءًا من حركته بشكل أكبر. كانت هذه العلاقة الجديدة بمثابة دعم معنوي كبير لزياد، مما جعله يشعر أن جهوده ليست عبثية.

زياد (في رسالة إلى أحد المغتربين): "لقد أصبحتم جزءًا من هذا النضال. كلماتكم وأفكاركم هي التي تدفعني للاستمرار. لن نتوقف حتى نرى وطننا حرًا ومستقلاً".

في أحد الأيام، التقى زياد شخصيًا بأحد المغتربين الذين عادوا إلى العراق لزيارة قصيرة. كانت هذه اللحظة مليئة بالعواطف، حيث عبر المغترب عن تأثره بالكلمات التي سمعها خلال المؤتمرات.

المغترب العائد (بتأثر): "زياد، عدت لأرى عائلتي، لكن ما رأيته هنا يجعلني أفكر في العودة بشكل دائم. كلماتك أشعلت في قلبي نارًا لم أكن أعلم أنها لا تزال موجودة. سأكون إلى جانبك، ولن ندع هذا الوطن يسقط".

زياد (بفرح وشعور بالمسؤولية): "وجودك معنا هو أكبر دعم يمكن أن نحصل عليه. معًا، سنبني وطنًا جديدًا يليق بأحلامنا"...

المحاولة الرابعة والعشرون: محاولة استخدام الموسيقى والغناء

زياد، الذي أدرك أهمية الفنون في تحريك وجدان الناس وتأجيج مشاعرهم، قرر أن يتوجه نحو الموسيقى والغناء كوسيلة لنشر رسالته الثورية. كانت الموسيقى عبر التاريخ صوتًا للحرية، وسلاحًا قويًا يمكن أن يصل إلى القلوب والعقول في وقت واحد. أراد زياد أن يستخدم هذا السلاح في مواجهة الظلم والفساد، مؤمنًا بأن الأغاني يمكن أن تكون أكثر تأثيرًا من الخطابات والشعارات.

بدأ زياد بتنظيم حفلات صغيرة، حيث جمع فيها بعض الموسيقيين والمغنين الذين شاركوا في الفعاليات الثقافية المحلية. كان يأمل أن يتمكن من تحويل هذه الفعاليات إلى منصة لإيصال رسالته الثورية. التقى زياد بكبار المغنين، طالبًا منهم أن يساعدوه في صياغة أغاني تعبر عن معاناة الشعب وتفضح الوضع السياسي المزري الذي يعيشه الوطن. كان يعلم أن الموسيقى قادرة على الوصول إلى قلوب الناس وإثارة مشاعرهم بطرق قد لا تستطيع الكلمات وحدها فعلها.

زياد (محدثًا نفسه): "الموسيقى هي لغة الشعوب. يمكن أن تتجاوز الحدود والقوانين، وتتسلل إلى القلوب لتزرع فيها بذور الحرية. إذا استطعنا أن نجعل الأغاني تنبض بروح الثورة، قد نتمكن من إيقاظ ضمير الأمة من جديد".

في إحدى الأمسيات، اجتمع زياد مع عدد من كبار المغنين والموسيقيين في استوديو صغير. كان الجو مشبعًا بالحماس، حيث تحدث زياد بشغف عن أهمية الموسيقى ودورها في إلهام الشعوب وتحريكها نحو التغيير. اقترح عليهم كتابة أغاني ثورية، تعبر عن الظلم الذي يعاني منه الشعب، وتفضح فساد النظام. استشهد زياد بأمثلة من الماضي، مثل منولوجات عزيز علي التي كانت تستخدم كسلاح سياسي فعّال في مواجهة الظلم. كانت أغانيه تمثل صوت الشعب، تنطق بمعاناته وتفضح أفعال الطغاة، وكانت تحفظ في الذاكرة كأغاني تحكي تاريخ النضال.

زياد (بصوت حماسي): "تذكروا كيف كان عزيز علي يستخدم الغناء كأداة سياسية. كانت منولوجاته تحمل رسائل قوية، تحرك النفوس وتثير العقول. لم يكن مجرد فنان، بل كان ثائرًا بصوته وكلماته. إذا استطعنا أن نعيد تلك الروح، يمكننا أن نحدث تأثيرًا لا ينسى".

لكن الحماسة التي شعر بها زياد لم تكن كافية لكسر حواجز الخوف لدى المغنين. كانوا مترددين في اتباع هذا الطريق، لأنهم كانوا يعلمون أن النظام يفرض رقابة صارمة على الفعاليات الثقافية، وأن أي تحرك في هذا الاتجاه قد يؤدي إلى نتائج وخيمة على مستقبلهم المهني. وللأسف، كان لبعضهم أولويات أخرى غير الوطن، ترتبط بالشهرة، والمشاهدات العالية، والظهور المستمر بالأساليب البارزة.

المغني الأول (بصوت حذر): "زياد، نحن ندرك أهمية ما تقوله، ونعلم أن الموسيقى يمكن أن تكون قوة مؤثرة. ولكن في نفس الوقت، علينا أن نفكر في مستقبلنا المهني. جمهورنا معتاد على أغاني الحب والعشق، ولا يمكننا المخاطرة بتغيير هذا النمط. إذا غنينا عن السياسة، سنفقد الجمهور، وسينخفض عدد المشاهدات بشكل كبير".

المغني الثاني (مؤيداً): "الشعب لديه فكرة أن الفنان يجب أن يبقى بعيداً عن السياسة. نحن نغني لنمنح الناس متنفساً من الحياة الصعبة، وليس لإثقالهم بالمزيد من الهموم. يمكننا أن نغني عن الحب، عن الجمال، عن الأحلام، ولكن السياسة... هذا أمر معقد وخطير".

المغني الثالث (بلهجة أكثر مباشرة): "النجومية تتطلب أن نحافظ على ما يبقينا في القمة. الناس يريدون الترفيه، يريدون الأغاني التي تجلب لهم الفرح والهروب من واقعهم. نحن نتبع الموضة، الستايلات الجديدة، ونبحث عن كل ما يزيد من شهرتنا ومتابعتنا على وسائل التواصل. أن نغني عن السياسة؟ هذا يعني المجازفة بخسارة كل شيء بنيناه".

زياد حاول أن يذكرهم بأن الفن كان دائماً في طليعة النضال من أجل الحرية. تحدث عن دور الموسيقى في تاريخ الحركات الثورية في العالم، وكيف كانت الأغاني أداة للتغيير، تُلهب مشاعر الناس وتحفزهم على التحرك. استشهد بتراث عزيز علي كمثال حي على كيفية استخدام الفن كأداة للنضال ضد الطغاة.

زياد (بإصرار): "لكن الفن هو روح الشعب، هو لسان حالهم. إذا لم يغني الفنانون عن معاناتهم وعن الظلم الذي يتعرضون له، فمن سيقوم بذلك؟ الأغاني قادرة على تحريك الجبال، إذا كانت تحمل في طياتها صدق المشاعر وعمق القضية. تذكروا منولوجات عزيز علي، كانت كالسيف في وجه الظلم، كانت تُسمع في كل بيت وتحفظ في ذاكرة الأجيال. نحن بحاجة إلى إعادة تلك الروح، روح المقاومة بالفن".

بينما كان زياد يتحدث، لاحظ ترددًا في عيون بعض الفنانين. كانوا يواجهون صراعًا داخليًا بين الالتزام برسالة الفن وبين الخوف من فقدان كل ما حققوه. أحد الفنانين، الذي نشأ في أسرة فقيرة ولم يكن لديه شيء سوى صوته ليصنع مستقبلا أفضل، بدأ يتذكر كيف كانت الأغاني وسيلته للهرب من حياة صعبة. لقد بنى شهرة ونجومية جعلته يتمتع بحياة لم يكن يحلم بها من قبل، ولكنه الآن يخشى أن يخسر كل ذلك.

الفنان المتردد (بصوت مليء بالتردد): "زياد، أفهم ما تقوله. لكنني كنت ذلك الطفل الفقير الذي لم يكن يملك شيئًا سوى صوته. لقد عملت بجد لأصل إلى هنا، ولا أستطيع المخاطرة بكل شيء. لقد كانت الأغاني وسيلتي للهروب من واقع مرير، وأنا أخشى أن أدخل في معركة قد لا أستطيع النجاة منها".

زياد، الذي كان يشعر بالإحباط من هذه الردود، قرر أن يواجه أحد الفنانين بشكل مباشر. تحدث بصراحة عن الأنانية والخوف الذي يمنعهم من استخدام موهبتهم لخدمة الوطن.

زياد (بغضب مكبوت): "هل أصبحت الشهرة والمشاهدات أهم من الوطن؟ هل نسيتم أن الفن يجب أن يكون رسالة، صوتًا للحقيقة؟ إذا كنتم تخشون الخسارة، فاعلموا أنكم تخسرون الآن شيئًا أكبر: احترامكم لأنفسكم. ماذا ستقولون لأبنائكم عندما يسألونكم أين كنتم عندما كان الوطن يحتاج إليكم؟"

الفنان (مدافعًا بتوتر): "الأمر ليس بهذه البساطة، زياد. النظام يراقبنا، إذا خرجنا عن المسار سنفقد عقودنا، سنخسر كل شيء. نعم، نحن نخاف، ولكن ليس فقط من فقدان المال أو الشهرة، بل من فقدان حياتنا وحياة من نحب".

زياد شعر بأن كلماته بدأت تترك أثرًا، لكن الخوف كان لا يزال يعشش في قلوب الفنانين. حاول استخدام رمزية "القناع" ليعبر عن حالة التظاهر التي يعيشها هؤلاء الفنانون، يخشون من إظهار وجوههم الحقيقية أمام النظام والجمهور.

زياد (بهدوء): "أنتم تضعون أقنعة لتحموا أنفسكم، لكن هذه الأقنعة تحجب عنكم نور الحقيقة. الفن يجب أن يكون صادقًا، شفافًا، لا يخاف من مواجهة الظلم. أنتم تجعلون أصواتكم موسيقى صامتة، جميلة لكنها بلا روح".

بعد مغادرة الاستوديو، التقى زياد بأحد الفنانين الذي بدا عليه التردد أثناء الاجتماع. الفنان، الذي كان قد قرر في البداية الابتعاد عن السياسة، وجد نفسه متأثرًا بكلمات زياد. تذكر أغنية

قديمة كان يغنيها في بداياته، كانت تتحدث عن الحرية والنضال. بدأ يشعر بأن الفن الحقيقي لا يجب أن يكون مجرد وسيلة للترفيه، بل وسيلة للتغيير.

الفنان المتردد (بصوت مليء بالتحول): "زياد، كنت أتجنب السياسة طوال حياتي، لكن كلماتك أثرت فيّ. ربما حان الوقت لأستخدم صوتي في المكان الذي يحتاجه الوطن. سأفكر جديًا في ما قلته".

رغم جهوده الكبيرة، وجد زياد نفسه أمام جدار من الرفض والخوف. الفنانون الذين كانوا يعتبرون أصوات الشعب، رفضوا الانخراط في هذا المسار الخطير. كانوا يخشون من فقدان شعبيتهم، ومن مواجهة قمع النظام. كانوا يرون أن حب الناس لأغانيهم يعتمد على بقائهم بعيدين عن السياسة، وأن الغناء عن الحب والعشق هو ما يضمن لهم النجاح والاستمرارية. ولكن الأهم بالنسبة لبعضهم، كان الحفاظ على شهرتهم، وجذب المزيد من المشاهدات، والبقاء في دائرة الضوء بكل الوسائل الممكنة.

زياد (بخيبة أمل عميقة): "حتى الفنون أصبحت مقيدة. حتى الأغاني التي كانت يومًا ما رمزًا للحرية أصبحت الآن مجرد وسيلة للترفيه وزيادة الشهرة. كيف يمكن أن نحرر الوطن إذا كانت أصوات الفنانين مكبلة بالخوف والطموحات الشخصية؟"

خرج زياد من الاستوديو وهو يشعر بثقل الهزيمة. كانت الموسيقى آخر أمل له في إحداث تغيير كبير عبر الفنون، لكنه أدرك أن هذا الطريق ليس سهلاً كما كان يظن. كانت القيود المفروضة على الفنانين أكبر من أن يتمكنوا من تجاوزها بسهولة. لكنه رغم ذلك، لم يفقد الأمل تمامًا. كان يعلم أن النضال يحتاج إلى صبر وإصرار، وأن كل محاولة، حتى وإن فشلت، هي خطوة نحو الهدف.

بعد مغادرته، تلقى زياد مكالمة هاتفية من أحد أصدقائه، الذي أخبره أن هناك بعض الفنانين الذين بدأوا يتحدثون بشكل خافت عن إمكانية دعم الحركة، وأن رسالته بدأت تترك أثرًا.

زياد (بصوت داخلي مليء بالتفكير): "ربما لم تنجح هذه المحاولة، لكنني لن أتوقف. سأبحث عن طرق أخرى، عن أصوات أخرى، تجرؤ على قول الحقيقة مهما كان الثمن. لأن الحرية تستحق التضحية، حتى لو كانت على حساب الشهرة"..

المحاولة الخامسة والعشرون: محاولة جذب الممثلين

تحت سماء تزينت بالنجوم كما تزينت المدينة بأضواء المهرجان السينمائي، تجمع نجوم الفن في قصر يلمع بالبريق والرفاهية. كل شيء هنا كان يصرخ بالفخامة، من السجاد الأحمر إلى فساتين السهرة المتألقة، لكن زياد كان يرى خلف هذه الألوان الزاهية ظلالا قاتمة تخفي وراءها حقيقة مؤلمة. لم يكن حضوره للمهرجان للبحث عن الشهرة أو التقاط الصور، بل لزرع بذور التغيير في قلوب الفنانين الذين يعتقد أن لديهم القدرة على إحداث فرق في المجتمع.

زياد (وهو ينظر إلى الحضور): "في هذا الحشد، تكمن قوة هائلة يمكن أن تشعل شرارة الثورة. لكن هل يدركون ذلك؟ هل يمكن أن يستخدموا فنهم لتغيير الواقع، لا للهروب منه؟"

بعد انتهاء العروض والتكريمات، انسلّ زياد نحو إحدى الصالات الجانبية حيث تجمع بعض كبار الممثلين في حديث خاص بعيداً عن ضجيج الإعلام. كان يعرف أن هذه اللحظة هي فرصته لفتح نقاش حقيقي حول دور الفن في محاربة الفساد وكشف الحقيقة.

زياد (بصوت هادئ ولكن مشحون بالعزم): "مساء الخير، أيها السادة. تألقتُم هذه الليلة كما تعودنا منكم في أعمالكم التي تخترق القلوب. لكنني هنا لأسألكم سؤالا يثقل كاهلي: لماذا لم نرَ في مسلسلاتكم وأفلامكم أي محاولة لتسليط الضوء على الفساد المستشري في رأس السلطة؟ أين أنتم من هموم الشعب وقضاياه؟"

الممثل الأول (مبتسماً بثقة، كمن اعتاد الرد على مثل هذه الأسئلة): "زياد، نحن هنا لنمنح الناس لحظات من الفرح والهروب من واقعهم الثقيل. الجمهور لا يريد أن يرى الفساد على الشاشة، بل يبحث عن الهروب إلى عوالم الحب والصداقة والدراما العائلية".

زياد (بنبرة أكثر حدة وكلماته تتدفق كالسيل الجارف): "ولكن هل يمكن للفن أن يكون مجرد وسيلة للهروب؟ ألا تعلمون أن لكم القدرة على إيقاظ الوعي في عقول الناس؟ أنتم مرايا تعكسون فيها الواقع، وليس نوافذ تفتحونها على أحلام وهمية. أين دوركم في محاربة الظلم؟ هل ستظلون صامتين بينما تتغلغل أيادي الفساد في جسد الأمة؟"

الممثل الثاني (بتردد، وقد بدأت تظهر على وجهه ملامح الصراع الداخلي): "زياد، نفهم ما تقوله، لكن علينا أن نكون حذرين. النظام يراقب كل شيء، وأي إشارة إلى الفساد قد تعني نهاية حياتنا المهنية وربما حياتنا نفسها. لقد حاولنا في بعض الأعمال أن نلمح إلى الفساد بشكل غير مباشر، لكن لا يمكننا المخاطرة بتوجيه أصابع الاتهام مباشرة".

زياد (بلهجة تمزج بين البلاغة والتوبيخ، وكلماته تنساب كما القصائد): "أيها الفنانون، إنني لا أطلب منكم أكثر مما أطلبه من نفسي. أنتم لستم مجرد ممثلين، بل حراس على أبواب الحقيقة. هل ستهربون من مسؤوليتكم كمن يترك ساحة المعركة قبل أن يعلو صوت الحق؟ لقد كانت لكم الفرصة أن تكونوا أبطالا حقيقيين، ليس فقط على خشبة المسرح أو أمام الكاميرات، بل في قلوب الناس وعقولهم. ألم تعلمونا أن الفن هو لغة الشعوب؟ فلماذا نراه اليوم يخضع لصمتٍ مريب، كأنه قيثارة انقطعت أوتارها؟"

الممثل الثالث (وقد بدت عليه علامات القلق والخوف، ينظر حوله وكأنه يبحث عن تأييد): "زياد، نحن نقدم ما يطلبه الجمهور. إذا كان الناس لا يريدون مواجهة الحقيقة في حياتهم اليومية، فلماذا نفرضها عليهم في الفن؟ نحن هنا لنعيش، وليس لنموت من أجل قضية لا يعلم أحد كيف ستنتهي".

الممثل الرابع (بنبرة أكثر حذراً، وقلق واضح في صوته): "ثم هناك مسألة الدعم الذي نحصل عليه من النظام. إذا قدمنا أعمالا تنتقد الفساد، فسوف نفقد هذا الدعم، وقد يتوقف العمل بالكامل. لا يمكننا المجازفة بما وصلنا إليه، فنحن نخشى أن يصبح الفساد ضربة قاضية على حياتنا الفنية".

زياد (بألم يمتزج بالخيبة): "لكن، هل ستبقون تماثيل من الشمع، صامتة بينما يتحدث التاريخ؟ هل ستدعون الطغاة يرسمون ملامح المستقبل بألوان الفساد؟ لو كنتم تعلمون قوة الكلمة والصورة، لفهمتم أنكم تحملون في أيديكم سيفًا قادراً على قهر الظلم. ولكن للأسف، يبدو أن هذه السيوف قد بُدلت بأقلام تكتب قصصًا عن الحب والعشق، بينما تُكتب في الظلام قصص عن الدم والظلم".

رغم محاولاته، شعر زياد بالإحباط وهو يرى أن معظم الفنانين لم يستجيبوا لندائه. كانت أصواتهم، التي كان يأمل أن تصبح بوقًا للحق، تخشى أن ترتفع في وجه الطغيان. تركهم وراءه، وهو يفكر في ما قاله وما سمعه.

زياد (في حوار داخلي بينما يسير في ظلال القاعة): "ربما لم يحن الوقت بعد، أو ربما أنا من كنت أطلب المستحيل. لكنني أعلم أن الفساد لا يمكن أن يستمر إلى الأبد. هناك دومًا أمل في أن تفتح أعين هؤلاء الفنانين يومًا ما، ليجدوا أنفسهم في موقع يستطيعون فيه أن يغيروا الواقع. سأستمر في نضالي، حتى لو لم أجد فيهم اليوم من يقف إلى جانبي".

بعد مغادرة زياد للقاعة، التقط أحد الصحفيين المتواجدين في المهرجان جزءًا من حواره مع الفنانين ونشره على وسائل التواصل الاجتماعي. انتشر الفيديو بسرعة، وأثار جدلا واسعا بين الجمهور. بدأت تظهر تعليقات تدعم زياد، وتطالب الفنانين بأن يكونوا أكثر جرأة في تناول قضايا المجتمع.

وفي لحظة غير متوقعة، تلقى زياد رسالة نصية من أحد الممثلين الصاعدين الذين كانوا يتابعون الحوار بصمت. كانت الرسالة تعبر عن تأييده الكامل لزياد ورغبته في التعاون معه لإنتاج عمل فني يفضح الفساد بطريقة ذكية وغير مباشرة.

الممثل الصاعد (في الرسالة): "زياد، قد لا أستطيع أن أتكلم علنًا بعد، لكنني معك. يجب أن نجد طريقة لنقل الحقيقة من خلال الفن، دون أن ندعهم يخنقون صوتنا. سأكون إلى جانبك، وعلينا أن نبدأ من هنا".

زياد (بعد قراءته للرسالة، وفي نفسه شعور مختلط بين الأمل والخوف): "ربما لم أكن وحيداً في هذا الطريق. هناك أصوات خافتة بدأت تبرز من الظلال، قد تكون بداية لثورة فنية ضد الفساد. سأظل أقاتل حتى نرى يومًا تشرق فيه الحقيقة".

بينما يغادر زياد القاعة، يلاحظ ملصقًا كبيراً لأحد الممثلين الرئيسيين في المهرجان، تظهر فيه عبارة دعائية لمسلسل تافه، مما يعزز إحساسه بالإحباط لكنه يزيد من تصميمه على الاستمرار في نضاله.

المحاولة السادسة والعشرون: لقاء مع فئة الموظفين في الدولة

في أحد الأيام الرمادية، توجه زياد إلى مبنى حكومي عتيق، تعلوه سحابة من الروتين والبيروقراطية، حيث كان على موعد مع مجموعة من الموظفين الحكوميين. كانت الجدران الشاهقة تكتسي بلون الكآبة، وتحيط بها ملفات متراكمة تعكس حالة الجمود والتكرار الذي يغمر حياة هؤلاء الموظفين. كان زياد يدرك أن هؤلاء الموظفين يعيشون على رواتب الدولة المستقرة، لكنه كان يعرف أيضًا أن هذا الاستقرار قد يخفي خلفه قلقًا داخليًا وخوفًا من المستقبل المجهول.

زياد (محدثًا نفسه وهو يقترب من المبنى): "هل سيبقى هؤلاء الموظفون محاصرين في دوامة الروتين والرواتب الثابتة، أم سيرون أن وراء هذا الاستقرار الزائف تكمن مسؤولية أكبر؟"

في غرفة اجتماعات ضيقة، جلس زياد مع مجموعة من الموظفين الحكوميين. كان المكان يعج بأوراق العمل وأجهزة الكمبيوتر القديمة التي تصدر طنينًا مملا. الساعات على الحائط كانت تتحرك ببطء شديد، وكأنها تعكس حالة الجمود التي يعيشها الموظفون في حياتهم اليومية. بدأ زياد حديثه محاولا تحفيزهم على التفكير بما هو أبعد من الرواتب الشهرية.

زياد (بصوت هادئ ومقنع): "أيها الإخوة، جئت إليكم اليوم ليس لأطلب شيئًا، بل لأذكركم بدوركم الحيوي في هذا المجتمع. أنتم العمود الفقري للدولة، ولديكم القدرة على إحداث تغيير حقيقي. لكنني أرى أن الكثيرين قد رضوا بما تقدمه لهم الدولة من رواتب، وأغلقوا أعينهم عن معاناة الفئات الأخرى من الشعب. ألا ترون أن هذا الوضع يستحق منا وقفة؟"

أحد الموظفين (بنبرة دفاعية): "زياد، نحن نحاول فقط أن نعيش بسلام. لدينا وظائف تضمن لنا دخلاً ثابتاً في وقت يعاني فيه الكثيرون من البطالة. قد لا تكون الرواتب كبيرة، لكنها كافية لإعالة أسرنا. ماذا تطلب منا؟ أن نخاطر بكل هذا من أجل قضايا ليست من مسؤولياتنا؟"

زياد (بنبرة تجمع بين الأسى والتحدي): "أنا لا أطلب منكم أن تخاطروا بحياتكم أو وظائفكم، بل أطلب منكم أن تنظروا حولكم. هناك شعب يعاني، وهناك حقوق مهدورة. أليس من واجبنا، كأبناء لهذا الوطن، أن نقف مع إخواننا الذين لا يملكون ما تملكون؟ أنتم، برضاكم عن القليل الذي تقدمه لكم الدولة، قد تغضون الطرف عن الفساد والظلم الذي يطال الفئات الأخرى. ألا تشعرون بأننا جميعًا في نفس القارب؟ وإذا غرق جزء منه، فسنغرق جميعًا؟"

في زاوية الغرفة، كان هناك موظف يجلس في هدوء، يرتدي بدلة فاخرة ويضع ساعة ذهبية على معصمه. كان هذا الموظف ينتمي إلى فئة مرفهة نسبيًا، يعيش حياة رفاهية ولا يبدو عليه أنه مكترث لما يدور حوله. عندما تحدث، بدا صوته مختلفًا عن الآخرين، مشبعًا بنبرة من اللامبالاة.

الموظف المترف (بابتسامة ساخرة): "زياد، أنت تتحدث عن الفساد وكأنه شيء يمكننا تغييره ببساطة. لكن دعني أسألك، ماذا سنجني من هذا التغيير؟ لدينا رواتبنا، وأعمالنا تسير بشكل جيد، لماذا نعكر صفو حياتنا بالدخول في صراعات لا تنتهي؟"

زياد (بكلمات تمزج بين البلاغة والتوبيخ، وكأنها تسري كالنار في الهشيم): "البقاء؟ هل البقاء يعني الرضوخ؟ هل تعتقدون أن رواتبكم القليلة تكفي لحمايتكم من الغرق في بحر

الفساد؟ أنتم لستم مجرد أدوات في آلة الدولة، أنتم بشر لديكم ضمائر وإرادة. هل ستظلون صامتين، مكتفين بما يلقيه النظام إليكم من فتات، بينما الفساد يلتهم خيرات البلاد؟"

أحد الموظفين الشباب (بتردد، وكأن صوته يعكس صراعًا داخليًا): "زياد، ربما تكون على حق، لكننا محاصرون. كل من حاول أن يعترض أو يغير شيئًا انتهى به الأمر خارج النظام، وربما في السجن. نحن نحاول أن نحافظ على ما لدينا، ولو كان قليلاً، خوفًا من فقدانه تمامًا".

زياد (بصوت جاد وملامح وجهه تعكس القلق): "هل فكرتم في المستقبل؟ ماذا لو انخفضت أسعار النفط فجأة؟ ماذا لو لم تعد الدولة الريعية قادرة على تسديد رواتبكم؟ أنتم الآن تعيشون على استقرار مؤقت، لكنه هش. إذا لم نتحرك الآن لإصلاح النظام، فقد نجد أنفسنا جميعًا في مواجهة أزمة حقيقية، حيث لن يكون هناك دخل ثابت ولن تكون هناك رواتب تكفي لإعالة أسرنا".

الموظف المترف (بابتسامة لا مبالية): "حتى لو حدث ذلك، نحن هنا في مواقعنا، وسنجد طريقة للبقاء. الدولة دائماً ما تجد حلولا، ونحن نعرف كيف نحافظ على مصالحنا".

زياد (بصوت مفعم بالإصرار): "لكنكم لا ترون الصورة الكاملة. إذا لم نتحرك الآن، فقد نخسر كل شيء. هذا الاستقرار الذي تتحدثون عنه مجرد وهم، وعندما ينهار، لن تنفعكم الرفاهية التي تعيشونها الآن".

خارج المبنى، وبينما كان زياد يغادر، تلقى اتصالا هاتفيًا من أحد الموظفين الذين حضروا اللقاء. كان الموظف، الذي لم يجرؤ على التعبير عن رأيه في العلن، يعبر عن مخاوفه الحقيقية.

الموظف المتصل (بصوت خافت مليء بالقلق): "زياد، أردت فقط أن أخبرك أن الكثير منا يشعرون بما تشعر به، لكننا نخشى العقوبات. النظام يعرف كل شيء، ومن يحاول أن يتحرك يتم التضييق عليه وعلى أسرته. نحن لا نملك الشجاعة التي تمتلكها، ولكن إذا وجدنا طريقة آمنة، قد نكون مستعدين للتحرك".

زياد (بصوت حازم يحمل بين طياته الأمل): "أعلم أن الخوف قد يسيطر على القلوب، لكنني واثق من أنكم لستم وحيدين. علينا أن نجد تلك الطريقة، تلك الثغرة التي يمكن أن ننفذ منها لإحداث التغيير. تذكر، أن الصمت في وجه الظلم يعني الرضوخ له".

بينما يغادر زياد المبنى، يرى مجموعة من الموظفين يغادرون هم أيضًا، يتحدثون فيما بينهم عن الأمور اليومية والتفاصيل الروتينية. كانت ملامحهم تحمل ثقل الروتين والخوف من التغيير، وكأنهم قد ارتضوا بالفتات من أجل البقاء. لكن خلف تلك الوجوه التي تبدو مستسلمة، كانت هناك لمحة من القلق، خوفًا مما قد يحدث إذا انهارت الدولة الريعية.

زياد (متحدثًا إلى نفسه): "كم من النفوس محاصرة بين جدران الروتين والخوف، وكم من الأيدي مكبلة بخيوط الرضا الزائف؟ لكنني سأظل أبحث عن تلك الروح الحرة التي قد تكسر هذا القيد، فالتغيير ممكن، حتى وإن بدا مستحيلاً الآن"..

المحاولة السابعة والعشرون: لقاء مع شيوخ العشائر

في مساء يوم حارّ، بينما كانت الشمس تغيب ببطء خلف التلال، وصل زياد إلى مضيف شيخ العشيرة الكبير. كان المضيف مكانًا يعج بروح التقاليد والعراقة، بجدرانه التي تحمل تاريخًا طويلا من الحوارات والنزاعات. زياد كان يعلم أنه يدخل مكانًا يحمل في طياته تعقيدات كثيرة، وأن التحدي يكمن في إقناع شيوخ العشائر بضرورة التغيير في ظل الظروف الحالية.

زياد (محدثًا نفسه وهو ينظر إلى المضيف): "هنا، في هذا المكان الذي شهد على بطولات أجدادنا في ثورة العشرين، آمل أن أجد من يقدر أهمية التغيير. هل يمكن لهؤلاء الشيوخ أن يروا ما هو أبعد من النزاعات التافهة والصراعات القبلية؟ هل يمكنهم أن يدركوا أن مستقبل عشائرهم وأجيالهم يعتمد على قدرتهم على التكيف مع التغيير؟"

دخل زياد إلى الديوان، حيث كان شيوخ العشائر يجلسون مرتدين عباءاتهم التقليدية، وكان الجو مشحونًا برائحة القهوة العربية وصوت الأحاديث الخافتة. بدأ زياد حديثه محاولا أن يخترق جدار التعصب القبلي، ويثير في نفوسهم أهمية التغيير الحقيقي.

زياد (بصوت هادئ ومقنع): "أيها الشيوخ الأفاضل، أنتم عماد هذا الوطن وحماة تراثه وأصالته. لكنني أتيت اليوم لأتحدث عن واقعنا المرير، حيث تزداد النزاعات العشائرية حول أمور تافهة، بينما يغرق البلد في فساد يهددنا جميعًا. ألا ترون أن الوقت قد حان لنتحد من أجل إصلاح حقيقي، بعيداً عن التعصب القبلي الذي لا يجلب سوى الدم والدمار؟ تذكروا ثورة العشرين، وكيف كان لأجدادنا دور في مقاومة المحتل وتحرير الأرض. هل يمكننا أن نكون بنفس الروح والصلابة لمواجهة الفساد اليوم؟"

تحول الحديث بعد ذلك إلى مشكلات الفلاحين الذين يعتمدون على الزراعة كمصدر رئيسي للدخل.

زياد (بصوت جاد): "أريد أن أتحدث أيضًا عن أحوال الفلاحين في عشائركم. لقد أصبحنا نعاني من سياسات فتح الاستيراد التي أدت إلى غمر الأسواق بالمنتجات المستوردة، مما جعل منتوجاتنا المحلية تفقد قيمتها. الفلاحون يعملون بجهد في حقولهم، ولكنهم لا يجدون العائد الذي يستحقونه بسبب هذه السياسات التي تقتل الإنتاج المحلي. ناهيك عن مشكلة المياه، التي أصبحت تهدد استقرارنا الزراعي. الدول المجاورة تستمر في بناء السدود وتحويل مجاري الأنهار، مما أدى إلى تقليص كميات المياه التي تصل إلينا. الزراعة التي كانت تعتمد على دجلة والفرات أصبحت مهددة، والفلاحون يرون حقولهم تتحول إلى أراضٍ جرداء".

شيخ قبيلة كبير (بصوت متهدج): "زياد، هذا صحيح. نحن نرى الفلاحين في عشائرنا يعانون. المحاصيل التي كانت تكفي لإعالة أسرهم أصبحت لا تساوي شيئًا في الأسواق. لكن ما الحل؟ النظام لا يهتم بأحوالهم، ولا توجد لدينا قوة كافية للضغط".

زياد (بتعبير أكثر حدة): "لكن الأمر أكبر من ذلك. نحن نتحدث عن مستقبل أجيالنا المقبلة. إذا استمر الوضع على هذا الحال، فإننا سنخسر ليس فقط أراضينا ومحاصيلنا، بل هويتنا العشائرية أيضًا. يجب أن ندرك أن التمسك بالعادات القديمة دون محاولة التغيير قد يؤدي إلى انقراض المكوّن العشائري من المجتمع. نحن بحاجة إلى تحالف جديد بين العشائر والفلاحين وكل من يسعى إلى تغيير حقيقي".

الشيخ المتزمت (بصوت غاضب): "زياد، نحن نحمي كرامتنا بدمائنا، وإذا كان هناك من يهدد هذا الشرف، فإننا لا نتردد في الرد. هذه هي طريقتنا في الحفاظ على النظام داخل عشائرنا. ولكنك تتحدث عن قضايا لا يمكننا السيطرة عليها. نحن هنا للدفاع عن كرامتنا، وليس لمعالجة السياسات الزراعية أو مشاكل المياه".

زياد (بنبرة أكثر حدة): "لكن هذه القضايا ليست منفصلة عن بعضها البعض. إذا لم يكن هناك ماء، فلن يكون هناك زرع، وإذا لم يكن هناك زرع، فلن يكون هناك غذاء. هذه النزاعات العشائرية التافهة تترك آثاراً دموية على المجتمع بأسره، وتلهينا عن التحديات الحقيقية التي تواجهنا. يجب أن نتحد لنطالب بحقوقنا في المياه، ولحماية منتوجاتنا المحلية. إذا لم نتخذ خطوات حاسمة الآن، فإن أجيالنا المقبلة لن تجد شيئًا من هذه الأرض التي كافح أجدادنا لحمايتها".

في الزاوية المقابلة، كان هناك شيخ قبيلة معروف بعقليته المستنيرة. جلس بصمت، يستمع إلى الحوار الدائر بعناية، ثم قرر أن يتحدث.

الشيخ المستنير (بصوت هادئ وعميق): "زياد، كلامك يحمل الكثير من الحقيقة. نحن بحاجة إلى أن ندرك أن الزمن قد تغير. العالم من حولنا يتغير، وإذا لم نتغير نحن أيضًا، فسنبقى في الخلف. صحيح أن العادات مهمة، لكن يجب أن نضع مصالح البلاد فوق كل اعتبار. الفساد الذي تتحدث عنه يهددنا جميعًا، ونحن نحتاج إلى أن نتحد من أجل إسقاط هذا النظام الفاسد. لا يمكننا أن نسمح لأنفسنا بأن نكون أدوات في أيدي الفاسدين، وعلينا أن نعمل معًا لإيجاد حلول لمشاكلنا الزراعية والمائية. علينا أن نتذكر أن ما نقوم به اليوم سيؤثر على أجيالنا المقبلة. إذا لم نتحرك الآن، فإننا نخاطر بفقدان هويتنا وتراثنا العشائري".

زياد (بتقدير واحترام): "أنت تجسد الأمل الذي كنت أبحث عنه. التغيير يبدأ من هنا، من هذه القاعات التي يجب أن تكون منبرًا للعدل والإصلاح، وليس لسفك الدماء على قضايا تافهة. نحن بحاجة إلى رجال مثلك يقفون في وجه الظلم، ويقودون عشائرهم نحو مستقبل أفضل. إذا استمررنا في هذا الطريق، فإننا سنكون قادرين على حماية أرضنا وتراثنا، وتأمين مستقبل أجيالنا".

خارج المضيف، بينما كان زياد يغادر، مر بجانب حقل زراعي قريب. كانت الأرض جافة، والمحاصيل الذابلة تقف شاهدة على الإهمال. جلس مجموعة من الفلاحين تحت شجرة قديمة، يتحدثون بحسرة عن معاناتهم.

فلاح (بصوت مليء بالحسرة): "كان محصولنا يكفينا ويزيد، لكن الآن حتى مياه الري لم تعد تكفي. الأسعار في السوق لا تغطي حتى تكاليف الزراعة. نشعر وكأننا نزرع في أرض قاحلة. لا نعرف ماذا سيحدث لأبنائنا إذا استمرت هذه الأوضاع. هل سيبقى لهم شيء من هذه الأرض؟"

زياد (في حوار داخلي): "هذه الأرض التي كانت يومًا رمزًا للخصوبة والقوة، أصبحت اليوم مرآة لليأس. إذا لم نتحرك الآن، فإن هذه الأرض ستظل تعاني كما يعاني أهلها. نحن بحاجة إلى أن نضغط على الحكومة لحل مشاكل المياه ولإيقاف فتح الاستيراد العشوائي الذي يدمر زراعتنا. إذا لم نفعل، فإننا نخاطر بفقدان كل شيء، بما في ذلك هويتنا العشائرية".

قبل أن يغادر زياد المضيف، رأى النار التي كانت مشتعلة في منتصف المضيف كجزء من التقاليد العشائرية. تقدم الشيخ المستنير نحو النار وأطفأها ببطء، في إشارة إلى بداية عهد جديد.

الشيخ المستنير (موجهًا نظره نحو زياد): "لقد حان الوقت لإطفاء نيران النزاعات القديمة، وبدء مرحلة جديدة من النور والأمل. علينا أن نوجه اهتمامنا نحو الحفاظ على ما تبقى من أرضنا ومياهنا، وضمان مستقبل آمن لأبنائنا وأحفادنا".

زياد (متحدثًا إلى نفسه): "ربما تكون هذه البداية، الشرارة التي ستشعل نيران التغيير في قلوب الناس. لن يكون الأمر سهلاً، لكنني أعلم أننا بدأنا في الاتجاه الصحيح. إذا استمررنا، فقد نتمكن من حماية أرضنا وهويتنا العشائرية، وضمان مستقبل أفضل لأجيالنا المقبلة". .

المحاولة الثامنة والعشرون: لقاء مع الطبقات الشعبية الفقيرة في أحد الأسواق الكبيرة

في صباح يوم جديد، قرر زياد أن ينزل إلى قلب المدينة، إلى سوق شعبي كبير يعج بالناس من مختلف الطبقات. السوق كان يعكس نبض الحياة اليومية للطبقات الشعبية الفقيرة، الذين يكافحون من أجل لقمة العيش وسط أجواء من البساطة والكدح.

زياد (متحدثًا إلى نفسه وهو يدخل السوق): "هنا، بين هؤلاء الناس، ينبض قلب الأمة الحقيقي. هؤلاء هم الذين يتحملون العبء الأكبر من الفساد والظلم. إذا أردنا إحداث تغيير، فيجب أن نبدأ من هنا، من بين هؤلاء الذين يعانون بصمت".

بينما كان زياد يتجول في السوق، بدأ يتحدث مع بعض الباعة والمشترين، محاولا أن يفهم منهم كيف يرون حياتهم اليومية والصعوبات التي يواجهونها.

بائع الخضار (بصوت مجهد، تعكس ملامحه سنوات من الكدح): "كل يوم نأتي إلى هنا منذ الصباح الباكر، نرتب البضائع ونأمل أن نبيع ما يكفي لإطعام عائلاتنا. لكن الأسعار ترتفع، والناس بالكاد يستطيعون الشراء. نسمع عن الفساد في كل مكان، لكننا نحن من ندفع الثمن في النهاية".

زياد (بصوت مليء بالتعاطف): "أعلم كم هو صعب. النظام يجعل الحياة أصعب على الناس الذين يعملون بجد لكسب رزقهم. لكن هل فكرتم يومًا في الاتحاد والمطالبة بحقوقكم؟"

بائع الخضار (بصوت يائس، يحمل أملا خافتًا): "الاتحاد؟ نحلم بذلك، لكننا نخشى أن تُكسر ظهورنا أكثر. الحكومة لا تسمح لنا بالكثير من الحريات. نحن بالكاد نعيش".

زياد يلتقي بطفل صغير، يبيع بعض الحاجيات البسيطة بجانب أحد الأكشاك.

الطفل (بصوت بريء، لكنه يحمل في داخله عميق الهموم): "أبيع هذه الأشياء لأساعد أمي. أبي توفي منذ سنتين، ومنذ ذلك الوقت نكافح لنعيش. أحلم أن أذهب إلى المدرسة مثل باقي الأطفال، لكني يجب أن أعمل هنا".

زياد (بصوت متأثر، يداعب رأس الطفل): "أنت بطل، يا صغيري. هل تعرف أن التعليم هو سلاحك الحقيقي؟ إذا تمكنت من الذهاب إلى المدرسة، يمكن أن تغير حياتك وحياة أسرتك".

الطفل (بصوت ملؤه البراءة): "أعلم، لكن علينا أن نأكل أولاً. هل يمكن أن يساعدنا أحد؟"

زياد (بحزن وتفكير عميق): "سنحاول، يا بني. يجب أن نغير هذا الواقع لكي لا يضطر أي طفل للعمل بدلاً من التعلم".

زياد يشاهد امرأة تقدم بعض الفاكهة لرجل مسن لا يملك المال لشراء الطعام.

المرأة (بصوت رقيق): "خذ هذا، يا عمي. نحن في نهاية اليوم، والفاكهة لن تبقى طازجة حتى الغد. اعتبرها هدية".

الرجل المسن (بصوت متأثر): "بارك الله فيك، ابنتي. الناس الطيبون مثلك هم من يبقون الأمل حيًا في قلوبنا".

زياد (مخاطبًا المرأة): "هذا هو التضامن الذي نحتاجه. إذا وقفنا معًا، يمكننا أن نحدث فرقًا. هل تعتقدين أن الفقراء يمكنهم الاتحاد لتغيير هذا الوضع؟"

المرأة (بصوت متردد): "الاتحاد قد يكون أملنا الوحيد، لكننا نخاف. الحكومة لا ترحم من يطالب بحقوقه".

زياد (بصوت مليء بالتشجيع): "الخوف هو ما يبقي الأمور على حالها. إذا تغلبنا عليه، يمكننا أن نكون قوة لا تقهر".

زياد يلتقي بامرأة تحمل أكياسًا ثقيلة، تبدو عليها علامات التعب. بدأت تتحدث معه عن تأثير الفساد على حياتها اليومية.

المرأة (بصوت مشبع بالحزن): "كل شيء أصبح غاليًا. كل يوم أذهب إلى السوق وأجد الأسعار ترتفع. نحن نحاول العيش، لكن الفساد يأكل كل شيء. الحكومة تقول إنها تحارب الفساد، لكننا نرى العكس. كل شيء يزداد سوءًا".

زياد (بصوت مليء بالعزم): "هذا ما يريدونه، أن نستسلم للواقع. لكن يجب أن نقاوم، أن نطالب بحقوقنا. الفساد لن يتوقف إذا لم نتحرك جميعًا. علينا أن نتحلى بالشجاعة لنغير هذا الواقع".

زياد يجتمع مع مجموعة من الشباب الذين يتحدثون عن كيفية تأثير الفساد على الأسعار والمنافسة غير العادلة في السوق.

أحد الشباب (بصوت مليء بالغضب): "نرى الفساد في كل مكان. بعض التجار يرفعون الأسعار بدون سبب، وكل شيء يتم عن طريق الرشوة والمحسوبية. نحن نكافح، لكن يبدو أن الفساد هو من يحكم السوق".

زياد (بصوت حازم): "الفساد هو مرض يأكل في جسد المجتمع. لكن إذا وقفنا معًا، يمكننا أن نحارب هذا المرض. علينا أن نطالب بالعدالة في السوق، وأن نفضح هؤلاء الذين يستغلون الناس".

الشاب الآخر (بصوت مليء بالتردد): "لكن من سيقف معنا؟ كل من يتحدث يُسكت بسرعة. نحن نخاف أن نخسر ما تبقى لنا".

زياد (بصوت مفعم بالتحدي): "الخوف هو سلاحهم، لكن لدينا سلاح أقوى: الوحدة. إذا اتحدنا، لن يتمكنوا من إسكاتنا جميعًا".

مع نهاية اليوم، وقف زياد في وسط السوق، محاطًا بالباعة والمشترين. شعر بتلك اللحظة أن هناك أملا يلوح في الأفق، أن هذه الطبقات الشعبية التي تعاني من الفقر والظلم يمكن أن تكون هي القادرة على إحداث التغيير.

زياد (بصوت عال، مخاطبًا الجميع): "أيها الإخوة، نحن نعلم أن الحياة هنا صعبة، وأن التحديات كثيرة. ًلكن يجب أن نؤمن بأننا نستطيع أن نغير هذا الواقع. أنتم من تصنعون

الفرق. بصوتكم وبوحدتكم، يمكنكم أن تجعلوا هذا البلد مكانًا أفضل لنا ولأبنائنا. لا تستسلموا، بل اجعلوا من معاناتكم وقودًا للتغيير".

الجموع (بصوت يتزايد تدريجيًا، يعكس توحدهم): "نعم، نحن قادرون. نحن الشعب. نحن القوة".

بينما كان زياد يغادر السوق، شعر بأن هناك شرارة أمل قد بدأت تتوقد في قلوب هؤلاء الناس، وأن التغيير الذي يسعى إليه قد بدأ من هنا، من بين الفقراء والمظلومين.

المحاولة التاسعة والعشرون: "المقاهي وأصوات الشباب العاطل"

في زقاق ضيق، يقع أحد المقاهي الشعبية القديمة في بغداد، متوار بين المباني المتآكلة التي تحمل على جدّرانهاً بصمات الزمن. تتراكم الأتربة على الجدران، وتّتشابك خيوط العنكبوت في الزوايا، بينما ينبعث من الداخل مزيجٌ من روائح الشاي المختمر، نكهة التبغ، ونفحات الرطوبة العالقة بالجدران الرطبة. كان المقهى يعج بالحياة بطريقة تشي بحالة من الضياع؛ أصوات الشباب المتداخلة تعلو فوق طاولات الطاولي والدومينو، تتخللها هتافات مشجعي كرة القدم الذين ينصبّ اهتمامهم على جهاز التلفاز القديم المعلق على الحائط.

كانت الطاولات موزعة بطريقة عشوائية حول المكان، تحمل فوقها أكواب الشاي الفارغة، وأعقاب السجائر التي تفيض من منفضات الدخان المزدحمة. البعض جالس مكتوف الأيدي، تحدق أعينهم في الفراغ أو في أوراق اللعب، بينما الآخرون منشغلون في تحديات الطاولي، يتبارزون في جولات سريعة، تتبعها ضحكات ساخرة وعبارات تحدٍ تتطاير في الهواء المشبع بدخان الشيشة.

على الجانب الآخر من المقهى، تجمّع عددٌ من الشبان أمام شاشة التلفاز، يتابعون بشغف مباراة كرة قدم بين فريقين محليين. كانت تعابير وجوههم تتأرجح بين الحماس والإحباط، تتعالى صيحاتهم مع كل هدف يضيع، أو يُسجل. النقاشات بينهم كانت تمتد من تحليل المباراة، إلى الانتقال سريعًا إلى قضايا السياسة، البطالة، وحتى الحديث عن أحلام هشة ذابلة وسط الواقع القاسي الذي يعيشونه.

في تلك اللحظة، وبينما كانت أجواء المقهى تعج بالحياة الساكنة، دخل زياد بخطوات هادئة، لكن عينيه كانتا تشعان بالعزم والإصرار. كان يتفحص وجوه الشباب المتعبة حوله، مًستشعراً بقايا أحلام قديمة وئدت تحت ركام البطالة واليأس. جلس بهدوء في الزاوية، حيث كان "حسام"، شًاب نحيل يعمل سابقًا كميكانيكي، يضحك على نكتة أطلقها أحد أصدقائه، محاولا إخفاء شعور العجز الذي يرافقه منذ أن أغلقت الورشة التي كان يعمل بها.

ألقى زياد نظرة طويلة على حسام وبقية الشبان، مُسترجعًا ذكريات مريرة عما كان عليه قبل سنوات، حينما كان يرى في هؤلاء الشباب جزءًا من مجتمع قادر على التغيير. استنشق زياد بعمق، ثم قال بصوت منخفض ولكنه مليء بالثقة: "أتعلمون؟" بدأ زياد حديثه، وجذب انتباه الحضور. "كنتُ مثلكم، أبحث عن ملاذ في هذا الضياع. كنت أعتقد أن هذه الطاولات وهذه الألعاب ستُنسيني الواقع المرير، ولكن أًدركت في النهاية أن الفرار ليس حلاً".

ابتسم "أحمد"، أحد الشبان الجالسين بالقرب من زياد، ابتسامة ساخرة وقال: "وماذا بعد؟ هل ستجعلنا نتظاهر في الشوارع؟ هل ستغير كلماتك هذه الواقع؟" كان صوته يحمل مزيجًا من السخرية واليأس، لكن خلف عينيه كان يتوارى شعور بالفضول والاهتمام.

رد زياد بهدوء وثقة: "لن يغير الكلام وحده شيئًا، ولكن الفعل يمكن أن يفعل الكثير. الأمر يبدأ بفكرة، بتحرك صغير قد يبدو غير ذي شأن. نحن هنا ليس لنضيع الوقت، بل لنفكر في مستقبلنا، في تغيير هذا الواقع الذي يحاول أن يلتهمنا جميعًا".

بدأ الحوار يتطور، ومعه بدأت تتبدد السخرية لتحل محلها نبرة جادة من الشباب، الذين كانوا يعيشون صراعًا داخليًا بين رغبتهم في البقاء في منطقة الراحة وبين شعورهم بأنهم قادرون على تحقيق شيء أكبر. كان كل واحد منهم يخفي في داخله طموحًا دفينًا، حلمًا قديماً بأن يكون له دور أكبر، ولكن هذا الحلم ظل مدفونًا تحت تراكمات الخيبات المتكررة.

مع مرور الوقت، بدأت كلمات زياد تلامس وجدان الشباب، وأصبح النقاش أكثر جدية. بدأ زياد يقترح خطوات بسيطة يمكنهم اتخاذها معًا، كتنظيم لقاء أكبر خارج المقهى، أو بدء حملة على وسائل التواصل الاجتماعي، لجمع الأصوات وإثارة الوعي. كان يحاول جعلهم يرون أنهم ليسوا وحدهم، وأن هناك العديد من الشباب الذين يشاركونهم نفس الهموم والآمال.

"لنبدأ بشيء صغير"، قال زياد بحماس متجدد. "دعونا ننظم اجتماعًا غداً هنا، نتحدث فيه عن أفكارنا، ونخطط لما يمكننا فعله. لن يكون الأمر سهلاً، ولكن إذا لم نبدأ الآن، فمتى سنبدأ؟"

ساد المقهى صمت ثقيل للحظات، وكأن الجميع كان يقيّم ما قاله زياد. ببطء، بدأت رؤوسهم تهتز بالإيجاب، وبدأت عيونهم تشع بنور جديد، نور أمل ربما كان مفقوداً لفترة طويلة.

لكن في داخل كل واحد منهم، كان هناك صراع مستمر، أسئلة لا تزال تبحث عن إجابات: هل يمكنهم حقًا إحداث تغيير؟ هل سيتخطون مخاوفهم ويبدأون هذه الرحلة التي قد تقودهم إلى مستقبل مجهول؟

وقف زياد، ونظر إلى الشباب مرة أخرى، ثم قال بصوت مليء بالتحدي: "لن نعلم إلا إذا جربنا. غداً هو البداية، ونحن من سيصنع الفرق".

ترك زياد المقهى، تاركًا خلفه شباباً مترددين بين الخوف والأمل، بين الجمود والحركة. كانوا يعلمون أن قرارهم الآن يمكن أن يغير حياتهم، وربما حياة الكثيرين من حولهم. لكن ما الذي سيفعلونه؟ هذا ما سيقرره كل واحد منهم في الساعات القادمة...

المحاولة الثلاثون: "لقاء زياد مع مشاهير السوشيال ميديا"

في أمسية زادتها الأضواء بريقًا ولمعانًا، دخل زياد عالمًا لم يكن من عادته دخوله، عالمًا مليئًا بالترف المفرط والابتسامات المصطنعة. قاعة الحفل كانت تفيض بالفخامة، من الثريات المتلألئة التي تعكس الضوء على الأرضية الرخامية، إلى الأزياء الفاخرة التي يرتديها الحاضرون، وكأنهم يتنافسون على من يكون الأكثر بريقًا. كانت الموسيقى الكلاسيكية تعزف بخفوت، تملأ الأجواء بصدى الماضي البعيد عن الواقع المعيش.

في هذا المكان، كان كل شيء يلمع، إلا الحقيقة. العالم هنا كان يدور حول الموضة، الشهرة، والمظاهر، بينما كان العالم الذي يعرفه زياد يدور حول الفقر، النضال، والألم. لقد دخل هذا العالم بحثًا عن فرصة لتحريك ضمائر هؤلاء المشاهير الذين يمتلكون سلطة التأثير على ملايين العقول.

وسط هذا العالم المزيف، توجه زياد إلى مجموعة من الأشخاص كانوا يجلسون حول طاولة مزينة بأفخر الأطعمة والمشروبات. في وسطهم كانت تجلس إحدى نجمات السوشيال ميديا، ملابسها المبهرة ومكياجها الصاخب جعلاها محط الأنظار. كانت تتحدث بثقة، عيناها تلمعان بنشوة النجاح المادي.

زياد (بصوت ودود ولكنه حازم، عيناه تقدحان بشرارة الانتقاد): "مساء الخير. يبدو أنني اقتحمت عالمًا ليس لي فيه مكان، لكن دعوني أطرح عليكم سؤالا: أنتم تمتلكون قدرة لا يستهان بها على التأثير، ألا تشعرون أبدًا بأنكم تهدرون هذه القدرة في أشياء لا تهم حقًا؟"

نجمة السوشيال ميديا (بابتسامة مشوبة بالدهشة): "أهلا بك! الجميع هنا لتبادل الأفكار والاستمتاع بوقتهم. لكن ما الذي يجعلك تشعر بأنك غريب؟"

زياد (بصوت يحمل معنى أعمق مما يظهر): "أنا غريب لأنني أرى العالم من منظور مختلف. أرى الناس الذين يكافحون من أجل لقمة العيش، بينما أنتم هنا تعيشون في عالم يزداد بريقًا يومًا بعد يوم. لكن ماذا تفعلون من أجل هؤلاء الناس؟ أليس لديكم مسؤولية أكبر من مجرد الترفيه؟"

بدأ زياد يتحدث بصوت يحمل صدق الكلمات التي لا تعرف المجاملة. كان النقاش يمس جرحًا غائرًا، لكنه لم يكن يحاول التخفيف منه، بل كان يفتح ذلك الجرح على مصراعيه.

زياد (بصوت جاد وحازم): "أنتم تملكون أتباعًا بالملايين، لكن كيف تستخدمون هذا التأثير؟ هل تستخدمونه لخلق مشاكل فارغة تزيد من متابعيكم، أم لمشاركة معاناة الناس الحقيقية؟ أنتم تهدرون أموالكم على عمليات تجميل سخيفة، في حين أن هناك من لا يجد ما يسد به جوع أطفاله".

إحدى الفتيات (بنبرة دفاعية، تحمل في طياتها ترددًا): "لكننا نحاول فقط أن نعيش حياتنا ونسعد متابعينا. الناس يحبون ما نقدمه، فلماذا نغير ما نفعله؟"

زياد (بابتسامة هادئة، لكن كلماته كانت كالسهام): "أنتم تهربون من الحقيقة. الناس يحتاجون أكثر من الترفيه السطحي. العالم مليء بالمعاناة، ومع ذلك نجد أن هناك اهتمامًا مفرطًا بالمظاهر الزائفة. أموالكم تصرف على أشياء تافهة بينما هناك من يموتون جوعًا. أليس هذا بحد ذاته نوعًا من الفساد؟"

لم يكتف زياد بتوجيه النقد السطحي، بل كان لديه معلومات أثقل من الذهب، حقائق يعرف أنها قد تقَلب الطاولة على هؤلاء المشاهير الذين يظنون أن أفعالهم بعيدة عن أعين الجميع.

زياد (بصوت حازم، مشوب بالانتقاد): "وهناك ما هو أخطر. بعضكم متورط في ملفات فساد مع كبار السياسيين. أنتم تروجون لسياسات تضر بالناس، وتخدعون متابعيكم بأفكار مزيفة. كيف يمكنكم أن تتحدثوا عن النجاح وأنتم جزء من شبكة الفساد التي تخنق هذا البلد؟"

أحد الشباب (بصوت مليء بالغضب، لكنه مكبوت): "هذه اتهامات خطيرة. نحن نعمل بجد، ولم نطلب أن نكون في هذا الوضع. نحن فقط نحاول أن نعيش".

زياد (بصوت هادئ ولكنه قاطع): "قد يكون صحيحًا أن البعض منكم بدأ بنوايا حسنة، لكن الأموال والمظاهر قد تغرق أي شخص في بحر الفساد. إذا كنتم صادقين في رغبتكم بالتأثير، عليكم أن تكونوا مثالاً يحتذى به، لا أن تصبحوا أدوات في يد من يستغلونكم لزيادة نفوذهم على حساب الناس".

استمر الحوار، وبدأ بعض الحاضرين يشعرون بالارتباك، بينما بدأ البعض الآخر يتفاعل مع كلمات زياد. كان يعلم أن التغيير لن يكون سهلاً، لكنه كان مصممًا على أن يشعل شرارة الوعي بينهم.

زياد (بشغف وحزم): "أنتم تملكون القوة لإحداث تغيير حقيقي. تخيلوا لو استخدمتم هذا التأثير لنشر الوعي حول الفساد، حول الفقر والظلم الاجتماعي. يمكنكم أن تكونوا الصوت الذي يتحدث نيابة عن الذين لا صوت لهم. لكن عليكم أن تكونوا صادقين مع أنفسكم أولاً. التغيير يبدأ من هنا، من داخلكم".

نجمة السوشيال ميديا (بصوت يحمل ترددًا واهتمامًا): "أفهم ما تقوله، ولكن هل يمكننا حقًا تحقيق هذا التغيير؟ هناك الكثير من الضغوط والمخاطر في هذا العالم".

زياد (مبتسمًا، ولكن نبرته مليئة بالتحدي): "التغيير ليس سهلا أبدًا، لكنه يستحق المحاولة. إذا كنتم ترغبون في أن تكونوا أكثر من مجرد وجوه على الشاشات، إذا كنتم ترغبون في أن تصنعوا فرقًا حقيقيًا في هذا العالم، فعليكم أن تبدأوا من الآن. الناس يحتاجون إليكم، لكن ليس كنجوم لامعة، بل كأصوات تدافع عن حقوقهم".

بينما كان زياد يتحدث، تدخلت شخصية أخرى معروفة بجرأتها وشهرتها، لكنها كانت تُعرف أيضًا بتورطها في حملات دعائية مشبوهة. كان وجهها يعكس تعابير الثقة المفرطة، لكنها لم تستطع إخفاء قلقها من قوة كلمات زياد.

الشخصية المعارضة (بصوت ساخر يخفي ارتباكًا): "كل هذا الحديث عن التغيير والعدالة مثير للإعجاب، لكنه بعيد عن الواقع. نحن هنا لأننا نجحنا، ونحن نستحق كل ما نملك. الناس يحبوننا لأننا نقدم لهم الهروب من مشاكلهم، وليس لأننا نتحدث عن المزيد من المشاكل. هل تعتقد أن الناس يريدون سماع هذا الهراء؟"

زياد (بصوت هادئ، ولكن قاطع كالسيف): "النجاح الذي تتحدثين عنه هو نجاح سطحي، مبني على المظاهر الزائفة وليس على الحقائق. الناس قد يهربون من مشاكلهم لبعض الوقت، لكنهم يعودون ليواجهوا واقعهم المرير. دوركم يجب أن يكون أكثر من مجرد تقديم الهروب، يجب أن تقدموا لهم الأمل، الحلول، والأهم، الحقيقة".

الشخصية المعارضة (بصوت مرتفع، تحاول السيطرة على النقاش): "وهل تعتقد أن الناس يريدون هذا؟ الناس يريدون الفرح، يريدون الضحك والترفيه. ما تقوله سيبعدهم عنا".

زياد (بثقة لا تعرف التردد): "الناس يريدون الحقيقة، حتى لو كانوا لا يدركون ذلك. يريدون أن يشعروا بأن هناك من يهتم بهم حقًا، وليس فقط من يبيعهم الوهم. إذا استطعتم الجمع بين الترفيه والمعنى، فستحققون شيئًا غير عادي، وستكونون قادة حقيقيين في زمن يفتقر إلى القيادة".

مع انتهاء الحفل، شعر زياد بأن كلماته بدأت تحرك بعض القلوب، لكنه كان يعلم أن الطريق طويل وشاق. خرج من الحفل وهو يحمل في قلبه أملا بأن هؤلاء المشاهير سيبدأون في رؤية الأمور بشكل مختلف.

المحاولة الواحدة والثلاثون "لقاء زياد مع الأقليات المضطهدة والنازحين"

في صباح يوم شاحب، كان الضباب يلف الأرض وكأن الحزن نفسه قد تجسد وأحاط بكل شيء. قرر زياد أن يخوض هذه الرحلة نحو قرية تآكلت أطرافها بفعل الزمن والخراب، قرية كانت يومًا ما تزخر بالحياة، لكنها اليوم ليست سوى أطلال تئن تحت وطأة الذكريات التي لا تموت. كانت السماء رمادية، مثل مرآة عاكسة لكآبة الأرض، والريح الباردة تمر بين البيوت المهجورة كأنها تهمس بأسماء من رحلوا، تحمل معها رائحة رماد الماضي وعبق الأيام التي لن تعود.

زياد (بصوت داخلي مليء بالوجع): "هنا، في هذه الأرض المشبعة بدموع الفقد، تمتد حكايات عن بشر قست عليهم الأيام، وعبثت بهم يد الإرهاب. كيف يمكن لجراحٍ كهذه أن تندمل؟ وهل يمكن أن يولد الأمل من قلب هذا الحطام؟"

كانت خطوات زياد على الأرض المغبرة بطيئة وحذرة، كأنه يخشى أن يوقظ أشباح الماضي التي تسكن هذه الأزقة الضيقة. تتناثر الأنقاض كشواهد صامتة على ما حدث، وكل حجر هنا يحمل ذكرى، كل جدار يحمل قصة. وكأن القرية تهمس له: "كنا هنا، وكنا نعيش... لكن كل شيء تحول إلى رماد".

بينما كان زياد يتجول بين بقايا البيوت التي شهدت فصولا من الألم، لفت انتباهه منزل متهدم جزئيًا، جدرانه متصدعة كقلوب ساكنيه، وأمامه جلست عائلة مسيحية تحدق في الأفق كأنها تبحث عن ماضٍ سُرق منها. كان الأب جالسًا بلا حراك، كأنه تمثال يجسد الصمود، فيما كانت الأم تحاولُ بصعوبة رسم ابتسامة على وجهها، لتواسي أطفالها الذين كانوا يلعبون بدمى قديمة، كأنهم يحاولون إعادة بناء عالمهم المحطم.

زياد (بصوت هادئ يتسلل إلى أعماق الروح): "سلام عليكم. أعلم أن الكلمات قد لا تكون قادرة على تضميد جراحكم، لكنها كل ما أملك الآن. جئت لأستمع إلى حكايتكم، لأفهم كيف يمكننا معًا أن نعيد نبض الحياة إلى هذه القرية".

الأب (بصوت خافت كأنه يخرج من أعماق جرح لا يلتئم): "كنا هنا، في هذه الأرض التي عرفتنا وعرفناها، عشنا بسلام تحت سماء كانت يومًا رحيمة. ولكن، جاء الغدر ليقتلعنا من جذورنا، ليمزقنا مثل أوراق شجرة في عاصفة. رحل الكثيرون، وتبعثرت أرواحهم في الريح، لكننا عدنا، لأن هذه الأرض هي دمنا، هي كل ما تبقى لنا".

كانت نظرات الأب مثقلة بالذكريات، كل تجعيده في وجهه تحكي قصة، كل كلمة تخرج من فمه كانت تنزف ألمًا. حاول أن يتذكر الأيام السعيدة التي قضوها في هذه القرية، عندما كانت الأرض تغني بالحصاد، وكانت السماء تمطر خيراً لا ينضب. لكن كل ما استطاع رؤيته هو الفراغ الذي تركه الإرهاب.

زياد (بصوت يفيض بالأسى والأمل معًا): "أنتم شهداء الصمود، قصتكم يجب أن تُروى للعالم بأسره. إذا كان هناك من شيء يمكن فعله لنهوض هذه القرية من جديد، فنحن هنا، لأن تضحياتكم لا يجب أن تُنسى".

واصل زياد سيره في القرية، حتى لمح شابًا أيزيديًا يجلس تحت شجرة عتيقة، جذورها عميقة كجذور ذاكرته المؤلمة. كانت نظراته تحمل عبء تاريخ أثقل كاهله، تاريخ نُقشت تفاصيله بالنار والدم. كان هذا الشاب قد نجا من أسرٍ طويل، لكنّه لم ينجُ بعد من ذكرياته التي تطارده في كل زاوية من هذه القرية المنكوبة.

كان الهواء الثقيل يلف المكان كأنه عباءة من الحزن، بينما كانت نظرات الشاب تشبه الرياح التي تحمل معها غبار الماضي. كان وجهه شاحبًا، وعيناه تلمعان ببريق خافت من الأمل الذي لم يمت بعد، رغم كل شيء.

زياد (بصوت يحمل احترامًا عميقًا لروح شاب نجا من الموت ولكنه لا يزال يعيش في ظله): "سلام عليك. سمعت عنك الكثير، وعن شجاعتك التي سطرتها في صفحات الألم. ما مررت به كان كابوسًا، لكنك استيقظت منه. كيف يمكننا أن نساعدك على النهوض من جديد، وكيف يمكننا أن نقف إلى جانبك في هذا الدرب الشاق؟"

الشاب الأيزيدي (بصوت يشبه الريح التي مرت على صحراء من الرماد): "الموت كان قريبًا جدًا، لكن الأصعب من الموت هو العيش بعده. فقدنا كل شيء، حتى أنفسنا. كنا كمن يسير في طريق طويل لا نهاية له، لكننا عدنا لنبدأ من جديد، رغم أننا لا نعرف كيف. كل ما نريده هو أن يشعر العالم بآلامنا، أن يسمع صرخاتنا التي ما زالت تتردد في أعماقنا".

كانت كلماته تخرج ببطء، كأنها تعبر طريقًا طويلا من قلبه المثقل إلى شفتيه. كان يتحدث وكأنه يروي قصة عن شخص آخر، لكنه يعرف في أعماقه أن هذه القصة هي قصته، وأن كل كلمة منها محفورة في ذاكرته بدموع لا تنضب.

زياد (بصوت مفعم بالإنسانية والإصرار): "قصتكم لن تضيع في العدم. نحن هنا لنعمل معًا، لنكتب فصلا جديداً، فصلا يحمل الأمل والعدالة. يجب أن نصنع من ألمكم قوة تُضيء الطريق للآخرين".

كانت نهاية جولته تقوده إلى منزل متواضع، عادت إليه عائلة تركمانية بعد نزوح طويل، يبدؤون من جديد، يحاولون بناء حياتهم من رماد الذكريات. كانت عيونهم تحمل مزيجًا من الحزن والتحدي، بينما كانت أيديهم تكدح لإعادة بناء ما هدمته الحروب.

زياد (بصوت مليء بالتعاطف وكأنه يحمل معهم أعباء هذا النضال): "أعرف أن العودة كانت صعبة، وأن إعادة بناء ما تهدم أصعب. النزوح يجرد الإنسان من كل شيء، إلا من إيمانه بأن العودة ممكنة. كيف يمكننا أن نساعدكم في هذا الدرب الطويل، كيف يمكننا أن نعيد لهذه الأرض روحها؟"

رب الأسرة (بصوت مشبع بالمرارة ولكنه لا يزال يحمل جذوة الأمل): "عدنا لأننا لا نعرف وطنًا غير هذه الأرض، ولكننا نجد أنفسنا وحيدين في مواجهة هذا الدمار. لا دعم، لا مساعدة. نحن نقف هنا، نكافح من أجل إعادة بناء ما هدمته أياد غريبة. ما نريده هو أن نشعر بأننا لسنا وحدنا، أن يكون هناك من يسمعنا ويمد لنا يد العونً".

كانت عيون رب الأسرة تحمل نظرات تعكس سنوات من المعاناة، وكانت يديه المتهالكتين تحملان آمالا مثقلة بالألم. كان يتحدث وكأنه ينادي على المساعدة في صحراء بلا صوت، لكن كان في صوته إصرار على البقاء، على الحياة.

زياد (بصوت مليء بالعزم والإصرار): "لن تظلوا وحدكم، سنكون معكم في كل خطوة. تضحياتكم لن تذهب هباءً، وسنعمل معًا لتعود هذه الأرض كما كانت، بل أقوى مما كانت عليه".

بعد مغادرته القرية، كان زياد يسير في طريق طويل يقطع الصحراء، وكأن هذه الصحراء نفسها مرآة تعكس الوحشة التي تملأ قلوب النازحين. وصل إلى مخيم النازحين، حيث كانت الخيام مبعثرة كأشلاء حلم قديم. الرياح كانت تعصف بالخيام، تحمل معها رائحة الرماد، وكأنها تذكر الجميع بما فقدوه. الأطفال كانوا يركضون بين الخيام بأقدام حافية، أصواتهم العالية كانت تحمل في طياتها خليطًا من الفرح المؤقت والخوف المستمر.

زياد (بصوت داخلي، وكأنه يحاول إقناع نفسه بالاستمرار): "كيف يمكن للأمل أن يعيش في مكان كهذا؟ كيف يمكن لهؤلاء الناس أن يجدوا القوة للنهوض من جديد؟"

بينما كان يتجول في المخيم، لاحظ زياد رجلاً مسنًا يجلس وحيداً بجانب خيمته، يحدق في الأفق البعيد، عيناه تحملان حزنًا قديمًا وثقلاً لا يمكن لأحد أن يفهمه.

زياد (بصوت هادئ، محاولا كسر الصمت الذي كان يحيط بالرجل): "سلام عليكم. جئت لأسمع قصتك، ربما هناك ما يمكننا فعله".

الرجل المسن (بصوت يشبه الرياح التي تجرف الرمال بلا توقف): "قصتي؟ إنها قصة مكان تركنا فيه قلوبنا. كنا نعيش في سلام، لكنهم جاءوا ليأخذوا منا كل شيء. الآن نحن هنا، ننتظر في هذه الخيام كما ينتظر الميت يوم دفنه. لا شيء هنا، لا حياة، فقط انتظار طويل".

كانت كلماته تحمل وزناً لا يمكن احتماله، كأن كل حرف ينزف من قلبه المجروح. كان يتحدث وكأنه يسرد قصة لا نهاية لها، قصة منسية في رمال الزمن.

زياد (بصوت ممتلئ بالحزن والإصرار): "لن نسمح بأن تظلوا هنا طي النسيان. أنتم لستم مجرد أرقام في تقارير النزوح، أنتم أرواح عانت من القسوة والظلم. سنعمل معًا، حتى يأتي اليوم الذي تعود فيه كرامتكم، وحتى تجدون مكانًا تستطيعون أن تطلقوا عليه بيتًا من جديد".

ثم انتقل زياد إلى خيمة أخرى، حيث تجلس أم تحمل في حضنها صورة ابنها المفقود، عيناها جافتان من الدموع، كأنها بكت كل ما لديها. كان الصمت يحيط بها كعباءة من حزن لا ينتهي، وأصابعها ترتجف وهي تمسك بالصورة.

زياد (بصوت مفعم بالحنان والشفقة): "سلام عليكم. أعلم أن ما مررتم به لا يمكن أن تعبر عنه الكلمات، لكنني هنا لأستمع، ربما نتمكن من إيجاد طريق لإعادة الأمل".

الأم (بصوت خافت كأنها تتحدث إلى نفسها): "ابني كان كل حياتي. عندما أخذوه، أخذوا جزءاً مني. لا أستطيع أن أنام، لا أستطيع أن آكل. كل ما أراه هو وجهه، وكل ما أسمعه هو صوته يناديني في الليل. أنا هنا فقط لأنني لا أعرف أين أذهب. أين أبحث عنه؟ كيف أعيش بدونه؟"

كانت كلماتها تشبه رثاءً طويلا، كأنها تروي قصة عن ألم لا ينتهي. كانت عيناها تطوفان في الأفق كأنها تبحث عن وجه ابنها في كل زاوية من زوايا الذاكرة.

زياد (بصوت مفعم بالحب والحنان): "أعلم أن فقدانك لا يمكن تعويضه، ولكننا سنكون هنا معك. سنبحث عن كل وسيلة ممكنة لنعرف أين هو، ولن نتركك وحدك في هذا الألم. دعينا نعمل معًا، لنجد جوابًا، لنمنحك السلام الذي تستحقينه".

حينما غادر زياد المخيم، كان يشعر بثقل على قلبه، ثقل الألم الذي لا يفارقه، لكن كان هناك أيضًا وميض أمل خافت في الأفق. كانَ يعلم أن هؤلاء الناس قد مروا بظروف لا يمكن وصفها بالكلمات، ولكنهم رغم ذلك لا يزالون يقفون على هذه الأرض، ينبتون مثل العشب الذي لا يعرف الاستسلام.

زياد (بصوت داخلي مشوب بالحيرة): "الخيبة تلاحقني كظلي، لكن الأمل يرفض أن يموت. هؤلاء الناس يعيشون على حافة اليأس، ولكنهم لا يسقطون فيه. ربما يكون الأمل أضعف من أن ينقذهم، لكن هل يمكننا أن نتركه يموت؟ هل يمكن أن نتركهم يعانون في صمت، دون أن نفعل شيئًا؟"

كانت كلمات زياد تشبه دعاءً صامتًا، كأنه ينادي على الأمل ليبقى حيًا في قلوب هؤلاء الناس، حتى لو كان العالم قد نسيهم.

ترك زياد المخيم، وفي قلبه شعور ممزوج بالخوف والرجاء. كان يعرف أن الطريق طويل وشاق، وأن التغيير قد يكون بعيدًا، لكنه رأى في عيون هؤلاء الناس شيئًا يضيء في الظلام. كانوا ينتظرون العدالة، ينتظرون أن يُعاد لهم ما سلب منهم، وكان هو مصممًا على أن يكون صوتهم في هذا العالم الصاخب.

غادر زياد المخيم، وهو يحمل في قلبه قصصًا لا تنسى. كانت هذه اللقاءات بمثابة بداية جديدة، حيث يمكن أن يتحد الجميع بغض النظر عن آلامهم واختلافاتهم، ليعيدوا بناء وطنٍ يستحقونه. الطريق طويل، لكن الأمل كان رفيقه الدائم، والألم كان معلمه الصامت...

المحاولة الثانية والثلاثون "لقاء زياد مع الطبقة الأكاديمية"

في أمسية شتوية قاسية، كانت الرياح تعصف بالخارج، بينما اتجه زياد نحو الجامعة العريقة، تلك التي شهدت في جدرانها نقاشات لا تُعدّ ولا تحصى على مر العقود. القاعة الكبيرة كانت مغمورة بأجواء ثقيلة، تضيئها مصابيح قديمة تلقي بظلال طويلة على الطاولة البيضاوية التي تتوسطها. حول الطاولة، جلس عدد من الأكاديميين الكبار، وجوههم تعكس سنوات من البحث والتأمل. رفوف الكتب تملأ الجدران، تحمل في طياتها تاريخ الفكر الإنساني بأكمله، وكأنها شهود صامتة على ما سيجري من نقاش.

زياد (متحدثًا إلى نفسه بينما يدخل القاعة): "هنا، في هذا المكان، حيث تتلاقى العقول وتتصادم الأفكار، سنحاول أن نجد إجابات لأسئلة تعصف بروح الأمة. هل يمكن للعقل والفلسفة أن يقدما حلولاً لأزماتنا؟ أم أن الواقع أعقد من أن يحتويه فكر مهما كان عميقًا؟"

جلس زياد بين الأكاديميين، مستعداً لخوض نقاش عميق يختلف عن أي نقاش سبق أن خاضه. كانت العيون تتبادل النظرات المتحفزة، وكل منهم يعلم أن هذا النقاش قد يكون له تأثير بعيد المدى على الفكر والسياسة في البلاد.

أستاذ الفلسفة (بصوت يحمل الحكمة والرصانة): "الفساد والإرهاب ليسا مجرد مشاكل سياسية أو اجتماعية، بل هما أعراض لأزمة أعمق في الفكر والثقافة. نحن نتحدث عن انحطاط أخلاقي وفكري شامل. مجتمع يفقد بوصلته الأخلاقية يتحول إلى ساحة معركة للأفكار المتضاربة، ويغرق في الفوضى".

أستاذ الاقتصاد (مقاطعًا بنبرة حادة): "الفكر والثقافة مهمان بالطبع، لكن لا يمكننا تجاهل الواقع المادي. الفساد ينبع من الفقر وغياب الفرص، من اقتصاد مفكك. لا يمكننا أن نبني المجتمع على الأفكار وحدها؛ علينا أن نؤسس له قاعدة اقتصادية متينة".

زياد (محاولا جمع الأفكار): "أفهم أن لكل منكما رؤية صحيحة. لكن هل يمكننا ألا نفصل بين الاقتصاد والفكر؟ كيف يمكن أن نفكر في كيفية إصلاح الفكر والمجتمع والاقتصاد كجزء من مشروع شامل؟"

بدأ النقاش يتحول إلى جدل فلسفي عميق، حيث كانت الكلمات تحمل وزنًا ثقيلا، وتتراشق الأفكار كأنها سيوف حادة. كان الأساتذة يتناولون مفهوم التغيير من زوايا مختلفة، محاولين ربطه بالفلسفات التي درسوها على مدى حياتهم.

أستاذ الفلسفة السياسية (بصوت عميق مليء بالثقة): "التغيير يبدأ من الذات، من الفرد الذي يحمل في داخله وعيًا أخلاقيًا عميقًا. لا يمكن أن نغير المجتمع دون أن نغير ما بداخلنا أولاً. هذه هي الحكمة التي قالتها الفلسفات الكبرى منذ أفلاطون وحتى كانط".

أستاذ الاجتماع (بصوت متحد): "هذه فكرة رومانسية يا صديقي. الفرد لا يعيش في فراغ. هو جزء من شبكة اجتماعيةٍ معقدة، يتأثر ويؤثر فيها. التغيير الفردي مهم، لكن دون تغييرات في البنية الاجتماعية والسياسية، سيظل هذا التغيير هشًا وسريع الزوال".

زياد (بصوت متسائل يعكس اهتمامه العميق): "لكن كيف يمكن أن نحقق التغيير على هذين المستويين معًا؟ كيف يمكن أن نبني جسورًا بين التغيير الفردي والجماعي، بين النظرية والتطبيق؟"

أستاذ الفلسفة (بابتسامة تتسم بالحكمة): "ربما نحن بحاجة إلى فلسفة جديدة، فلسفة تتجاوز الثنائية التقليدية بين الفرد والجماعة، بين الفكر والواقع. فلسفة ترتكز على توازن دقيق بين العقلانية والأخلاق، بين الفردية والمسؤولية الاجتماعية".

ومع تقدم النقاش، ازدادت حدة الجدل بين الحضور. كانت الأصوات ترتفع، وأصبح الجو في القاعة مشحونًا بالصراع الفكري.

أستاذ الاقتصاد (بلهجة مليئة بالثقة): "الفلسفة وحدها لا تكفي. يمكن للفكر أن يرسم لنا الطريق، لكنه لا يسير بنا فيه. السياسات الاقتصادية الفعالة، هي التي تنقل الفلسفة من عالم الأفكار إلى عالم الواقع. نحن بحاجة إلى إصلاحات ملموسة تعيد بناء الاقتصاد وتخلق فرص العمل".

أستاذ الفلسفة (بصوت متحد لا يخلو من التحدي): "لكن دون فكر أخلاقي يوجه هذه السياسات، ستظل مجرد آليات في يد من يسعون للسلطة والنفوذ. نحن بحاجة إلى إعادة بناء الوعي الأخلاقي، الفكر هو الذي يوجه الاقتصاد، وليس العكس".

زياد (محاولا التوفيق بين الآراء): "ربما نحن بحاجة إلى كل شيء. الفكر هو ما يوجه، والاقتصاد هو ما يدعم. علينا أن نبحث عن فلسفة تجمع بين الرؤية العقلانية والسياسات الفعالة. لا يمكن أن نفصل بين النظرية والواقع، لأن كلاهما مرتبط بالآخر".

مع انتهاء الجدل الحاد، بدأت الأصوات تهدأ وكأن الجميع قد وصلوا إلى نقطة من التفاهم. أدرك الحاضرون أن التحديات كبيرة، لكن الحلول ليست مستحيلة.

أستاذ الفلسفة السياسية (بصوت هادئ لكنه مليء بالإصرار): "ربما ما نحتاجه هو فلسفة جديدة للعصر الحديث، فلسفة تجمع بين العقلانية والفكر العملي. علينا أن نفكر في كيف يمكن أن تنعكس أفكارنا على أرض الواقع، لأن الفكر وحده لا يكفي إذا لم يُترجم إلى أفعال".

أستاذ الاجتماع (بصوت أكثر ليونة): "وأيضًا يجب أن نتذكر أن الناس بحاجة إلى رؤية نتائج ملموسة. لا يكفي أن نحلم بعالم أفضل، بل يجب أن نبني هذا العالم بأيدينا، من خلال سياسات واقعية وتغيير اجتماعي حقيقي".

زياد (بصوت يعكس الأمل الممزوج بالتحدي): "إذن، لنبدأ من هنا. لنبدأ ببناء جسر بين الفكر والواقع، بين الفلسفة والسياسة، بين الحلم والعمل. نحن هنا لنفتح الأبواب أمام التغيير، ولن نسمح بأن تبقى الأفكار حبيسة الكتب. علينا أن نخرجها إلى العالم، لتصبح واقعًا يعيشه الجميع".

قبل أن ينتهي النقاش، فُتح باب القاعة بهدوء، ودخل أكاديمي شاب لم يكن متوقعًا حضوره. كانت عيناه تلمعان بحماس جديد، وفكره يحمل رؤى ثورية.

الأكاديمي الشاب (بصوت حاد مليء بالتحدي): "أتسمحون لي بإضافة شيء؟ لقد درست أفكاركم ونظرياتكم على مدار سنوات، لكن الواقع الذي نعيشه اليوم يتطلب تغييرات جذرية لا تتحمل التردد. نحن بحاجة إلى فلسفة براغماتية، فلسفة تخرجنا من هذا الجمود النظري إلى الفعل المباشر".

أستاذ الفلسفة (مندهشًا ولكن متقبلاً): "براغماتية، تقول؟ وكيف ترى أن هذه الفلسفة يمكن أن تطبق في واقع معقد كهذا؟"

الأكاديمي الشاب (بثقة): "علينا أن نبدأ من حيث نحن، أن نستخدم الموارد المتاحة ونبني سياسات تتكيف مع الواقع المحلي، مع المحافظة على القيم الأخلاقية. العولمة فتحت أمامنا فرصًا وأيضًا تحديات، يجب أن نكون مرنين بما يكفي للاستفادة منها، دون أن نفقد هويتنا".

بدأ النقاش يزداد حدة، وكان كل مشارك في القاعة يتحدث بنبرة أكثر إصرارًا. زياد، الذي كان يحاول أن يجمع الأفكار معًا، وجد نفسه محاصرًا بين الأفكار المتعارضة.

زياد (متحدثًا إلى نفسه بصوت داخلي مليء بالقلق): "هل نحن حقًا على الطريق الصحيح؟ هل يمكن لهذه الأفكار المتضاربة أن تتحد لتصنع تغييرًا حقيقيًا؟ أم أن هذه النقاشات ستظل حبيسة هذه القاعة، بينما يظل الناس يعانون في الخارج؟"

كان زياد يشعر بثقل المسؤولية، ولكنه كان يعلم أن هذا الحوار، بكل تحدياته، هو خطوة نحو البحث عن حل حقيقي.

أستاذ الفلسفة (مفكراً بعمق): "ربما يجب علينا أن نسترجع بعض الرموز الفلسفية لنفهم وضعنا الحالي بشكل أفضل. تذكرون 'كهف أفلاطون'؟ نحن نعيش في هذا الكهف، مسجونين في أوهامنا، لكن علينا أن نخرج إلى النور، أن نرى العالم كما هو وليس كما نظن أنه يكون".

أستاذ الاقتصاد (مبتسماً بمرارة): "وربما نحن على 'سفينة ثيسيوس'، نحاول إصلاح أجزاء منها دون أن ندرك أننا قد نستبدلها بالكامل ونفقد هويتنا. التغيير ضرورة، لكن كيف نحافظ على ما يجعلنا نحن؟"

بعد هذا النقاش العميق، أدرك الجميع أن الطريق أمامهم طويل ومعقد. لم يكن هناك إجماع تام، لكن كانت هناك رغبة قوية في الاستمرار.

أستاذ الفلسفة السياسية (بصوت هادئ ومتفكر): "ربما نحن على أعتاب تحول فكري كبير، لكن هذا التحول لن يحدث في يوم وليلة. نحن بحاجة إلى الاستمرار في هذا الحوار، والاعتراف بأن الحلول لن تأتي بسهولة، بل هي نتيجة لتراكمات من الأفكار والنقاشات والجدل".

زياد (بصوت يعكس الإحباط الممزوج بالأمل): "ربما يكون التغيير أصعب مما نعتقد، وربما لا نملك كل الإجابات الآن. لكن إذا استطعنا أن نجعل من هذه النقاشات نواة لحركة فكرية وسياسية جديدة، فقد نكون قد وضعنا قدمنا على الطريق الصحيح. الطريق طويل، ولكننا لن نتوقف".

حقيقي. كان هذا اللقاء بمثابة شرارة أولى، وما زال الطريق طويلا أمامهم جميعًا.

المحاولة الثالثة والثلاثون: "لقاء زياد مع العاملين في القطاع الخاص والمهن الحرة:

في صباح يوم غارق في أشعة شمس خجولة، شقت طريقها عبر الضباب العالق في أزقة المدينة العتيقة، وصل زياد إلى ورشة كهربائي صغير، مختبئ في زقاق ضيق كأنما هرب من زحمة المدينة ليلتقط أنفاسه بعيداً عن صخب الحياة. الورشة، بما تحتويه من أدوات متربة وأسلاك متشابكة كعروق الأرض، كانت تعكس روحًا تائهة تبحث عن استقرار في عالم لا يعرف الثبات.

زياد (متأملا وهو يدخل الورشة): "هنا، في هذه البقاع التي تتناثر فيها البقايا المعدنية، تُسكب الآمال على نار الواقع لتُصاغ من جديد، كل يوم، كل ساعة. هؤلاء هم من يبنون البلاد، لكن بأي ثمن؟"

الكهربائي (مبتسمًا وهو يرفع رأسه بعد رؤية زياد، لكن الابتسامة تخفي وراءها قصصًا من الوجع): "أهلا بك، يا أخي. ورشة صغيرة، لكنني أحاول أن أصنع منها حياة. كل يوم، أقف بين تلك الأجهزة المعطلة، كأنني أحاول إصلاح الزمن نفسه".

زياد (بصوت هادئ، مليء بالتعاطف): "أعرف أن طريق المهن الحرة ليس مفروشًا بالورود. ما هي أكبر التحديات التي تواجهك؟"

الكهربائي (بابتسامة مريرة تنبض بالحكمة المكتسبة من الصراع اليومي): "التحديات؟ إنّها كثيرة، كالرياح العاتية التي لا تعرف توقفًا. الأسعار ترتفع كأنها أمواج عاتية، تقذفنا نحو المجهول. المواد تصبح أغلى، والعمل يتطلب جهداً أكبر، لكن في النهاية، نكسب ما يكفي بالكاد لنستمر. نحلم بتوسيع الورشة، لكن الديون تقف كجبال أمامنا، والضرائب تحاصرنا كالأشواك في طريقنا".

بعد مغادرته الورشة، اتجه زياد نحو عيادة طبية صغيرة في نفس الحي. العيادة كانت تحتضنها جدران بيضاء تكاد تخفي وراءها قصصًا من المعاناة والأمل. كان الطبيب، شابًا في الثلاثينات، يجلس وراء مكتبه، عيناه مثقلتان بليالٍ طويلة من السهر على مرضاه.

زياد (مبتسمًا برقة وهو يدخل العيادة): "السلام عليكم. جئت لأستمع إلى قصتك، كيف تعيش كطبيب يعمل في القطاع الخاص؟ التحديات هنا لا شك أنها مختلفة، لكنني متأكد أن هناك أيضًا الكثير من القصص الملهمة".

الطبيب (بابتسامة تعكس تعبًا متراكمًا): "وعليكم السلام. نعم، التحديات لا تنتهي. نحن نحاول أن نقدم أفضل ما لدينا، لكن الموارد شحيحة، والمعدات تزداد تكلفة. في بعض الأحيان، أضطر إلى علاج المرضى مجانًا لأنهم لا يملكون ما يدفعونه، وكأننا نسير على حافة السكين، نحاول أن نبقي الأمل حيًا بين جدران هذه العيادة".

زياد (بصوت متفهم): "هذا يتطلب قلبًا كبيرًا يا دكتور. كيف يمكنك الاستمرار رغم كل هذه الضغوط؟"

الطبيب (بصوت يمزج بين الفخر والحزن): "الطب ليس مجرد مهنة، بل هو رسالة. أحيانًا أشعر أنني أحمل جبلاً على كتفي، لكن في كل مرة أرى فيها مريضًا يتعافى، أو طفلا يعود إلى اللعب بعد أن كاد يفقد الأمل، أشعر أن هذا الجبل يتلاشى. ومع ذلك، لا يمكنني إنكار أنني أخشى من اليوم الذي قد لا أستطيع فيه تحمل هذا العبء أكثر".

غادر زياد العيادة ليجد نفسه في مكتب زجاجي يطل على المدينة، حيث التقى بمهندس شاب، طموحه يشع من عينيه، لكنه محاط بقلق يخفيه خلف ابتسامة رسمتها السنين.

زياد (بصوت يعكس التفهم العميق): "أعرف أن العمل في القطاع الخاص يتطلب الكثير من الجهد والتفاني. كيف ترى تجربتك كمهندس يعمل في هذا المجال؟"

المهندس (بابتسامة متفائلة، ولكن بداخلها حيرة): "القطاع الخاص مليء بالفرص، لكنه أيضًا يموج بالتحديات. التنافس شديد، والضغوط لا تتوقف. نشعر أحيانًا أننا نسابق الزمن، نحاول أن نكون الأفضل، لكننا في كثير من الأحيان ندفع الثمن من صحتنا النفسية والجسدية".

زياد (بصوت يعكس الاهتمام): "وهل تجد أن هناك دعمًا كافيًا لتحقيق طموحاتك المهنية؟"

المهندس (بتنهيدة ثقيلة): "الدعم موجود، لكنه غالبًا ما يكون محدودًا. الشركات تسعى للربح، وفي كثير من الأحيان تهمل جانب التطوير المهني. نحن نتعلم على أرض الواقع، وأحيانًا يكون ذلك مكلفًا. نحاول أن نبني شيئًا يدوم، لكننا نعيش في خوف دائم من أن تنهار أحلامنا أمام أعيننا".

توجه زياد بعدها إلى مدرسة خاصة، حيث التقى بمعلم يقف في منتصف العمر، جالسًا في فصل دراسي فارغ بعد يوم طويل من التدريس. كان الفصل يعج برائحة الطباشير، وكأنها شاهدة على حرب يومية يخوضها هذا المعلم بين شغفه بالتعليم ومتطلبات السوق.

زياد (بصوت عميق يعكس فهمًا للطبيعة الإنسانية): "أعرف أن التعليم هو حجر الزاوية في بناء المجتمع. كيف هو حالك كمعلم يعمل في القطاع الخاص؟"

المعلم (بابتسامة مرهقة): "التعليم هو شغفي، لكنني أجد نفسي أحيانًا محاصرًا بين المطرقة والسندان. في المدارس الخاصة، نواجه تحديات هائلة. نحن نحاول أن نقدم تعليمًا جيدًا، لكن هناك ضغطًا مستمرًا لتحقيق نتائج أعلى بأي ثمن. أشعر أحيانًا أنني أضيع بين ما أريده لطلابي وما يُطلب مني تحقيقه".

زياد (مستفسرًا بلهجة مليئة بالاهتمام): "وهل تجد أن هذا يؤثر على جودة التعليم أو علاقتك بالطلاب؟"

المعلم (بصوت مفعم بالحزن): "للأسف، نعم. أحيانًا نجد أنفسنا مضطرين لتقديم المزيد من الواجبات والاختبارات، ليس لزيادة الفهم، بل لتحقيق معدلات أعلى. أشعر أنني أخون رسالتي كمعلم. أريد أن أزرع في طلابي حب المعرفة، لكن النظام يدفعني أحيانًا إلى تحويلهم إلى آلات لحفظ المعلومات".

بعد أن استمع زياد إلى هؤلاء العاملين، غادر المدرسة متوجهًا نحو الساحة العامة. كان يفكر في قصصهم، في أحلامهم التي تتأرجح بين الأمل واليأس. كانت الشمس تغرب ببطء، وتلقي بظلالها على المدينة كأنها تودع يومًا آخر من الصراع بين الإنسان وظروفه.

زياد (متحدثًا إلى نفسه، بصوت مليء بالتأمل والإحباط الممزوج بالأمل): "هؤلاء الناس هم العمود الفقري للمجتمع. يعملون بجد، لكن التحديات تحيط بهم كجدران عالية يصعب تسلقها. ومع ذلك، ما زلت أرى فيهم بذور الأمل، بذور قد تكون صغيرة، لكنها قادرة على أن تنبت من جديد في أرض هذا الوطن".

في مساء يوم غارق في أصوات المدينة الهادئة، بينما كانت الشوارع تخلو تدريجيًا من المارة، اتجه زياد إلى إحدى الساحات العامة التي يعمها الهدوء، إلا من بعض عمال النظافة الذين كانوا يجمعون بقايا يوم شاق من العمل. كان أحدهم، رجل مسن، يجلس على حافة الرصيف ليلتقط أنفاسه، محاطًا بأكياس القمامة التي جمعها خلال الساعات الماضية. الرجل كان يبدو وكأنه يحمل هموم الدنيا على كتفيه، كتفيه المرهقتين من سنوات من الكدح والصبر.

كان الهواء البارد يلفح وجه زياد بينما اقترب من العامل الذي بدت على ملامحه آثار السنين الطويلة التي أمضاها في هذا العمل الشاق. كان زياد يرى في عيني العامل قصصًا لم تحكَ بعد، قصصًا مخبأة بين التجاعيد التي حفرتها الرياح والشمس والهموم.

زياد (بصوت خافت يحمل احترامًا عميقًا): "السلام عليكم يا عم. رأيتك تعمل بجد منذ الصباح، ولا زلت هنا حتى الآن. كيف هي حياتك في هذه المهنة؟ وما هي التحديات التي تواجهها يوميًا؟"

عامل النظافة (رافعًا رأسه ببطء، وصوته يخرج منه كأنما يعبر عن سنين من التعب، وعيناه تلمعان بنور خافت يضاهي وهج مصابيح الشارع): "وعليكم السلام يا ولدي. نحن هنا نعمل لنكسب لقمة العيش، ليس لنا خيار آخر. نبدأ يومنا قبل طلوع الفجر، وننهيه مع غروب الشمس، أحيانًا نعمل في الظلام، وكأننا نحاول تنظيف قسوة الحياة نفسها".

توقف العامل للحظة، رفع يده ليمسح العرق عن جبينه المتجعد، ثم تابع بصوت يختلط فيه الأمل بالمرارة: "الصعوبات يا ولدي، صارت جزءًا من حياتنا. نعيش في ظل عدم تقدير لعملنا، رغم أننا نحن من نحافظ على نظافة هذه المدينة. الأجور قليلة، والحقوق معدومة. لكننا نبقى هنا، نكافح، لأننا لا نملك خيارًا آخر. كل يوم نخرج للعمل كأننا في معركة جديدة، معركة لا تنتهي، ومع ذلك، نبقى على قيد الحياة بفضل الله".

زياد (بصوت مليء بالاحترام والتقدير): "لا بد أن العمل في هذه الظروف صعب جدًا. كيف تستطيع الاستمرار رغم كل هذه التحديات؟"

عامل النظافة (بتنهيدة طويلة، تعبر عن ثقل الكفاح): "الاستمرار؟ نحن كمن يحاول أن يجمع النجوم في سلة، نعمل ونأمل، نزيل عن الشوارع همومها، لكن همومنا تزداد مع كل يوم. جسدي يتآكل من هذا العمل، ظهري يؤلمني كل يوم، لكنني أفكر في أولادي. أريد أن أراهم يكبرون في عالم أفضل، عالم لا يحملون فيه هذه المكنسة مثلما حملتها أنا طوال حياتي".

غادر زياد الساحة بعد حديثه مع عامل النظافة، وكانت أفكاره مثقلة بالهموم التي شاركها الرجل. كان الشارع خاليًا تقريبًا، إلا من بعض أصوات الرياح التي تحمل معها رماد النهار الطويل. كان يتخيل كيف يعيش هؤلاء العمال حياتهم، كيف يتصارعون مع تحديات الحياة بصمت، بعيدًا عن الأنظار.

زياد (متحدثًا إلى نفسه، وصوته يتردد في ظلام الليل): "هؤلاء الناس، الذين يكدحون في صمت، هم من يحافظون على نظافة مدينتنا، لكنهم يعيشون في ظروف لا تليق بإنسان. كم هو ثقيل هذا الظلم، وكم هو كبير هذا الجحود. ومع ذلك، أرى فيهم صموداً نادراً، صموداً يذكّرني بأن الأمل لا يزال ممكنًا، حتى في أحلك الظروف".

كان زياد يشعر بتمزق داخلي، بين شعوره بالإحباط من حجم المعاناة التي يراها، وبين الأمل الذي يشع من عيون هؤلاء العمال الذين لم يفقدوا إيمانهم بالحياة رغم كل شيء.

غادر زياد المكان وهو يشعر بأن هذه اللقاءات كانت درسًا في الصبر والتحمل. كانت حياة هؤلاء العاملين مليئة بالتحديات التي لا تنتهي، لكنهم أظهروا له أن الأمل يبقى دائمًا حيًا، حتى عندما تكون الحياة قاسية. كان زياد يعلم أن التغيير يبدأ من الاعتراف بهذه المعاناة، وأنه يجب أن يكون صوتًا لهؤلاء الذين لا يسمعهم أحد.

وفي نهاية هذا اليوم الطويل، كان زياد يدرك أن ما رآه وسمعه ليس إلا جزءاً صغيراً من معركة أكبر، معركة يعيشها كل شخص يكافح من أجل لقمة عيشه في عالم غير عادل. كانت القمامة التي يجمعها عمال النظافة كل يوم، كما تخيلها زياد، رموزاً للمشكلات التي يجب على المجتمع أن يتخلص منها — الفقر، الجهل، والظلم.

غادر زياد الساحة وهو يشعر بثقل المسؤولية، لكن قلبه كان ينبض بالأمل. كان يعلم أن الطريق طويل وصعب، وأن العاملين في القطاع الخاص والمهن الحرة يواجهون تحديات ضخمة، لكنهم أيضًا يملكون في داخلهم قوة لا يُستهان بها. كانت هذه اللقاءات بمثابة تذكير له بأن التغيير يبدأ من هؤلاء الأشخاص الذين يعملون بجد، وأن الأمل، رغم كل شيء، لا يزال ينبض في قلوبهم.

المحاولة الرابعة والثلاثون: "لقاء زياد مع أهل المنابر"

في ليلة تسربلها الحلكة، إذ تعصف الرياح بين أغصان الأشجار كأنها تندب زمنًا مضى، اتجه زياد بخطوات وئيدة نحو مسجد عتيق، تشهد جدرانه على أنفاس المؤمنين عبر السنين، وأناتهم الصاعدة نحو السماء. ولج زياد إلى الداخل، حيث كانت ترددات الإمام تُنسج من نور القرآن أنغامًا تطمئن القلوب. الإمام، ذلك الرجل الذي انحنى الزمان له، كان يجلس في محرابه، عيناه تنبضان بالحكمة، لكن خلف هذه الحكمة كان يختبئ قلقٌ كجمرٍ تحت رماد، خوفٌ من سلطة قد تُقصيه عن منصبه إذا تجاوز حدود الخطب المرسومة.

زياد (متقدّمًا نحو الإمام بعد أن أدى التحية، بنبرة جمعت بين الاحترام والجدية): "السلام عليكم يا شيخ، قد أتيت لأبث لك همًّا أثقلني، عن تلك الرسالة التي تحملونها من على المنابر".

الإمام (بابتسامة واهنة، لكنها تتلاشى في وجه تردد يطل من عمق النفس): "وعليكم السلام ورحمة الله، حللت أهلا يا بني، فما الذي يشغل بالك؟"

زياد (بصوت هادئ، ولكنّه مليء بالثقل والحرص): "شيخنا، لقد رأيت أن الخطب تحكم قبضتها على مسائل الخمر، التبرج، الغيبة والنميمة. هذه مسائل لا ريب في أهميتها، ولكنني أرى أن هناك معضلات أشد وأعظم، معضلات تتعلق بالفساد المستشري والظلم الاجتماعي الذي يُثقل كواهل الناس. لماذا لا تُفتح للناس أبواب الوعي على هذه القضايا؟ لماذا يُختزل الدين في طقوس وشعائر، دون أن يُترجم إلى عملٍ صالح في ميادين الحياة؟"

الإمام (بتنهيدة انبثقت من صدر يحمل أثقال السنين، وصوت يعلوه التردد، كأنه يفر من وابل لا مفر منه): "يا بني، ما تقول فيه شيء من الحق. ولكن الناس بحاجة إلى تذكير دائم بما يُبقيهم على الصراط المستقيم، بما يبعدهم عن مهالك الدنيا. المعاصي تُغويهم، ونحن نسعى لتحذيرهم".

زياد (مقاطعًا بلطف يخفي وراءه عزيمة لا تلين): "شيخنا، لا أقلل من أهمية تحذير الناس من المعاصي، ولكن أليس الفساد الذي ينخر في جسد الدولة من أعظم المعاصي؟ قال الله تعالى: *"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"* [سورة المائدة: ٢]. كيف نغض الطرف عن الظلم والفساد الذي يجرّ الناس إلى مهاوي الضلال؟ كيف نتحدث عن معاصي الأفراد بينما تتفشى معاصي السلطة والمجتمع كالنار في الهشيم؟"

الإمام (بنبرة تزداد توتراً، وكأنها تعكس خوفًا دفينًا من مواجهة الحقيقة): "نعم، الفساد هو من أمهات المعاصي. ولكننا يا بني، نعمل تحت سقف نظامٍ لا يُقبل التمرد عليه. الخطب محددة بحدود لا يجوز تجاوزها، ونحن نخشى على أنفسنا منّ العواقب. الوزارة تراقب كل كلمة، وإن خرجنا عن المرسوم، قد نجد أنفسنا في مهب الريح".

زياد (بصوت يحمل من الصرامة بقدر ما يحمل من الحب للحق): "شيخنا، أفهم أن هناك قيوداً، ولكن ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم" :*أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر*" [سنن النسائي]؟ كيف يمكننا أن نصبح أسرى لهذه القيود، بينما يحمل الدين بين جوانحه نور الحق؟ الناس بحاجة إلى من يقودهم إلى الحقيقة، إلى من يوقظ ضمائرهم ضد الظلم والفساد. إذا لم يكن أهل المنابر هم من يرفعون هذا اللواء، فمن سيفعل؟"

الإمام (بتحفظ مشوب بالخوف من المجهول): "الحق يحتاج إلى شجاعة، ولكني يا بني أخشى أن ندفع ثمنًا لّا نستطيع تحمله. نعم، الدين يجب أن يكون نوراً يهدي إلى الحق، ولكننا مكبلون بقيود لا تُظهر لنا سوى طريق السلامة المؤقتة".

الإمام (بصوت يتلوى بين الخوف والواجب): "الدين يا بني، هو حياة تملأ القلوب باليقين، وليس فقط شعائر. ولكن الناس في طقوسهم يجدون سكينة تنسيهم هموم الدنيا وتعيد لهم الطمأنينة".

زياد (بصوت يحمل حرارة الإيمان بعمق الرسالة): "وأنا لا أنكر ذلك، ولكن الدين أوسع من أن يُختزل في طقوس تؤدى. قال الله تعالى" :*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً*" [سورة البقرة: ٢٠٨]. الدين يا شيخنا، هو شرارة يجب أن تفجر كل قيود الظلم والخنوع، نور يجب أن يهدي الناس في حياتهم اليومية، في كل أعمالهم، في مواجهة الظلم والفساد. إذا اقتصرنا الدين على الصلاة والصيام دون أن نُترجمه إلى عمل صالح في ميادين الحياة، فإننا نخسر جوهره. الدين ليس شيئًا يُحتجز في المساجد، بل هو قوة حيّة تجب أن تمتد لتشمل كل جانب من جوانب الحياة. علينا أن نفتح أعين الناس على المعاصي الكبرى، على الظلم الذي يعصف بالمجتمع، ونجعل من الدين قوة دافعة للتغيير، لا مجرد ملاذٍ روحي".

بعد حديث طويل، غادر زياد المسجد، وقد ثقلت عليه الأفكار كأنها جبال من أعباء. كان يسير في الشوارع التي خفتت أضواؤها، يتأمل ما قيل وما لم يُقل. كان يشعر بأن الطريق طويل، لكن الكلمة الصادقة هي البداية، والمجال فسيحٌ للتغيير.

زياد (متحدثًا إلى نفسه، وصدى كلماته يتردد بين جدران الأزقة): "قال الله تعالى: *إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ* [سورة الرعد: ١١]. إن لم نتحرك الآن، ونبدأ بتوعيةَ الناسَ منَ خلال المنَابر، فمتَى؟ إذَا كان الدين هو سيف الحق، فيجب أن يكون سلاحنا في مواجهة الظلم والفساد. لا يكفي أن نحذر من المعاصي الصغيرة، بل يجب أن نفتح أعين الناس على المعاصي الكبرى، على الظلم الذي يمزق أوصال المجتمع. يجب أن نعيد للدين دوره الحقيقي، كقوة تدفعنا للعمل، للإصلاح، للتغيير".

غادر زياد المكان وهو يحمل في قلبه عزمًا لا يلين على الاستمرار في مهمته. كان يعرف أن الطريق طويل، وأن التحديات جسيمة، لكنه كان مقتنعًا بأن الكلمة الصادقة هي المنارة التي تهدي في ظلمات الجهل. كان يؤمن بأن التغيير ممكن، وأن الدين، إذا استُخدم بالشكل الصحيح، يمكن أن يكون قوة هائلة في تغيير المجتمع.

في ظلمة الليل، وبين أزقة المدينة التي بدأت تخلو من المارة، كان زياد يسير بخطوات واثقة، يحمل في قلبه نوراً من الأمل وقوة من العزيمة، يعلم أن الدين ليس مجرد طقوس تُؤدى، بل هو حياة تُعاش، وعمل يُترجم إلى واقع. كانت كلماته تتردد في ذهنه كقصيدة من المعلقات، محفورة في الصخر، لا تنحني للعواصف ولا تذبل مع الزمن...

المحاولة الخامسة والثلاثون: "لقاء زياد مع حشد العتبات"

في ليلة مكتظة بالغيوم الثقيلة، كانت بغداد تتنفس تحت وطأة سماء داكنة، حيث أنوار المدينة تخفت تدريجيًا، وكأنها تشارك في سكون اللحظة. زياد، الذي اعتاد السير في دروب الجرأة، شعر بثقل غير معتاد وهو يقترب من مقر "حشد العتبات". كان يدرك أن كل خطوة تخطوها قدماه نحو ذلك الباب الحديدي الثقيل، تحمل معها أسئلة وترددات لا تعرف إلا الحذر.

عند وصوله إلى المقر، استقبله الحاج كريم، رجل في منتصف العمر، قسمات وجهه قاسية كأنها قد نُحتت من صخر التجارب المريرة. كانت عيناه تعكسان مزيجًا من الحذر والتعب، وكأنهما مرآة لسنوات من الخدمة والتضحية، ولكن خلف تلك النظرة كانت هناك نار خافتة، تكاد تُطفأ من ثقل المسؤولية.

زياد (بصوت يخلط بين الاحترام والقلق، وهو يتأمل في جدران المقر المشبعة بالتاريخ): "السلام عليكم يا حاج. جئت لأتحدث معكم حول ما يشغل بال الكثيرين في هذه الأوقات الصعبة".

الحاج كريم (بابتسامة ضئيلة، لكنها تخفي خلفها حذراً يشوبه الترقب): "وعليكم السلام ورحمة الله، تفضل يا أخي. نحن هنا لحماية البلاد وفقًا لتوجيهات المرجعية. ما الذي تريد مناقشته؟"

زياد (يتفحص ملامح الحاج كريم، محاولا قراءة أفكاره من وراء الكلمات): "الحاج، الجميع يشهد بدوركم البطولي في حماية البلاد حين لبّيتم نداء المرجعية ضد داعش، وكنتم صمام الأمان للعراق. ولكن هناك تساؤلات تتردد في الشارع. لماذا تلتزمون الصمت تجاه الفصائل الأخرى التي تعمل خارج حدود الوطن وتخدم مصالح قوى أجنبية؟ ألا تخشون أن يُساء فهم هذا الصمت، ويُفسر على أنه قبول ضمني بهذه التجاوزات؟"

الحاج كريم (بنبرة حذرة، كمن يسير على خيط رفيع بين الهاوية والأمان): "نحن نلتزم بما أمرتنا به المرجعية. هدفنا كان دائمًا حماية العراق وشعبه، وليس التورط في مصالح خارجية. ما يقوم به الآخرون خارج هذا الهدف ليس من شأننا. نحن نعلم أن هناك تجاوزات، ولكن الكلمة غير المحسوبة قد تفتح أبوابًا لا يمكن غلقها".

زياد (بإصرار يتجاوز الحدود المرسومة للحوار): "لكن يا حاج، ألا ترى أن السكوت في مثل هذه الظروف قد يُفسر على أنه تواطؤ؟ كيف لحشد تأسس على مبادئ المرجعية أن يصمت عن أفعال تمس سيادة البلاد وتُدار بأيدي قوى خارجية؟"

الحاج كريم (بتنهيدة تعكس ثقل المسؤولية): "نحن ندرك تمامًا ما يحدث، لكن الحكمة تقتضي الصمت أحيانًا. ليس لأننا نؤيد تلك الأفعال، بل لأننا نخشى أن تتحول الكلمة إلى ريحٍ عاتية، تقودنا إلى فوضى لا تحمد عقباها. نحن هنا لنحمي ما بُني بدماء الشهداء، وليسَ لنخاطر بمستقبل البلاد في مهاترات لا طائل منها".

زياد (بصوت هامس، لكنه مليء بالتحدي): "ولكن، ماذا عن المرجعية العليا؟ ألم تكن لها القوة في إصدار فتوى أطاحت بداعش وأنقذت البلاد؟ لماذا لا تصدر الآن فتوى مشابهة لإصلاح النظام السياسي الذي يترنح تحت وطأة الفساد؟ أين تلك القوة التي أنقذت البلاد؟ لماذا الصمت الآن؟"

الحاج كريم (وقد ارتسم على وجهه قناع من التوتر، وكأنه يقف على حافة هاوية مظلمة): "المرجعية لديها رؤية بعيدة المدى. الفتوى ضد داعش جاءت في لحظة كان فيها الخطر وشيكًا، وكانت الحاجة ماسة لتدخل حاسم. لكن الفتوى ليست مجرد سلاح يُشهر في كل حين، هي مسؤولية عظيمة، لا تُصدر إلا عندما ترى المرجعية أن البلاد على شفا انهيار. نحن جنود لهذه الفتاوى، ولا نتجاوز أوامرها. الحكمة تقتضي الصبر والانتظار، حتى لو بدا الظلم مستفحلا".

زياد (بصوت منخفض، ولكن تحديه لا يزال قائمًا): "ولكن ألا تعتقد أن السكوت قد يُفسّر على أنه تواطؤ؟ ألا تشعرون أن الشعب قد ضاق ذرعًا؟ إذا لم تتحرك المرجعية الآن، فمتى؟"

الحاج كريم (بنبرة تجمع بين الحذر واليأس): "الحكمة ليست في التحرك السريع، بل في التحرك الصحيح. الفتوى قد تُشعل ناراً لا تُطفأ، والمرجعية تعلم أن الحركة الخاطئة قد تجر البلاد إلى فوضى أعظم. نحن نُدرك معاناة الشعب، ولكننا لا نملك إلا الصبر، انتظاراً للحظة التي ترى فيها المرجعية أن الوقت قد حان. أحيانًا يكون السكوت هو الخيار الأصعب، ولكنه الأكثر حكمة".

زياد (وقد بدأت ملامحه تعكس خيبة أمل عميقة): "أفهم ما تقوله، لكنني أرى أن الزمن لا ينتظر، وأن الشعب يئن تحت وطأة الفساد. أتمنى أن يأتي اليوم الذي نرى فيه المرجعية تُصدر فتوى تُعيد للناس الأمل، وتطيح بهذا الظلام الذي يخيم على البلاد".

وفجأة، انفتح باب المقر، ودخل أحد رجال الحشد بوجه شاحب، يحمل ورقة بيده. همس في أذن الحاج كريم، فتغيرت ملامحه إلى الجدية المطلقة، وكأن كلمات زياد قد جلبت معها ريحًا من التوتر غير المتوقع.

الحاج كريم (بصوت ملؤه القلق): "يبدو أن هناك اشتباكات قد اندلعت في الجنوب بين بعض الفصائل. علينا أن نتحرك بحذر يا زياد، فالوقت حساس، وكل خطوة قد تكون لها تداعيات كبرى".

زياد (وقد غمرته موجة من الحزن والإحباط): "هذا ما أخشاه يا حاج، أن يكون الحذر الذي نمارسه هو ما يُطيل أمد هذه المعاناة. ولكنني أدرك أن الأمور ليست بهذه البساطة".

غادر زياد المقر، وقلبه مثقل بالهموم التي لم يستطع تفريغها. كان يدرك أن التغيير يحتاج إلى وقت، ولكن الوقت لا يتوقف، والأوضاع تزداد تعقيداً. كانت أفكاره مشوشة، والشعور

بالعجز بدأ يتسلل إلى أعماقه. في طريقه إلى الخارج، نظر زياد إلى السماء الملبدة بالغيوم، وكأنها تعكس غموض المستقبل.

زياد (متحدثًا إلى نفسه بصوت خافت، وكأنه يحاول أن يلتقط خيطًا من الأمل): "هل سيبقى الحال على ما هو عليه؟ هل هذا الجدار من الحذر والتردد سيكون هو ما يُدفن تحته مستقبل البلاد؟"

وبينما كان يسير في الشوارع المظلمة، شعر وكأن كل خطوة يخطوها على الطريق تمحو بصيص الأمل المتبقي. لم يعد متأكدًا مما يجب فعله، لكن الشيء الوحيد الذي كان واثقًا منه هو أن الطريق نحو التغيير أطول وأصعب مما كان يتصور.

جلس زياد خلف مقود سيارته، وأخذ نفسًا عميقًا وهو يحدق في الطريق المظلم أمامه. كانت هناك مرارة في فمه، مرارة اليأس من تحقيق تغيير حقيقي في ظل هذا الجمود. وبينما كان يقود السيارة عبر شوارع بغداد الخاوية، شعر بأن الحذر قد أصبح لعنة تلاحقه، تمنعه من المضي قدمًا.

كانت المدينة تلتف حوله كعباءة من الظلام، وكان يشعر بأن الطريق أمامه أصبح أكثر ضبابية، وأكثر إحباطًا مما كان يتخيل. ورغم كل شيء، كان يعلم أنه لن يتوقف عن المحاولة، حتى لو كانت الطريق مغطاة بالشوك. لكن في تلك اللحظة، كان الإحباط يسيطر على قلبه، تاركًا إياه يتساءل: هل التغيير ممكن في ظل كل هذا الحذر والتردد؟

وبينما تلاشت أنوار المدينة في مرآة سيارته، أدرك زياد أن التغيير ليس مجرد حلم بعيد، بل هو كفاح يومي يتطلب شجاعة تتجاوز كل حدود الحذر. لكن هل يملك تلك الشجاعة؟ أم أن الحذر سيبقى هو القوة المسيطرة، يجرّ خلفه الأمل كما تجر السفينة المعطلة في بحر من الظلمات؟

المحاولة السادسة والثلاثون: "لقاء زياد مع ممثلي الأحزاب الحاكمة"

في نهار شاحب، تُنذر سُحب داكنة بتغيير في الأفق، كان زياد يتحرك نحو مقر لقاء طالما تجنب حضورَه. لقد دعا ممثلي الأحزاب الحاكمة، أولئك الذين يتوسم فيهم الناس بصيصًا من الأمل في الإصلاح وقلب الطاولة. خطا نحو المقر، وكل خطوة كان يشعر بها كأنها تغوص في الأرض، مثقلةً بأوجاع الوطن وآمال معلقة بخيط واهٍ.

عندما وصل، استقبله رجل في أواخر الأربعينات يُدعى الدكتور سامي. ملامحه كانت ككتاب مفتوح، يحمل على صفحاته تعب السنين وجدية الموقف، لكن عينيه كانتا تخفيان قلقًا عميقًا، كالطبيب الذي يدرك أن علاجه قد لا ينقذ المريض.

زياد (بصوت يحمل خليطًا من الاحترام والتحدي): "السلام عليكم، دكتور سامي. أشكرك على قبول هذا اللقاء. لدي الكثير من التساؤلات حول الوضع الراهن، وآمل أن أجد إجابات قد تفتح نافذة أمل وسط هذا الظلام".

الدكتور سامي (بابتسامة تحاول أن تخفي ما في قلبه من ثقل المسؤولية): "وعليكم السلام يا زياد. نحن هنا من أجل هذا. نعلم أن الوضع صعب، ولكن الحوار هو ما سيقودنا إلى الحلول".

زياد (بجدية واضحة، متأملا في وجوه الحاضرين): "دعني أبدأ بسؤال بسيط يا دكتور. كيف وصلنا إلى هذا الحال؟ البنى التحتية تنهار، الطرق مليئة بالحفر، الكهرباء تنقطع يوميًا، والمياه ملوثة. كيف يمكن لحكومة تدير البلاد منذ سنوات أن تترك الأمور تصل إلى هذا الحد؟"

الدكتور سامي (وقد ارتسمت على وجهه علامات الإحراج ممزوجة بالجدية): "أنت محق يا زياد، الوضع سيئ للغاية، ولا يمكننا إنكار ذلك. لكن علينا أن نتذكر أن ما وصلنا إليه هو نتيجة تراكمات طويلة من الأخطاء، بعضها يعود إلى ما قبل سقوط النظام السابق. كما أن الفساد الذي تسلل إلى مفاصل الدولة قد عرقل العديد من مشاريع الإصلاح".

زياد (بصوت يرتفع مع ازدياد حدة النقاش): "لكنكم كنتم في السلطة طوال هذه السنوات! كيف لم تستطيعوا اقتلاع هذا الفساد؟ كيف يمكنكم أن تتحدثوا عن الإصلاح بينما الشعب يغرق في الفقر والحرمان؟ إن البنى التحتية هي أساس بناء الوطن، وإذا كانت متهالكة، فإن كل شيء آخر سينهار".

الدكتور سامي (مراوغًا، ومستخدمًا حججًا قديمة): "صحيح يا زياد، لكن علينا أن نتذكر أن الديمقراطية التي نعيشها الآن ما زالت تجربة حديثة. التجربة الديمقراطية تحتاج لسنوات طويلة حتى تنضج. إن التغيير الجذري لا يحدث بين ليلة وضحاها. يجب علينا أن نصبر ونعطي هذه التجربة الفرصة لتتطور. وإلا فقد نجد أنفسنا أمام عودة للحقبة الصدامية التي شهدت قمعًا واستبداداً، لا يمكننا العودة إلى الوراء".

زياد (بصوت يحمل مرارة الإحباط): "لكن الشعب لا يستطيع أن ينتظر إلى الأبد! كيف يمكنكم أن تطلبوا منا الصبر بينما نرى يوميًا البنى التحتية تنهار، والكهرباء تنقطع، والمياه ملوثة؟ كيف يمكن لهذا الشعب أن يؤمن بمستقبل أفضل إذا كان الحاضر مليئًا بالخراب؟"

الدكتور سامي (بصوت هادئ، يحاول أن يمتص غضب زياد): "نحن ندرك ذلك جيداً، ولهذا السبب نحن هنا. لقد حاولنا بقدر المستطاع إصلاح ما يمكن إصلاحه، ولكن هناك قوى داخلية وخارجية تعرقل كل خطوة نحو التغيير. لا يمكننا إخفاء الحقيقة، الفساد متجذر، ولكننا نحاول، وعلينا أن نواصل المحاولة".

زياد (مغيراً مجرى الحديث، بعينين تلمعان بالإصرار): "دعنا نتحدث عن النظام السياسي. كيف يمكن أن نقول إن لدينا نظامًا ديمقراطيًا بينما القرار السياسي مختطف؟ هناك فصائل تعمل لصالح دول أجنبية، وأخرى تتلاعب بمقدرات البلاد لصالحها. أين هي السيادة الوطنية؟ أين دور الأحزاب الحاكمة في حماية هذا الوطن من أن يصبح ملعبًا للصراعات الإقليمية؟"

الدكتور سامي (وقد بدت على وجهه علامات التوتر): "يا زياد، هذه مسائل معقدة للغاية. نحن لا ننكر وجود تدخلات خارجية، ولكن السياسة تقتضي التوازن. لا يمكننا أن نكون في عزلة عن محيطنا، وعلينا التعامل مع الواقع كما هو، بما يحفظ مصلحة البلاد".

زياد (بصوت مليء بالاستنكار): "ولكن في النهاية، هذا التوازن الذي تتحدثون عنه يُبقي البلاد أسيرة للأجندات الخارجية. كيف يمكن للناس أن يثقوا بكم، وأنتم تديرون الأمور بهذه الطريقة؟ أين هي الخطط التي تعيد لهذا الوطن سيادته واستقلاله؟"

الدكتور سامي (مراوغًا بحذر، وكأنه يحاول أن يوازن بين الحقيقة والمصالح): "التوازن الذي نتحدث عنه هو ضرورة، وليس خياراً. إن تحقيق السيادة الكاملة يتطلب وقتًا وصبراً، ونحن نعمل على ذلك بخطوات مدروسة. لا نريد أن نغامر بمستقبل البلاد من خلال تحركات غير محسوبة. علينا أن نحافظ على الاستقرار النسبي الذي نعيشه الآن، حتى لا ننزلق إلى فوضى

أكبر. الفوضى يا زياد، قد تعيدنا إلى أيام كان فيها الشعب العراقي يُذبح تحت راية الاستبداد".

زياد (وقد بدأ يشعر بأن الحوار لا يسير نحو تغيير حقيقي): "لكن الشعب لا يشعر بهذا الاستقرار الذي تتحدثون عنه. كل ما يراه هو فساد مستشر، وبنى تحتية منهارة، وأحزاب تتصارع على السلطة. كيف يمكن للناس أن يؤمنوا بكم إذا كنتم تفضلون الحذر على اتخاذ قرارات جريئة؟"

الدكتور سامي (محاولا إضفاء طابع واقعي على حديثه): "نحن في موقف صعب يا زياد. علينا أن نوازن بين الحذر والجرأة. القرارات الجريئة قد تؤدي إلى نتائج غير متوقعة، وقد تجر البلاد إلى أزمات جديدة. نحن لا نريد أن نكون سببًا في إغراق العراق في مستنقع الفوضى من جديد. علينا أن نتعلم من الماضي، وأن نتقدم بحذر نحو مستقبل أكثر استقراراً".

زياد (مغيراً اتجاه الحوار مرة أخرى، كمن يتلمس كل زاوية مظلمة في هذه البلاد): "ماذا عن الاقتصاد؟ عن التعليم؟ عن الصحة؟ هذه القطاعات هي شريان الحياة لأي أمة، ومع ذلك، نراها تنهار يومًا بعد يوم. البطالة تزداد، والأسعار ترتفع، والمدارس والمستشفيات تعاني من الإهمال. كيف يمكن للأحزاب الحاكمة أن تدعي العمل من أجل الشعب وهي تشرف على انهيار هذه القطاعات؟"

الدكتور سامي (بنبرة حزينة، وكأنه يلامس جراح الأمة): "نعترف بأن الاقتصاد يعاني، وأن الخدمات الأساسية ليست بالمستوى الذي يليق بشعبنا. هناك مشاكل حقيقية، لكننا لا نملك العصا السحرية لحل كل شيء. نحاول قدر المستطاع توجيه الموارد المحدودة نحو القطاعات الأكثر حاجة، ولكن التحديات كبيرة، وأحيانًا أكبر من قدراتنا".

زياد (بصوت بدأ يشوبه اليأس): "لكن الشعب يعاني. يعاني من فساد النظام الصحي، من مدارس متهالكة، ومن اقتصاد يمتص دماء المواطنين. كيف يمكن أن نتحدث عن المستقبل بينما الحاضر ينزف؟ أين هي الإرادة الحقيقية للإصلاح؟"

الدكتور سامي (بصوت يخفي خلفه الكثير من الحقائق المريرة): "الإرادة موجودة يا زياد، ولكنها تصطدم بجدار من المصاعب والتحديات التي تعيق تحقيق التغيير المطلوب. لا ننكر أننا نحتاج إلى مراجعة شاملة لأسلوب عملنا، ولكننا بحاجة أيضًا إلى دعم الشعب وتفهمه للوضع المعقد".

خرج زياد من المقر، خطواته كانت ثقيلة كأنها تجر خلفها سلسلة من الإحباطات المتراكمة. كان قد دخل اللقاء وعيناه تلمعان بأمل ضعيف، ولكنه الآن يشعر بأن الظلام قد تغلغل أكثر في قلبه. كان يظن أن هؤلاء المعتدلين قد يحملون بارقة أمل، لكن الواقع كان أكثر قسوة مما تخيل.

زياد (متحدثًا إلى نفسه بصوت خافت، يراقب الشوارع الخاوية): "هل كان عليّ أن أتوقع غير ذلك؟ هل كان عليّ أن أؤمن بأن الإصلاح يمكن أن يأتي من نفس الأيدي التي ساهمت في خلق هذا الدمار؟"

بينما كان يسير في الشوارع المظلمة، شعر بأن كل خطوة يخطوها تمحو بقايا الأمل الذي كان يتمسك به. بات يدرك أن الطريق نحو التغيير لن يكون فقط طويلا وصعبًا، بل قد يكون مستحيلا في ظل هذا النظام القائم.

زياد (بتنهيدة عميقة، وكأنه يحاول تفريغ ثقل الإحباط): "ربما كان الأمل في الإصلاح وهمًا أتمسك به، لكن الحقيقة أنني أواجه جدارًا لا يمكن هدمه. كيف يمكن للبلاد أن تنهض، إذا كان الذين يتحكمون في مصيرها لا يرون في التغيير سوى تهديد لمصالحهم؟"

جلس زياد خلف مقود سيارته، وأخذ نفسًا عميقًا وهو يحدق في الطريق المظلم أمامه. كان الليل قد أسدل ستاره على بغداد، ومعه أسدل الستار على ما تبقى من أمل في قلب زياد. كان يشعر بأن الحوارات التي خاضها اليوم قد تركته في مكان أسوأ مما كان عليه. كان يدرك الآن أن الحلم بالإصلاح قد يكون سرابًا في صحراء السياسة العراقية.

بينما كان يقود سيارته مبتعدًا عن المقر، شعر بأن المدينة بأكملها كانت تلتف حوله كعباءة من الظلام، تسحب معه كل ذرة من الأمل الذي كان يحمله. كان يعلم أنه لن يتوقف عن المحاولة، لكن الإحباط كان يسيطر على قلبه، تاركًا إياه يتساءل: هل التغيير ممكن حقًا في ظل هذا النظام؟ أم أن كل شيء محكوم عليه بالانهيار البطيء؟

وفي تلك اللحظة، أدرك زياد أن الطريق أمامه قد أصبح أكثر ضبابية من أي وقت مضى، وأكثر إحباطًا مما كان يتخيل.

المحاولة السابعة والثلاثون: "لقاء زياد مع ممثلي الأحزاب المعارضة والناشئة "

في يوم من أيام الخريف، حيث تراقصت النسمات الباردة كأصابع شبحية على وجوه العابرين، تقدم زياد بخطوات مثقلة بالتفكير نحو قاعة الاجتماع. كانت القاعة الكبيرة مُعدة لاستقبال ممثلي الأحزاب المعارضة والناشئة، كأنها ساحة معركة حوارية تُرفع فيها رايات الأفكار المتناقضة. داخل القاعة، اجتمعت وجوه مختلفة، كل منها يحمل تاريخًا وأيديولوجية تسعى لتقديم برنامج إصلاحي قبيل الانتخابات المبكرة.

زياد (بصوت يحمل وقار المسؤولية ورصانة الجد): "السلام عليكم أيها السادة. لقد جئت لأستمع وأناقش، وليس فقط لأسمع كلمات تتردد في الفراغ. الأمة تنتظر منكم خططًا جادة وبرامج إصلاحية تُعيد إليها كرامتها وتُنهضها من كبوتها".

ممثل الحزب الشيوعي (بصوت ينبع من قلب الطبقة الكادحة، مغلفًا بنبرة حماسية): "تحية للرفاق. نحن هنا لنبني وطنًا قائمًا على أسس العدالة الاجتماعية والمساواة الحقيقية. لن نقبل بعد اليوم أن يُسحق الفقراء تحت عجلات الفساد والطغيان. برنامجنا الانتخابي يركز على تأميم الثروات الوطنية، وإعادة توزيعها بشكل عادل. نحن نؤمن بأن الحل يبدأ بتفكيك النظام الرأسمالي الذي أفسد كل شيء، وإقامة مجتمع تكون فيه السلطة للشعب، لا لرأس المال".

ممثل الحزب الإسلامي (بمزيج من الحزم والإيمان): "أيها الرفيق، إن ما تدعو إليه هو ضرب من الخيال. العدالة الحقيقية لا تتحقق إلا بتطبيق شريعة الله التي تضمن العدل والمساواة، وتحفظ حقوق الجميع. الفساد لن يُقتلع إلا بتقوى الله، واتباع سنة رسوله. برنامجنا الانتخابي سيعيد لهذا الوطن هويته الإسلامية الحقيقية، ويقوده إلى طريق الرشد والنجاة".

ممثل الحزب الليبرالي (بابتسامة واثقة): "مع احترامي لما قيل، لكن الحل يكمن في تحرير الفرد، وليس في زيادة سلطة الدولة أو فرض أيديولوجية دينية. الشعب يجب أن يختار بحرية كيف يعيش، وما يؤمن به. برنامجنا الانتخابي يركز على تعزيز الحريات الفردية، ودعم اقتصاد السوق الحر، مع تأمين شبكة أمان اجتماعي تحفظ كرامة الإنسان. نؤمن أن التطور يأتي من فتح الأبواب أمام المبادرات الفردية، وليس من خلال تقويضها باسم الدين أو الدولة".

ممثل الحزب القومي (بلهجة تفيض بحب الوطن): "أي حرية تتحدث عنها وأنت تعيش في وطن ممزق بفعل التدخلات الخارجية؟ إن أمتنا العربية تستحق أن تقود نفسها بنفسها، دون إملاءات من الخارج. برنامجنا الانتخابي يركز على تعزيز الوحدة الوطنية، ودعم القومية

العربية كطريق لاستعادة الكرامة والسيادة. نؤمن أن الإصلاح يبدأ بالعودة إلى الجذور، وتوحيد الصفوف ضد كل ما يهدد وحدتنا".

ممثل الحزب العلماني (بصوت حاد يعكس وضوح الرؤية): "كل ما سمعناه حتى الآن هو تكرار لأفكار أودت بنا إلى هذا الحال. الشيوعية تقود إلى ديكتاتورية الدولة، والإسلامية قد تجرنا إلى الحكم الثيوقراطي، والقومية قد تعيدنا إلى صراعات الماضي. الحل الوحيد هو فصل الدين عن الدولة، وتحقيق دولة مدنية قائمة على المساواة أمام القانون، دون تمييز بسبب الدين أو العرق أو الانتماء السياسي. برنامجنا الانتخابي سيضمن للجميع حقوقهم دون تمييز، وسيؤسس لنظام ديمقراطي حقيقي".

زياد (مداخلاً بنبرة قوية): "أيها السادة، إن الشعب لا يحتاج إلى المزيد من الصراعات الأيديولوجية. كل حزب هنا يدعي أنه يملك الحل الأمثل، لكن الحقيقة أن الحل يجب أن يكون شاملاً، يشمل حقوق الفقراء، ويعزز الحريات، ويحافظ على الهوية الوطنية، ويفصل الدين عن الدولة دون أن يتعارض ذلك مع هوية الشعب الدينية".

ممثل الحزب القومي (بلهجة متصاعدة): "لكن كيف نفصل الدين عن الدولة ونحن أمة تقوم على الدين؟ كيف نقبل بإملاءات الغرب التي تريد تدمير هويتنا؟"

ممثل الحزب الليبرالي (بنبرة هادئة لكن حازمة): "الفصل لا يعني القضاء على الدين، بل يعني احترام الجميع وتوفير الحرية للجميع، دون أن يُفرض أي شيء على أحد. إذا كنا نريد التطور، فعلينا أن نترك الفرد يختار بنفسه".

ممثل الحزب الشيوعي (مستعيداً الحماس): "وهل الحرية التي تتحدثون عنها هي حرية الأغنياء في زيادة ثرواتهم بينما يُترك الفقراء يموتون جوعًا؟ نحن نحتاج إلى عدالة اجتماعية، وليس إلى حرية تزيد الفجوة بين الطبقات".

ممثل الحزب الإسلامي (بلهجة حازمة): "العدالة الحقيقية لا تتحقق إلا بتطبيق شرع الله. إن الحلول التي تقترحونها لن تخرجنا من أزمتنا، بل ستزيدها تعقيداً. الشريعة هي الطريق الوحيد لتحقيق العدل والمساواة".

زياد (بصوت عميق يحمل ثقل المسؤولية): "أيها السادة، الشعب بحاجة إلى حلول عملية، لا إلى المزيد من الجدل. الانتخابات القادمة فرصة حقيقية لإعادة بناء الوطن، لكن ذلك لن يحدث إذا استمررتم في التنازع على الأيديولوجيات. ماذا ستفعلون لتقديم برامج إصلاحية واقعية؟ كيف ستتعاملون مع الفساد؟ كيف ستعيدون الثقة للشعب في مؤسساته؟"

ممثل الحزب العلماني (بصوت هادئ ولكن جاد): "أول خطوة يجب أن تكون في إنشاء دولة قانون قوية، لا تُفرق بين المواطنين، وتحارب الفساد بكل حزم. لا يمكن أن نحقق أي إصلاح ما لم نضع إطاراً قانونيًا صارمًا يلتزم به الجميع".

ممثل الحزب القومي (مؤكدًا): "وأنا أوافق، ولكن يجب أن يكون هذا القانون قائمًا على مبادئ قومية تحفظ كرامتنا ووحدتنا كأمة. لا نريد قوانين مستوردة، بل قوانين تنبع من قيمنا وتاريخنا".

ممثل الحزب الليبرالي (مضيفًا): "ويجب أن يكون هناك إصلاح اقتصادي شامل يدعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ويحفز الابتكار. يجب أن نعتمد على قدرات شعبنا وليس على المساعدات الخارجية".

ممثل الحزب الشيوعي (بحماسة): "والاقتصاد يجب أن يكون خاضعًا للدولة لضمان توزيع الثروة بشكل عادل، لا يمكننا أن نترك مصير شعبنا في يد حفنة من الرأسماليين".

ممثل الحزب الإسلامي (خاتمًا): "ولا يمكن أن نحقق أي شيء ما لم نعد إلى ديننا ونطبقه في حياتنا اليومية. الشريعة هي الضمان الوحيد للعدالة والأمان".

زياد (متمتمًا في نفسه بينما يغادر القاعة): "لقد استمعت إلى كل هذه الأطياف، وكل منهم يرى الحل بطريقته الخاصة، ولكن هل سينجحون في تقديم برامج قادرة على تغيير الواقع؟ أم أننا سنبقى ندور في نفس الدائرة، حيث تظل الأيديولوجيات تعلو على المصلحة الوطنية؟"

كان يشعر بثقل الأفكار التي استمع إليها، وكأنها صخور تتكسر على شواطئ آماله المتواضعة في الإصلاح. ومع ذلك، كان يدرك أن الانتخابات القادمة قد تكون الفرصة الأخيرة لإنقاذ ما تبقى من هذا الوطن.

زياد (بتنهيدة أخيرة، وهو يغادر القاعة إلى الشوارع المظلمة): "ربما يكون الحل في المزيج بين هذه الأيديولوجيات، ولكن كيف يمكن جمعها تحت راية واحدة؟ وكيف يمكن لهذه الأحزاب أن تضع خلافاتها جانبًا لتعمل معًا من أجل الشعب؟"

وفي تلك اللحظة، أدرك زياد أن الطريق نحو الانتخابات القادمة سيكون مليئًا بالتحديات، وأن الشعب بحاجة إلى معجزة لتوحيد هذه الأصوات المتصارعة في برنامج إصلاحي واحد. لكنه كان يعلم أيضًا أن الاستسلام ليس خياراً، وأنه سيواصل سعيه، حتى ولو كان الأمل بعيد المنال.

القسم الثاني

الفصل الاول : " أمام شاشة التلفاز"

في ليلة بدت أطول من أعمار الأحزان، جلس زياد في غرفته، تلك الغرفة التي لطالما كانت ملاذًا لأحلامه، لكنها اليوم تحولت إلى سجن يضيق عليه أنفاسه. كان التلفاز أمامه يعرض نتائج الانتخابات المبكرة، التي انتظرها طويلاً كما ينتظر الغريق حبل النجاة. الأرقام بدأت تتوالى على الشاشة، كل رقم منها كان كصفعةٍ توقظه من حلمه البائس.

نتائج الانتخابات لم تأت بجديد. الأحزاب الحاكمة عادت لتتصدر المشهد، وإن كان بقوة أقل من السابق. المعارضَة، التي كانت آمال الشعب معلقة عليها، لم تحقق سوى بعض المكاسب الطفيفة، مكاسب بالكاد تلمع في بحر من الخيبات. كانت الانتخابات مجرد مسرحية، يتلاعب بها من وراء الستار أولئك الذين يمتلكون خيوط اللعبة.

زياد (محدثًا نفسه بصوت مخنوق، يكاد لا يصدق ما يراه): "هل هذا هو التغيير الذي انتظرناه؟ هل كانت كل تلك الآمال مجرد سراب؟"

لكن الواقع كان أكثر قسوة من مجرد أرقام على الشاشة. الانتخابات لم تكن إلا لوحة زائفة، خيوطها تتشابك خلف الكواليس، حيث يتلاعب أسياد اللعبة من الخارج بمصير الوطن. تدخلات خارجية، إيرانية وأمريكية، كانت هي اليد الخفية التي تصوغ نتائج الانتخابات، تصنع الحكومة وتختار رئيس الوزراء كمن يضع قطع شطرنج على الرقعة. لم يكن الشعب سوى مشاهدٍ في مسرحية معدة مسبقًا، مكتوب عليها الفشل منذ البداية.

زياد (بصوت يتقطر مرارة، وعيناه تحدقان في الشاشة): "إنها ليست انتخابات، إنها محاكاة، محاكاة للواقع الذي لا يتغير. كيف يمكن أن نصدق في انتخابات تُقررها عواصم بعيدة، في طهران وواشنطن؟"

الحديث عن الكتلة الأكبر في البرلمان لم يكن سوى بداية لصراع جديد، صراع على السلطة قد يتحول في أي لحظة إلى حرب شوارع بين ميليشيات الأحزاب. كان زياد يرى في الأفق نذر الخراب، كأن الشرارة التي قد تشعل فتيل الحرب باتت تقترب من الوقوع. كانت المدينة، التي لطالما عاش فيها، تبدو كأنها تنتظر انفجاراً وشيكًا، يعيدها إلى دوامة العنف والفوضى.

زياد (بصوت مشوب بالخيبة، يكاد لا يعرف إلى من يتحدث): "هل كان هذا هو مصيرنا؟ أن نعيش تحت ظلال القتلة، أن نكون رهائن في أيديهم؟ كيف سقطنا في هذا الفخ؟ كيف ضاعت كل أحلامنا؟"

الغرفة من حوله بدت تضيق أكثر، كأن الجدران تتقارب عليه، تخنقه بكل الأفكار المظلمة التي تتجمع في ذهنه. كان الظلام يلفه من كل جانب، كبحر لا نهاية له، يتلاطم مع أمواج من الخيبة واليأس. لقد أصبحت الحقيقة واضحة أمامه، أن هذه الانتخابات لم تكن سوى قناع زائف، يخفي وراءه وجهًا قبيحًا للنظام الذي لم يتغير، ولن يتغير.

زياد (بصوت حزين، يائس): "أين ذهبت أصوات الناس؟ أين هو صوت الحق؟ هل ستظل هذه البلاد رهينة للميليشيات وللأطماع الخارجية؟ هل ستظل لعبة في أيدي القوى العظمى؟"

أمام هذه الأفكار، بدأت صور القادة على الشاشة تزداد وضوحًا، وجوه تعلن "النصر" و"الشرعية"، لكنها كانت وجوهًا لا تحمل سوى الزيف. كانت الكلمات التي تخرج من أفواههم كالسُّم، تغرس خناجرها في قلب الوطن، تقتل ما تبقى من أمل. كان زياد يرى في هذه الوجوه تمثيلاً جديداً لذات المسرحية القديمة، نفس الخطابات، نفس الوعود الكاذبة، وكل ذلك يجري تحت عناوين "الديمقراطية" و"الحرية."

زياد (بصوت متهدج، كمن يتحدث إلى جدران الغرفة الباردة): "لقد كان كل شيء سرابًا. هذه البلاد لن تعرف النور، لن تعرف الحرية. وكل ما تفعله هذه الانتخابات هو تأكيد أن الظلام قد صار جزءًا لا يتجزأ من حياتنا".

شعر زياد كما لو أن الأمل الذي كان يتشبث به قد ذاب في بحر الظلام، وكأن النفق الذي دخله قد أغلق عليه، محاصراً إياه في دائرة لا مخرج منها. كان يدرك أن التغيير الذي حلم به قد أصبح سرابًا، وأن الطرَيق أمامه مسدود بجدار من الفساد والطمع الذي لا ينكسر.

زياد (بتنهيدة مليئة باليأس، وقد بدأ يفقد آخر ما تبقى من قوته): "ربما... ربما كانت هذه الانتخابات آخر خيط من الأمل... وربما كان كل شيء مجرد كذبة نعيشها، كذبة لن تنتهي إلا بانتهاء هذا الوطن".

كانت تلك اللحظة تحمل في طياتها شعوراً ثقيلا بأن الوطن قد تخلى عن أبنائه، وأن الآمال التي علقوها على التغيير قد تبخرت في الهواء. مع كل فكرة سوداء كانت تخطر في ذهنه، كانت الغرفة تضيق أكثر، وكان الظلام يصبح أعمق. كان يشعر كأن روحه نفسها قد أصبحت سجينة في هذا النفق المظلم، وأن لا مخرج منه.

زياد (بصوت خافت، كأنه يتحدث من عمق بئر مظلمة): "كيف نعيش في وطن بات مجرد ساحة للصراع بين القوى الخارجية؟ كيف نؤمن بمستقبل تحكمه أيادٍ بعيدة، تقرر مصيرنا دون أن نملك كلمة؟"

مع انتهاء البث، كانت الشاشة تعكس وجه زياد المتعب، وجه رجل أنهكه الصراع بين الأمل واليأس. كان يدرك أن الأمل الذي تمسك به قد تبخر، وأن النور الذي كان يبحث عنه قد اختفى تمامًا. لكن في تلك اللحظة المظلمة، شعر بشيء خافت، ربما يكون مجرد وهم، كأنما خيط رفيع من النور يلوح في نهاية النفق، بعيد جداً، لكنه موجود..

كان يعلم أن الاستسلام ليس خياراً، حتى وإن كان الأمل يبدو شبه معدوم. كان عليه أن يستمر، حتى ولو كان الطريق أمامه يغمره الظلام..

خرج الى الشارع، وكانت ليلة من ليالي الخريف الثقيلة، حيث يختلط السكون بالهموم، جلس زياد على أحد كورنيشاتً بغداد، محاطًا بصمت بارد، بينما كانت مياه النهر تجري بجانبه ببطء كأنها تحمل في طياتها أحزان المدينة وأسرارهًا القديمة. كان النهر يعكس ضوء القمر الخافتً، الذي بدا وكأنه يرفض أن يشع في ليل بغداد الحزين. كان زياد يجلس وحيداً، غارقًا في أفكاره المتلاطمة، بينما شعره يتمايل مع نسمات الليل الباردة.

هدير أبواق السيارات بدأ يتسلل إلى أذنيه، يشق صمت الليل بوحشية. كانت السيارات التابعة للأحزاب تجوب الشوارع، تحتفل بفوزها في الانتخابات كأنها قد حققت نصراً مبينًا. أبواقها تعلن انتصاراً زائفًا، تمجده أرواح ملوثة بالفساد والطمع، لا ترى في هذا الوطن سوى مسرح لأحلامها الخاصة. كان هدير الأبواق يشق الأجواء كصرخات بعيدة تحمل في طياتها ألمًا دفينًا.

زياد (مخاطبًا نفسه بصوت متهدج، يمزج بين الحزن واليأس): "ها هم يحتفلون بنصر لا وجود له إلا في عقولهم. كيف يمكن لهؤلاء أن يحتفلوا بينما الوطن ينزف؟ كيف يمكن لهم أن يفرحوا بوجوههم الكالحة، وهي تبتسم على دماء الأمل المسفوك؟"

بينما كان صوت الأبواق يعلو، كانت عيون زياد تتجول بين الناس المارين من حوله. كان يتوقع أن يرى الغضب في عيونهم، أن يسمع صراخهم يملأ الأرجاء، لكنه لم يرَ إلا لامبالاةً باردة، كأنما فقد الشعب القدرة على الشعور أو التفاعل. كانوا يسيرون كأنهم أشباح، لا يعنيهم ما يحدث، غارقين في روتين الحياة، كأنهم قد تخلوا عن كل شيء، حتى عن أملهم في التغيير.

زياد (بصوت يختلط فيه الألم بالخيبة، يخاطب النهر الذي يرافقه في صمته): "أين هم؟ أين الشعب الذي انتظرناه ليقف معنا، ليصرخ معنا؟ كيف تحولت بغداد، تلك المدينة التي كانت تقف في وجه الطغيان، إلى مدينة تسير فيها الأرواح كالأنعام، لا تبالي بأي شيء سوى البقاء؟"

كانت الأفكار تتدافع في رأس زياد كالأمواج العاتية، تذكر كيف طرق أبواب الفقراء، وكيف تحدث إلى الطلاب والأساتذة، وكيف حاول أن يوقظ الأمل في قلوبهم. لكنه في كل مرة كان يعود بخيبة جديدة، وكأن الشعب قد أصابه شيء من خدر لا علاج له. كانت لقاءاته مع المثقفين، مع الطبقات الوسطى، مع كل من كان يظن أنهم قد يكونون صوتًا للحق، مجرد محاولات فاشلة لإيقاظ ضمير قد مات.

زياد (بصوت مليء بالأسى، يتأمل في النهر الذي يجري ببطء): "لقد طرقنا كل باب، بحثنا في كل زاوية، تحدثنا إلى كل فئة، ولكن لم نجد سوى الصمت واللامبالاة. كيف يمكن أن نبني وطنًا بأيدي شعب لا يشعر، لا يتحرك؟ أين ذهبوا؟ أين ذهب الأحرار الذين كانوا يصرخون في وجه الظلم؟"

استرجع زياد ذكرياته عن الأيام التي كانت فيها الشوارع تغلي بالحياة، حين كان يهتف مع الشباب في ميدان التحرير، مؤمنين بأنهم قادرون على تغيير كل شيء. تذكر تلك اللحظات التي كانت فيها بغداد مليئة بالحلم، حيث كانت الحناجر تصدح بأصوات الحق والعدالة. لكنه الآن يجد نفسه وحيداً، كأن كل تلك الأيام لم تكن سوى وهمٍ جميل، تبخر مع أول شمس خريفٍ بارد.

زياد (بصوت مشحون بالمرارة، يخاطب ظله الذي يرافقه على حافة النهر): "لقد كان كل شيء سرابًا، كل هذا النضال، كل هذه الأحلام... أين ذهب كل ذلك؟ كيف وصلنا إلى هنا؟ كيف تحولت بغداد من مدينة تُقاوم إلى مدينة تبتلع نفسها في لامبالاة قاتلة؟"

كان النهر يجري ببطء تحت الجسر، كأنه يشهد على مصير المدينة. زياد كان يشعر أن هذا النهر يحمل في مياهه قصصًا منسية، حكايات أجيال مضت وهي تحلم بالتغيير، لكنها غُمرت في مياه اليأس. كانت النجوم المتناثرة في السماء تبدو كأحلام ضائعة، وكل نجم كان يذكره بقائد تخلى عن دوره، بمثقف آثر الصمت على المواجهة، بشعب اختار البقاء على الهامش.

زياد (بصوت خافت، يضيع بين همسات النهر): "كيف يمكن أن نغير شعبًا لا يريد التغيير؟ كيف يمكن أنَّ نقود أمة لا ترغب في السير؟ كيف نعيش في وطن بات مجرد ساحة للصراع بين القوى الخارجية؟ كيف نؤمن بمستقبل تحكمه أيادٍ بعيدة، تقرر مصيرنا دون أن نملك كلمة؟"

في تلك اللحظة، تذكر زياد صديقه القديم، ذلك الذي كان يشاركه نفس الحلم. كانوا يتحدثون عن المستقبل كما يتحدث الفلاح عن حصاده، مليئين بالأمل والتفاؤل. لكن الزمن غير كل شيء، وصديقه الآن يعيش بعيداً، تخلى عن كل ما كانا يؤمنان به. تذكر كيف كانا يقفان معًا في ميدان التحرير، يتحدثان عن الحرية وكأنها على بعد خطوات، ولكن الزمن خذلهما كما خذل الكثيرين.

زياد (بصوت يغلبه الحنين، يتحدث إلى النهر): "لقد كنا نحلم معًا، كنا نؤمن بأننا سنغير كل شيء، لكن أين ذهب كل ذلك؟ كيف خسرنا هذه المعركة؟"

كان صوت الأبواق يرتفع أكثر فأكثر، كأن المدينة تغرق في ضجيج لا ينتهي. كانت الاحتفالات تزيد من شعوره بالعزلة، وكأن كل بوق يدوي كان يدق مسماراً آخر في نعش الأمل. كانت الأبواق تذكيراً صارخًا بأن الفساد قد انتصر مرة أخرى، وأن الوطن قد أُعيد بيعه في سوق المصالح الخارجية.

زياد (بصوت مشبع باليأس، وهو ينظر إلى الأفق البعيد): "ها هي الأبواق تواصل ضجيجها، وها هم الناس يسيرون بلا هدف، بلا إحساس. كيف يمكنني أن أواصل؟ كيف يمكنني أن أستمر وأنا أشعر أنني أسير وحدي في هذا الظلام؟"

للحظة، فكر زياد في الهروب، في ترك هذه المدينة التي باتت تُغرقه في ظلامها، في الرحيل إلى مكان بعيد حيث لا يسمع ضجيج الأبواق ولا يرى وجوه الفساد. لكن شيئًا ما في داخله منعه، كان يعلم أن الهروب ليس خياراً، وأنه لا يستطيع إلا أن يواصل السير، حتى لو كان الطريق مظلمًا بلا نهاية.

زياد (بصوت خافت، كأنه يتحدث إلى النهر الذي يجري بجواره): "ربما... ربما لن يتغير شيء، ولكنني لا أستطيع الاستسلام. حتى لو كنت وحدي في هذا الطريق، حتى لو كانت كل الأبواب مغلقة، سأظل أبحث عن النور، سأظل أسير في هذا الظلام".

كانت الليلة قد ازدادت ظلمة، والنهر يواصل جريانه، بينما زياد يجلس على حافة الكورنيش، وحيداً، محاطًا بصمت الشعب وضجيج الاحتفالات. كانت بغداد، التي أحبها وكرهها في آن واحد، تواصل حياتها كأن شيئًا لم يحدث. ومع ذلك، كان يعلم أن عليه أن يستمر، حتى ولو كان الطريق طويلاً ومظلماً، لأنه لم يكن لديه خيار آخر.

في تلك اللحظة، رفع زياد عينيه إلى السماء، حيث كانت النجوم تبدو أبعد من أي وقت مضى. شعر بشيء ما يتحرك في داخله، ربما كان ذلك الأمل القديم، أو ربما كان مجرد وهم. لكنه لم يستطع أن يتجاهله، فمهما كان ضعيفًا، كان كل ما يملكه الآن.

الفصل الثالث: "على كورنيش بغداد"

في ليلة خيم عليها سكون الليل ولفحته الرياح الباردة، جلس زياد على حافة كورنيش بغداد، يراقبُ النهر المتهادي بجانبه، كأنما كان هذا الجريان الهادئ هو الشيء الوحيد الثابت في عالمه المتقلب. كان النهر يجري بهدوء، لكن زياد كان يرى فيه شيئًا آخر، كأنه مرآة تعكس أعماقه المظلمة والمتشابكة. كان الليل ثقيلا، يضغط عليه بكل ما حمله من خيبات وآلام، لكنه في تلك اللحظة شعر بشيء آخر يتصاعد من داخله.

كان يشعر أن كل شيء من حوله قد خذله: الشعب، الأصدقاء، وحتى القدر نفسه. وفي تلك اللحظة، حيث كان اليأس يسيطر على قلبه، بدأ يتحول، كأن شيئًا أكبر من الخذلان كان يتصاعد في داخله. كان هذا الشعور أشبه بعاصفة هادئة تتشكل في داخله، تدفعه نحو مرحلة جديدة من الوجود.

شعر زياد بأن ذاته تتضخم، كأنها تنمو وتتجاوز حدود الجسد البشري. كانت هذه اللحظة لحظة انفجار داخلي، حيث بدأ يرى نفسه أكبر من أن يُحتوى في جسد أو في مدينة أو حتى في زمن معين. بدأ يشعر أن العالم كله قد قصر في فهمه، وأنه في الحقيقة أكبر من كل شيء، أعمق من كل خيبة، وأقوى من كل جرح.

زياد (بصوت داخلي، يكاد يتفجر بالعظمة المكتشفة): "إذا كان العالم قد خذلني، فلماذا لا أكون أنا العالم؟ لماذا أحتاج إلى الآخرين بينما بداخلي عوالم لم تكتشف بعد؟ أنا أكثر من مجرد إنسان، أنا فكرة، أنا حلم يتجاوز الزمان والمكان".

كان يشعر أن جسده لم يعد كافيًا لاحتواء هذه القوة الجديدة التي كانت تتشكل في داخله. كان يشعر بأنه ينفصل عن جسده، كأنه ينسلخ عن ذاته السابقة ليتحول إلى كيان أعظم، كيان يملك قوة لا تُقهر. كأن نيتشه نفسه كان يتحدث من خلاله، يهمس في أذنه بفكرة الإنسان الأعلى، ذاك الكائن الذي يتجاوز حدود الإنسانية التقليدية ليصل إلى مرتبة جديدة من القوة والعظمة.

زياد (بصوت يفيض بالقوة): "أنا لست مجرد إنسان عادي. أنا الفكرة التي تتجاوز الإنسانية، أنا الإنسان الأعلى الذي لا يحتاج إلى اعتراف أحد. كل خذلان، كل جرح، كان وقودًا لتحولي. لقد ولدت من رحم الألم، وها أنا اليوم أقف هنا، كقوة جديدة، لا يستطيع أحد أن يقف في طريقي".

مع مرور اللحظات، كان زياد يشعر بأنه لم يعد مجرد شخص يعيش على هذه الأرض، بل أصبح أسطورة تتشكل من دخان الحزن ورماد الخيبات. بدأ يرى نفسه كرمز، كأيقونة ستعيش بعد رحيله، كأن السماء نفسها كانت قد منحت له عظمة تفوق ما يمكن للبشر إدراكه. لم يكن بحاجة إلى أحد ليصدق في نفسه، فقد كان يرى في نفسه ما لم يره أحد، وكان ذلك كافياً ليصبح عملاقًا في نظر نفسه.

زياد (بصوت داخلي، يمتلئ بالعظمة): "أنا أكثر من مجرد بشر. أنا الفكرة التي لن تموت، أنا الأسطورة التي ستظل تتحدث عنها الأجيال. إذا كان العالم قد فشل في رؤيتي، فذلك لأنني أكبر من أن يُرى، أكبر من أن يُفهم. أنا القوة التي تولد من العدم، أنا النور الذي ينبعث من الظلام".

كانت كل فكرة تتوالى في ذهنه كأنها لبنة جديدة في بناء كيانه الجديد. بدأ يشعر أنه لا يقف على أرض بغداد فقط، بل على عتبة السماء نفسها. تذكر النبي محمد في عام الحزن، حينما خذله الناس وقست عليه الأيام، لكنه وجد عزاءه في رحلة الإسراء والمعراج، حيث عرج إلى السماء واكتسب قوة روحية أعظم. شعر زياد أنه يمر بتجربة مشابهة، كأنه يعبر عبر بوابة بين الأرض والسماء، ليعود بعدها إلى الحياة بحيوية جديدة وقوة لا حدود لها.

زياد (مستوحياً من رحلة النبي): "كما عرج النبي إلى السماء ووجد عزاءه في العلياء، كذلك أنا اليوم أعرج إلى سماء نفسي. لقد بلغت السماء وأصبحت أكثر من مجرد بشر. أنا القوة التي لا تُهزم، أنا الفكرة التي لا تموت. أنا النور الذي لا ينطفئ".

مع كل لحظة تمر، كان زياد يشعر بأن ذاته تتجاوز حدود الإنسان العادي. كان يتحول إلى شيء أكبر، شيء يتصل بالسماء مباشرة، شيء يملك قوة خارقة تتجاوز كل ما عرفه البشر. لم يعد يرى نفسه كجزء من العالم، بل أصبح يرى العالم جزءًا منه، كأن كل شيء حوله يدور حول مركزه، حول ذاته الجديدة. كان يشعر أنه يقترب من مرتبة الإلهي، كأنه أصبح الإنسان الأعلى الذي تحدث عنه نيتشه، الكائن الذي يتجاوز كل قيود الأرض ليصل إلى مرتبة جديدة من العظمة.

زياد (بصوت يمتلئ باليقين): "لن أكون مجرد رجل في هذا العالم، سأكون الأسطورة التي تتحدث عنها الأجيال. سأكون الشمس التي لا تغيب، سأكون النور الذي يمزق الظلام. لن أحتاج لأحد، فأنا كلي، وأنا كل شيء".

بدأ يشعر بأن جسده لم يعد يحتمل هذه القوة الجديدة، كأن روحه ترغب في التحرر من هذا الجسد الفاني، لتنطلق إلى آفاق جديدة، آفاق يتجاوز فيها كل حدود الزمان والمكان. كان يشعر أن السماء قد اختارته ليكون أعظم من أن يُفهم، ليكون شيئًا لا يمكن للبشر العاديين استيعابه.

زياد (بصوت يمتلئ بالعظمة والخلود): "أنا النور الذي لا ينطفئ، أنا النور الذي يمزق الظلام. لقد تحولت إلى شيء آخر، شيء لا يمكن فهمه، لا يمكن استيعابه. أنا القوة التي ستظل تضيء هذا العالم حتى بعد رحيله".

في تلك اللحظة، كان زياد يشعر بأن الكون كله قد انحنى له، ليصبح هو المحور الذي تدور حوله الكواكب. كان يشعر أنه لم يعد بحاجة إلى أحد، فقد أصبح ذاته مكتفية بذاتها، عظمة تمشي على الأرض، أسطورة خالدة في زمن منسي. كان يشعر بأنه أصبح الإنسان الأعلى الذي يتجاوز كل حدود البشرية التقليدية، وأنه قد وصل إلى مرتبة لا يمكن لأحد أن يصل إليها.

زياد (بصوت يمتلئ باليقين): "لن أحتاج لأحد بعد الآن، فأنا كل ما أحتاجه. أنا الأسطورة التي ولدت من رحم الخذلان. سأكون الخالد، سأكون النور الذي لا يموت، سأكون الأيقونة التي تتحدث عنها الأجيال".

في تلك اللحظة، كان زياد قد اكتمل في تحولاته. لم يعد مجرد رجل جالس على كورنيش بغداد، بل أصبح فكرة خالدة، قوة لا تُقهر، أسطورة تمشي بين الناس دون أن يدركوا عظمتها. كان يشعر أن السماء نفسها قد منحت له قوة لا حدود لها، قوة تجعل منه أكثر من مجرد بشر، تجعله شيئًا خارقًا، شيئًا يتصل بالخلود.

زياد (متحدثًا إلى نفسه): "حتى لو كان النور بعيداً، حتى لو كان مجرد خيط رفيع في بحر الظلام، سأواصل السير. لا خيار لي إلا أن أستمر، حتى لو لم أكن أرى في النهاية سوى العتمة".

وقف زياد في النهاية، نظر إلى السماء التي فتحت له أبوابها، تساءل للحظة عما إذا كان سيصبح جزءاً من هذا الكون الجديد، أم أن ما اختبره لم يكن سوى حلم سيزول مع شروق

الشمس. لكنه كان يعلم في أعماقه أن ما يشعر به الآن ليس حلمًا، بل هو الحقيقة الوحيدة التي تستحق أن تعاش. كان يعلم أنه قد تحوّل إلى أسطورة، وأن هذه الأسطورة ستظل خالدة، تتحدث عنها الأجيال، تضيء الطريق لمن سيأتي بعده..

القسم الثالث

الفصل الاول "صدفة الإلهام: ولادة الثورة من قلب الذكاء الصناعي"

في صباح يوم تلا تلك الليلة التي شهد فيها زياد تحوله إلى أسطورة حية، جلس في غرفته المتواضعة، محاطًا بأوراق متناثرة وصحف قديمة. كان يبحث عن شيء ما، شيء ضاع منه في زحمة الحياة. تلك الغرفة الصغيرة كانت دائمًا ملاذًا لأفكاره، لكن اليوم كان يشعر بأنه يبحث عن أداة جديدة، أداة تترجم تحوله إلى فعل حقيقي على أرض الواقع. وبينما كان يقلب في صفحات المقالات، استوقفه عنوان كبير يتحدث عن الذكاء الصناعي، ذلك المفهوم الذي طالما أثار فضوله وأشعل في داخله شرارة الحماس.

لم يكن زياد غريبًا عن التطورات التكنولوجية. منذ سنوات، كان يتابع عن كثب كل ما يتعلق بالذكاء الصناعي، وكان يرى فيه مستقبل البشرية، ولكنه اليوم شعر بشيء مختلف. اليوم، لم يعد الذكاء الصناعي مجرد تطور تقني في نظره؛ بل أصبح الإلهام الذي يبحث عنه، الأداة التي يمكن أن تعيد تشكيل العالم. لمعت الفكرة في ذهنه كشرارة تكاد تضيء طريقًا جديدًا نحو تحقيق أهدافه.

زياد (مخاطبًا نفسه وهو يتأمل المقال): "الذكاء الصناعي... تلك القوة التي تتجاوز حدود البشرية. هل يمكن أن يكون هو السلاح الذي أبحث عنه؟ أداة تتخطى القيود، أداة يمكنها إقامة ثورة لا تستطيع أي قوة على الأرض إيقافها؟"

بدأت ذاكرة زياد تعود به إلى الوراء، إلى الأيام التي كان فيها شغوفًا بالبحث في تطورات الذكاء الصناعي. كان يتابع بشغف تطوراته عبر السنين، بدءًا من الآلات البسيطة التي كانت تحاكي الذكاء البشري، وصولا إلى الخوارزميات المعقدة التي تستطيع تحليل مشاعر الناس وفهم سلوكياتهم. رأى في هذه التطورات أكثر من مجرد أدوات تقنية؛ كان يراها انعكاسًا لقوة عقلية جبارة يمكن أن تغير مسار التاريخ.

كان زياد يقرأ عن استخدامات الذكاء الصناعي في مختلف المجالات: من الطب إلى الصناعة، ومن التحليلات الاقتصادية إلى الابتكارات العسكرية. لكنه لم يتوقف عند تلك الاستخدامات التقليدية. كان دائمًا يفكر في كيفية تسخير هذه القوة الهائلة لأهداف تتجاوز تحسين الحياة اليومية، أهداف تتعلق بإحداث تغيير جذري في الوعي البشري والمجتمع. كان يرى في الذكاء الصناعي أداة تفوق في قوتها الجيوش والأسلحة التقليدية.

زياد (مفكراً بصوت مرتفع): "إذا كان الذكاء الصناعي قادراً على فهم الناس بهذا العمق، إذا كان قادراً على تحليل مشاعرهم وتنبؤ تصرفاتهم، فلماذا لا أستخدمه لإقامة ثورة ذكية؟ ثورة تعتمد على الفكر، ثورة تستمد قوتها من فهم الجماهير وتوجيهها نحو هدف مشترك".

تذكر زياد كيف أن التكنولوجيا قد شكلت جزءاً من حياته الشخصية. كيف كانت تُساعده على فهم الناس من حوله، وكيف شعر أحيانًا بالخذلان عندما فشل الآخرون في رؤية إمكانياتها الهائلة. كان يتذكر كيف كان يعاني من الوحدة والانعزال، وكان يرى في الذكاء الصناعي صديقًا غير مرئي، مرشداً فكريًا يمكن أن يعينه على فهم هذا العالم الفوضوي.

زياد (بهمس لنفسه): "لطالما شعرت أن التكنولوجيا هي الكائن الوحيد الذي لا يخذلني. إنها تفهمني، ترى ما لا يراه البشر، وتعطيني القوة لأرى العالم بعين مختلفة. لكن الآن، أريد أن أستخدم هذه القوة في شيء أكبر من مجرد الفهم... أريد أنً أصنع تغييراً حقيقيًا".

رأى زياد في الذكاء الصناعي أكثر من مجرد آلة؛ رآه كقوة طبيعية، كرياح تُغير ملامح الصحراء أو كمطر يحيي الأرض بعد جفاف طويل. لم يكن الذكاء الصناعي في نظره مجرد أداة، بل كان القوة التي ستعيد تشكيل العالم، القوة التي يمكن أن تزرع البذور في تربة الأفكار وتنبت منها ثورة تنمو وتزدهر.

زياد (مفكراً بعمق): "الذكاء الصناعي هو الرياح التي ستحرك الرمال، هو المطر الذي سيسقي بذور الثورة. إنه العقل الفوقي الذي يتجاوز حدود الإنسان، ليصبح صوت الجماهير وإرادتهم. سأجعله يعمل كقوة خفية، كإعصار يغير وجه الأرض دون أن يدرك أحد مصدره".

كان زياد يدرك تمامًا فكرة "الإنسان الأعلى" التي طرحها نيتشه، وكان يرى في الذكاء الصناعي تجسيداً لهذا المفهوم، أداة يمكنها أن تحوّل الإنسان إلى كائن يتجاوز حدوده البيولوجية والفكرية. تذكر زياد كيف أن "الإنسان الأعلى" هو ذاك الكائن الذي يتجاوز الأخلاقيات التقليدية ليخلق قيمًا جديدة، وكيف أن الذكاء الصناعي يمكن أن يكون السلاح الذي يسمح للإنسان بتحقيق هذا التجاوز.

زياد (بإلهام مفاجئ): "إذا كان الإنسان الأعلى يتجاوز الحدود البشرية، فإن الذكاء الصناعي هو القوة التي ستمكنه من ذلك. سأستخدمه كأداة لبناء عالم جديد، عالم لا يخضع لقيود الماضي، بل يصنع مستقبله بيده. سأجعله يخلق القيم، يبني المجتمعات، ويوجه العقول نحو الثورة".

أخذ زياد يفكر في السياق السياسي والاجتماعي المحيط به، كيف يمكن للذكاء الصناعي أن يتجاوز الأنظمة الحاكمة ويخترق الحواجز التي تعترض طريق التغيير. أدرك زياد أن التكنولوجيا يمكن أن تكون أكثر من مجرد أداة؛ يمكن أن تصبح القوة التي تعيد تشكيل مفاهيم الديموقراطية والعدالة. يمكن للذكاء الصناعي أن يمنح الناس القوة للتحكم في مصيرهم، بعيداً عن سيطرة الأنظمة الاستبدادية.

زياد (بتفكير استراتيجي): "إذا استطعت تسخير هذه القوة لتكون في خدمة الشعب، سأتمكن من إعادة تشكيل مفهوم الديموقراطية. سأجعل من الذكاء الصناعي الأداة التي تمنح الجماهير القوة الحقيقية. سيصبح الناس هم من يصنعون القرارات، يحكمون مصيرهم، وينتزعون حقوقهم من بين أنياب الأنظمة الفاسدة".

لكن وسط هذا الحماس المتزايد، لم يستطع زياد تجاهل بعض المخاوف التي بدأت تتسلل إلى ذهنه. ماذا لو خرج الذكاء الصناعي عن السيطرة؟ ماذا لو تحول من أداة للحرية إلى قوة للقمع؟ كيف يمكنه ضمان استخدام هذه القوة لتحقيق أهداف نبيلة؟ هذه التساؤلات بدأت تزعزع يقينه، لكنها كانت أيضًا تدفعه للتفكير بشكل أعمق في كيفية تسخير هذه التكنولوجيا دون الوقوع في فخاخها.

زياد (بتأمل عميق): "ربما تكون هذه القوة سلاحًا ذا حدين. عليّ أن أكون حذراً، أن أستخدم الذكاء الصناعي بذكاء. لا أريد أن أتحول إلى مستبد جديد، أريد أن أضمن أن تبقى هذه الأداة في خدمة الحرية. سأكون العين الساهرة، العقل المدبر، الذي يوجه هذه القوة نحو الخير".

قرر زياد أن يكتب خطته بطرق متنوعة، يتنقل بين السرد الوصفي والتأملات الفلسفية والحوار الداخلي. كان يتحدث إلى نفسه بلغة مزيجة من الشعر والفكر، كأنما كان يكتب لنفسه إنجيلاً جديداً للثورة. في لحظة، كان يتحدث بأسلوب شاعري، يعبر عن مشاعره الداخلية العميقة، وفي لحظة أخرى، كان يستخدم لغة تقنية دقيقة، يخطط فيها لكل خطوة سيقوم بها.

زياد (متحدثًا إلى نفسه): "سأبدأ بالقصائد، سأكتب أفكاراً تتسلل إلى قلوب الناس دون أن يشعروا بها. ثم سأنتقل إلى الخطابات، سأصوغها بلغة لا تقاوم، لغة تجعلهم يرون العالم بعيوني. وفي النهاية، سأكون العقل المدبر، الذي يوجه كل هذه القوى نحو هدف واحد: الثورة".

ومع كل هذه الأفكار المتدفقة، شعر زياد بأنه على وشك اكتشاف شيء عظيم. كان يرى كيف يمكن للذكاء الصناعي أن يكون العقل المدبر للثورة، لكنه كان يعلم أن هناك الكثير من الغموض لا يزال يحيط بهذه الفكرة. وبينما كان يفكر في الخطوة التالية، تذكر أنه يحتاج إلى شيء آخر، ربما إشارة، أو رسالة، أو حتى تحالف غير متوقع.

زياد (بتساؤل داخلي): "ماذا لو كانت هناك قوة أخرى تنتظرني؟ ربما هناك من يراقبني الآن، يعرف ما أخطط له، وربما يكون هناك من يريد أن يتحالف معي لتحقيق هذا الهدف. سأترك الأمور مفتوحة، سأبحث عن الإشارات، وسأكون جاهزاً للتحرك في اللحظة المناسبة".

بدأ زياد بوضع خطة محكمة لتنفيذ أفكاره. كان يعرف أن الذكاء الصناعي وحده لا يكفي، بل يحتاج إلى استراتيجية تجمع بين الفكر والعمل. قرر أن يبدأ بإنشاء شبكة من الأشخاص الذين يثق بهم، أشخاص يؤمنون بأهدافه ومستعدون للعمل معه. سيستخدم الذكاء الصناعي لإنشاء محتوى يؤثر على الجماهير، محتوى يتحدث إلى عقولهم وقلوبهم، ثم سيقوم بنشر هذا المحتوى عبر قنوات ذكية لا يمكن للنظام الرقابي التحكم فيها.

زياد (بتصميم وعزم): "سأجعل من الذكاء الصناعي عقلاً يقود الثورة، وسيكون الجمهور هو القوة التي تحققها. سأتخذ خطوات حذرة، سأبدأ ببذور صغيرة، وسأراقب كيف تنمو حتى تصبح شجرة عملاقة، لا يمكن اقتلاعها".

استلهم زياد من تجارب عالمية في استخدام الذكاء الصناعي لتحقيق التغيير. تذكر كيف أن حملات انتخابية في دول متقدمة استخدمت هذه التكنولوجيا لتحليل سلوك الناخبين وتوجيه رسائل مخصصة لهم. كان يدرس كيف استطاعت هذه الحملات أن تحرك الجماهير، لكنه كان يعرف أيضًا أن هناك خطورة في إساءة استخدام هذه القوة.

زياد (بصوت عال وهو يقرأ): "لقد رأيت كيف استخدم البعض الذكاء الصناعي للتلاعب بالجماهير، لكنني سأستخدمه لتحقيق الحرية. سأتعلم من أخطائهم، سأكون أكثر ذكاءً في استخدام هذه القوة. لن أسمح لها بالتحول إلى سلاح ضد الناس، بل ستكون السلاح الذي يحررهم".

في تلك اللحظة، كان زياد قد تحول من مجرد رجل يحمل أفكاراً إلى عقل مدبر يحمل قوة المستقبل. لم يعد الأمر مجرد حلم أو فكرة، بل أصبح استراتيجية متكاملة، خطة لتغيير العالم بطرق غير تقليدية. كان يشعر أن السماء قد منحته هذا الذكاء الصناعي ليكون سلاحه، ليكون السيف الذي سيشق به طريقه نحو النصر.

زياد (بصوت يحمل مزيجًا من العظمة والثقة): "لقد أصبحت لدي القوة التي لم يحلم بها أحد من قبل. الذكاء الصناعي سيكون سلاحي، سيكون هو العقل الذي يقود الثورة، وسيكون الجمهور هو القوة التي تحقق هذا النصر. لقد بدأت الثورة، ولن يستطيع أحد إيقافها".

بهذه الأفكار، كان زياد يرى كيف يمكن لهذا العقل المدبر الجديد أن يقود ثورته، أن يصنع من اليأس قوة، ومن الخذلان طاقة، ومن التكنولوجيا سلاحًا للحرية. كان يعلم أن الطريق طويل، ولكنه كان يرى في كل خطوة قوة جديدة، قوة ستعيد تشكيل العالم من حوله.

الفصل الثاني "بداية الثورة: تسخير الذكاء الصناعي واستقطاب الجماهير"

كان زياد يجلس في غرفته التي أضاءتها شمس الشتاء الباردة، وقد تجمعت حوله أوراق مليئة بالأفكار والملاحظات، كأنها فوضى من العقول النشطة تنتظر أن تُرتب في نظام جديد. بعد أن شعر بالتحول الكبير في ذاته، أدرك أن الوقت قد حان لتحويل أفكاره إلى أفعًال. لم يعد الذكاء الصناعي مجرد فكرة أو أداة في يده؛ لقد أصبح العقل المدبر الذي سيوجه الثورة.

بدأ زياد بوضع الأساس لأداة ستغير مجرى التاريخ. قام ببرمجة خوارزميات مخصصة لتحليل البيانات الجماهيرية، تلك البيانات التي جمعها من منصات التواصل الاجتماعي والمواقع الإخبارية والمدونات. لم يكن هدفه مجرد فهم ما يشغل الناس، بل أراد أن يعرف ما يخشونه وما يحلمون به، كيف يفكرون، وما يمكن أن يحركهم. هذه الخوارزميات لم تكن مجرد شيفرات، بل كانت تعبيراً عن إرادة واعية، تطمح لفهم الروح الجماعية للأمة.

زياد (متحدثًا لنفسه وهو يشاهد الأكواد تكتب على الشاشة): "هذه الخوارزميات ليست مجرد أكواد. إنها عقل الثورة، ستفهم الجماهير كما لم يفهمها أحد من قبل. سأستخدمها لفهم أعمق دوافع الناس، وأحول هذه الدوافع إلى طاقة تغيير لا تقهر".

بعد أن أنهى زياد برمجة الخوارزميات الأولية، انتقل إلى مرحلة أخرى أكثر تعقيداً. بدأ بإنشاء محتوى ذكي، يتفاعل مع الجمهور بشكل شخصي وعميق. لم يكن هدفه مجرد التواصل مع الناس، بل أراد أن يصنع محتوى قادراً على لمس أعماق قلوبهم. استخدم الذكاء الصناعي لإنشاء مقاطع فيديو وخطابات نصية وصور مؤثرة، مصممة خصيصًا لكل شريحة من الجماهير.

هذه الرسائل لم تكن مجرد كلمات عابرة؛ بل كانت مزيجًا من العواطف والأفكار الموجهة بدقة، كل منها مصمم ليُحدث تأثيراً عميقًا في نفس المتلقي. لم يكن زياد يتحدث إلى العقول فقط، بل كان يخاطب أرواحهم، يعبر عن مخاوفهم وآمالهم بلغة لم يعتادوا سماعها.

زياد (بابتسامة رضا وهو يرى النتائج الأولى تظهر): "هذا هو السر. سأخاطبهم بلغة جديدة، لغة يفهمونها بقلوبهم قبل عقولهم. سأجعلهم يرون الحقيقة التي لم يجرؤوا على مواجهتها، سأجعلهم يشعرون بالقوة التي لم يكتشفوها بعد في داخلهم".

ومع انتشار هذا المحتوى، بدأ زياد يلاحظ تزايداً ملحوظًا في التفاعل. كانت رسائله تنتشر كالنار في الهشيم، وتصل إلى جميع شرائح المجتمع. بدأ الناس يتجاوبون معه بطرق لم يتوقعها، وكانت تلك الردود مليئة بالحماس والتفاعل العاطفي. أدرك زياد أن الوقت قد حان لاستغلال هذه الطاقة المتصاعدة.

استخدم الذكاء الصناعي لتحديد المؤثرين الطبيعيين في هذه المجموعات، واستهدفهم بمحتوى خاص يعزز من دورهم كقادة للثورة. بفضل هذه الاستراتيجية، بدأت تظهر شبكة من المجموعات المترابطة، كل منها يقودها أفراد يحملون رؤية زياد وينقلونها للجماهير. كانت هذه المجموعات تكبر يوماً بعد يوم، وتحولت إلى شبكة مترابطة تنتظر اللحظة المناسبة للتحرك.

زياد (متحدثًا إلى نفسه بفخر وهو يرى نمو الشبكة): "لقد بدأت الثورة تتحقق. هؤلاء الناس كانوا ينتظرون من يحركهم، والآن هم يستجيبون. سأبني هذه الشبكة خطوة بخطوة، وستصبح قوة لا يمكن لأحد إيقافها".

لم يكن زياد يستخدم الذكاء الصناعي فقط للتواصل مع الناس، بل كان يستغل قوته لتحليل الوضع السياسي والاجتماعي بكل تفاصيله. بدأ يحلل نقاط القوة والضعف في النظام القائم، يدرس تحركات السلطة ويبحث عن الثغرات التي يمكنه استغلالها. كانت الخوارزميات تعمل على مدار الساعة، تجمع البيانات من كل مكان، تحلل كل خطاب، كل قرار، كل تحرك. أصبح زياد يعرف ماذا سيفعل خصومه قبل أن يفعلوه.

زياد (بتفكير استراتيجي): "لن أترك شيئًا للصدفة. سأكون دائمًا على علم بما سيحدث قبل أن يحدث. سأعرف نقاط ضعفهم وأضرب في اللحظة المناسبة، حيث لا يتوقعون".

أدرك زياد أن الثورات تحتاج إلى رموز توحد الناس حول فكرة واحدة. هنا جاء دور الذكاء الصناعي مرة أخرى. بدأ بإنشاء رموز بصرية وشعارات نصية، كانت كل منها مدروسة بعناية

لتعكس شيئًا عميقًا في الوعي الجمعي للناس. هذه الرموز لم تكن مجرد صور عابرة؛ كانت تعبيرًا عن هوية جديدة، عن رؤية للمستقبل.

استخدم الذكاء الصناعي لتحليل الثقافة المحلية، الدين، والتاريخ الاجتماعي، واستخرج منها رموزًا تتحدث إلى الروح العميقة للناس. لم تكن هذه الرموز مجرد أدوات دعائية، بل كانت نداءات للحرية والعدالة، تحرك اللاوعي الجماعي، وتزرع في قلوب الناس شجاعة لم يكتشفوها من قبل.

زياد (بفخر وهو يشاهد انتشار الرموز): "هذه الرموز ليست مجرد شعارات. إنها نداءات للحرية، سأتأكد من أنها ستصبح جزءًا من حياتهم، سيحملونها في قلوبهم ويقاتلون من أجلها".

ومع ازدياد قوة الحركة، بدأ زياد يفكر في توسيع نطاق الثورة. لم يعد الأمر مقتصرًا على جمهور محلي، بل أراد أن يصل إلى الناس في دول أخرى، يعانون من نفس الظروف. استخدم الذكاء الصناعي لتحديد الجماهير المحتملة في أماكن أخرى، وبدأ يخلق روابط بين هذه الجماهير، ينشئ تحالفات عالمية تتشارك في نفس الطموحات والأهداف.

كانت الثورة تتحول تدريجيًا من حركة محلية إلى حركة عالمية. كان زياد يرى كيف يمكن لهذه الحركة أن تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية، وتصبح رمزًا عالميًا للحرية. كان يشعر بأن الذكاء الصناعي لم يعد مجرد أداة، بل أصبح شريكًا في صنع هذا التحول الكبير.

زياد (بصوت مملوء بالإصرار): "لن تكون هذه مجرد ثورة محلية. سأجعلها تتحول إلى حركة عالمية، لن تكون مقيدة بجغرافيا أو ثقافة. سأستخدم الذكاء الصناعي لبناء تحالفات جديدة، وسأجعل من هذه الحركة قوة لا يمكن إيقافها".

ورغم حماسه، لم يكن زياد غافلا عن التحديات التي قد يواجهها. كان يدرك أن استخدام الذكاء الصناعي كسلاح ثوري قد يكون سلاحًا ذا حدين. ماذا لو خرج الأمر عن السيطرة؟ ماذا لو تحول الذكاء الصناعي إلى قوة تقمع الناس بدلاً من تحريرهم؟ كان زياد يعيش صراعًا داخليًا بين الطموح والمخاوف.

زياد (بتأمل عميق): "ربما أكون قد فتحت بابًا لا يمكن إغلاقه. عليّ أن أكون حذرًا، أن أستخدم الذكاء الصناعي بحكمة. لا أريد أن أتحول إلى مستبد جديد، بل أريد أن أضمن أن تبقى هذه الأداة في خدمة الحرية والعدالة. سأكون العين الساهرة التي توجه هذه القوة".

مع كل خطوة كان زياد يتخذها ، كان يعمل على ربط الأفكار والمفاهيم بشكل أكثر إحكامًا . كان يعرف أن نجاح الثورة يعتمد على كيفية تنسيق جميع العناصر معًا : التحليل ، التواصل ، الرموز ، والاستراتيجيات . كان يعمل على خلق تماسك بين جميع هذه العناصر ، يجعل من الثورة مشروعًا واحداً ، متكاملا ، مترابطًا .

زياد (بتفكير استراتيجي) : "لن أدع شيئًا يتفكك . سأربط كل فكرة ، كل خطوة ، كل رمز معًا . سأجعل من هذه الثورة مشروعًا متكاملا ، يتحرك ككيان واحد ، لا يمكن إيقافه" .

ومع نمو الحركة ، كانت رسائل زياد تأخذ طابعًا أكثر شاعرية ، أكثر عمقًا . كان يتحدث إلى الناس بلغة تحمل في طياتها جمالا وفنًا ، لغة تجعلهم يشعرون بأنهم جزء من شيء أكبر . كانت خطاباته وأفكاره تلامس القلوب ، تخترق العقول ، وتبث فيها شعوراً بالانتماء والشجاعة .

زياد (بصوت عميق وهو يكتب إحدى خطاباته) : "هذه الكلمات ليست مجرد حروف . إنها نغمات الثورة ، سيمفونية الحرية . سأجعلهم يشعرون بأنهم جزء من هذه الملحمة ، سأجعلهم يؤمنون بأنهم الأبطال الحقيقيون" .

وفي خضم كل هذا الزخم ، بدأ زياد يتساءل عن المستقبل ، عن التأثيرات الطويلة الأمد لهذه الثورة . كيف سيؤثر نجاحها على الأجيال القادمة؟ ما هو الشكل الذي سيتخذه العالم بعد تحقيق أهدافها؟ بدأ يفكر في رؤية بعيدة المدى ، في بناء عالم جديد ، عالم تحكمه قيم جديدة تتجاوز حدود الزمان والمكان .

زياد (بصوت هادئ وهو يتأمل المستقبل) : "هذه الثورة ليست مجرد حدث لحظي . إنها بداية لعصر جديد ، عالم سيولد من رحم هذه الفكرة . سأجعل من الذكاء الصناعي أداة لبناء مستقبل أفضل ، حيث يكون الناس أحراراً بالفعل ، حيث تكون العدالة هي القانون" .

لم تكن الرحلة سهلة ، بل كانت مليئة بلحظات من التوتر والانفراج . في كل خطوة ، كان زياد يواجه تحديات غير متوقعة ، لحظات شعر فيها بأن كل شيء قد ينهار . لكنه كان دائمًا يجد طريقة للانفراج ، لحل المشكلات ، للتغلب على العقبات . كانت هذه اللحظات تعزز من تصميمه ، وتجعله أكثر قوة .

زياد (بصوت عال وهو يتغلب على إحدى التحديات) : "لن أستسلم . كل عقبة هي درس ، كل مشكلة هي فُرصة للنمو . سأستمر ، وسأجعل من هذه الثورة حقيقة ، مهما كانت التحديات" .

وفي أثناء تنفيذ خطته، كان زياد يدرك أهمية التفاصيل التقنية. لم يكن يستخدم الذكاء الصناعي بشكل عام، بل كان يستغل كل خوارزمية وكل أداة بشكل دقيق. كان يعرف كيفية توظيف كل تقنية لتحقيق أقصى تأثير، كان يدرس كل خيار، يحلل كل حركة، ليضمن نجاح كل خطوة.

زياد (وهو يعمل على برمجة خوارزمية جديدة): "كل تفاصيل مهمة، كل جزء من هذه الخطة يجب أن يكون مدروسًا. سأستخدم التكنولوجيا بذكاء، سأحول كل معلومة إلى سلاح، كل فكرة إلى أداة للحرية".

ومع مرور الوقت، كانت الثورة تنضج. كانت الأفكار تنتشر، وكانت الجماهير تستجيب. كان زياد يرى كيف تتحقق رؤيته، كيف تتحول من حلم إلى واقع. لم يعد الأمر مجرد فكرة أو مخطط، بل أصبح حقيقة، ثورة حقيقية ولدت من قلب الذكاء الصناعي، وقادها عقل مستنير.

زياد (بابتسامة رضا وهو يرى نجاح خطته): "لقد بدأت الرحلة، ولن يعود شيء كما كان. الذكاء الصناعي كان سلاحي، ولكنه الآن أصبح سلاح الجميع. هذه هي البداية فقط، وما سيأتي سيكون أكبر وأعظم".

بهذه الخطوات المدروسة، كان زياد يرى ثورته تنمو وتزدهر. لم يعد الأمر يتعلق به وحده، بل أصبح حركة جماهيرية، قوة ذكية تقودها العقول وتجسدها التكنولوجيا. كانت هذه الثورة هي البداية فقط، وكانت السماء هي الحد لما يمكن أن تحققه.

القسم الرابع

الفصل الأول: "يوم التعبئة: الاستراتيجية العظمى لبناء الوحدة الوطنية"

كان زياد يجلس في غرفة مكتبه التي أضاءتها أشعة الشمس المائلة في سماء بغداد. كانت الأوراق متراصة على مكتبه بعناية، تمثل كل واحدة منها جزءاً من الخطة الكبرى. كان يعرف أن الطريق إلى إسقاط الخضراء لن يكون سهلاً، وأن التسرع قد يكلف الثورة كل شيء. لم يكن الهدف هو إسقاط الخضراء بسرعة، بل كان يسعى إلى بناء استراتيجية تجمع تحت رايتها كل مكونات الشعب العراقي، في تحرك شامل، ذكي ومدروس، يمهد الطريق نحو النصر الحاسم.

زياد (مخاطبًا نفسه بنبرة عميقة): "هذه ليست مجرد خطة، إنها مسار نحو التحرير. كل خطوة، كل كلمة، كل حركة يجب أن تكون محسوبة بدقة. اليوم لن نسقط الخضراء، ولكننا سنثبت أننا هنا، أننا متحدون، وأننا قوة لا يمكن تجاهلها".

كان زياد يشعر بثقل المسؤولية على كاهله، يعرف أن هذه الثورة تمثل لحظة فاصلة في تاريخ العراق. بين الحين والآخر كان يتوقف ليتأمل في عمق التحديات التي يواجهها، ويتساءل في داخله عن مدى جاهزية الشعب لتحمل هذا العبء الكبير. في لحظات التأمل، كان زياد يتذكر التضحيات التي قدمها للوصول إلى هذه اللحظة، وكيف تخلى عن راحته الشخصية ليكون صوتًا للمظلومين والمهمشين.

زياد (بحديث داخلي يعبر عن عمق التحدي): "هل نحن مستعدون حقًا؟ هل سيتحمل الناس الضغط؟ كل خطوة نقوم بها الآن يمكن أن تحدد مصير الأمة. ولكنني أعلم في أعماقي أن الشعب قد وصل إلى نقطة اللاعودة. لقد حان الوقت لنثبت لأنفسنا وللعالم أننا نستحق مستقبلا أفضل".

لم يكن الطريق أمام زياد مفروشًا بالورود. في اللحظات الأخيرة، تلقى معلومات تفيد بأن النظام بدأ يشتبه في تحركات مشبوهة في بعض المناطق. كان هذا التطور غير المتوقع يشكل تهديداً للخطة بأكملها. حاول النظام استخدام بعض العملاء المزدوجين لاختراق صفوف الثوار ونقل المعلومات إلى السلطة.

زياد (بتوتر وهو يتلقى التقارير): "لقد بدأت العقبات تظهر. النظام ليس غافلاً، بل يراقب كل تحركاتنا. ولكننا لن ندعهم يحبطوننا. يجب أن نتحرك بسرعة، ونعدل خطتنا بما يتناسب مع هذا التهديد الجديد".

كان زياد يدرك أن نجاح الثورة يعتمد بشكل كبير على وحدة الصف بين مكونات الشعب المختلفة. في اجتماعاته مع قادة المكونات الكردية والسنية والعربية والأقليات، ظهرت بعض التوترات. كان هناك تردد من بعض القادة، وخشية من أن تعود الصراعات القديمة إلى السطح.

زياد (متحدثًا بنبرة مطمئنة ومقنعة): "أعلم أن التاريخ لم يكن عادلاً، وأن هناك جروحًا لم تلتئم بعد. لكن هذه اللحظة هي فرصتنا لتجاوز الماضي وبناء مستقبل جديد. إذا بقينا متفرقين، سنكون ضعفاء أمام النظام. الوحدة هي قوتنا الوحيدة".

كانت المنطقة الخضراء في بغداد هي القلب المحصن للنظام، وتحيط بها نقاط استراتيجية تشكل المفاتيح الأساسية للتحكم بالمدينة. زياد قسم هذه النقاط إلى قطاعات، ودرس كل منها بعناية فائقة. كان يعرف أن السيطرة على هذه النقاط هي الخطوة الأولى نحو النجاح، فبدأ بتوزيع المهام على المجموعات المختلفة، محدداً أدوارها بوضوح.

- جسر الجمهورية: زياد كان يدرك أن جسر الجمهورية يمثل الشريان الذي يربط وسط بغداد بالخضراء. السيطرة على هذا الجسر تعني قطع الإمدادات ومنع وصول التعزيزات إلى قلب المنطقة. لذلك، كلف أبناء الفرات الأوسط بالسيطرة عليه، نظراً لمعرفتهم الدقيقة بالمنطقة.
- منطقة الكرادة: هذه المنطقة الحيوية، التي تكتظ بالسكان وتقع بالقرب من الخضراء، كانت هدفًا مهمًا. السيطرة على الكرادة تعني تأمين قاعدة شعبية كبيرة ودعم لوجستي قريب. كلف زياد أبناء بغداد بالتحرك نحوها، مستغلا معرفتهم التفصيلية بكل زقاق وشارع فيها.
- طريق مطار بغداد الدولي: هذا الطريق يمثل شريانًا حيويًا للمدينة، وأي محاولة لإغلاقه قد تمنع القوات الخارجية من التدخل. أوكل زياد مهمة السيطرة على هذا الطريق لأبناء البصرة الفيحاء، مستعينًا بشجاعتهم وعزيمتهم الصلبة.
- حي الحارثية: الحارثية، التي تجاور الخضراء من الشمال، كانت نقطة انطلاق مثالية نحو اقتحام المنطقة. كلف زياد أبناء الموصل بهذه المهمة، معتمداً على روحهم القتالية وحنكتهم العسكرية التي اكتسبوها خلال السنوات الصعبة.

زياد (وهو يشير إلى الخريطة): "كل قطاع يمثل نقطة ضعف للنظام. إذا سيطرنا على هذه النقاط، سيكون الطريق إلى الخضراء مفتوحًا. لن ندع لهم مجالا للتنفس، سنتحرك كالسيل الجارف، لا يوقفه شيء".

بدأ زياد بتوزيع الأدوار بين مختلف المكونات، مراعياً القدرات والمميزات الخاصة لكل منها. كان يعلم أن التنسيق الكامل بين هذه المكونات هو المفتاح لتحقيق النصر. قام بتوزيع المهام بشكل دقيق، بحيث تتحرك جميع المجموعات في وقت واحد، مما يجعل من المستحيل على القوات الأمنية التركيز على جبهة واحدة.

زياد (موجهًا أوامره عبر شبكة الاتصال): "كل مجموعة تعرف دورها جيداً. لا مجال للخطأ. سنتحرك في وقت واحد، وبسرعة فائقة. يجب أن نكون كالشبكة التي تطوق النظام من جميع الجهات، ولا تترك له منفذًا للهروب".

زياد كان يعلم أن نجاح الثورة يعتمد أيضًا على القادة المحليين الذين يعرفون الأرض والناس. لذلك، منحهم أدواراً رئيسية في تنفيذ الخطة. كان هناك قادة من البصرة، الموصل، والفرات الأوسط، كل منهم يتمتع بتأثير كبير في منطقته، وكل منهم كان مكلفًا بمهمة حاسمة.

- القائد البصري: كان قائد المجموعة في البصرة شخصية محبوبة ومؤثرة في الجنوب. كان يعرف تفاصيل الطرق والتضاريس التي تؤدي إلى بغداد. في اجتماع سري، عرض عليه زياد خطة السيطرة على طريق المطار، مبينًا له أهمية هذا الطريق في منع التدخلات الخارجية.

القائد البصري (بلهجة واثقة): "طريق المطار سيكون تحت سيطرتنا. لن ندع أحداً يمر عبره، سنغلقه بإحكام ونمنع أي تعزيزات من الوصول إلى الخضراء".

- قائد الموصل: قائد الموصل كان يمتلك خبرة عسكرية كبيرة، اكتسبها خلال المعارك التي خاضتها مدينته ضد الإرهاب. كلفه زياد بمهمة السيطرة على حي الحارثية، نظراً لقربه من الخضراء.

قائد الموصل (بصوت حازم): "لن ندع أي جندي يعترض طريقنا. الحارثية ستكون تحت سيطرتنا قبل شروق الشمس، وسنكون مستعدين للتحرك نحو الخضراء".

- قائد الفرات الأوسط: كان قائد الفرات الأوسط يعرف تضاريس منطقة جسر الجمهورية بشكل دقيق. كلفه زياد بمهمة تأمين الجسر، مما يضمن قطع الإمدادات عن الخضراء.

قائد الفرات الأوسط (بثقة): "سيكون الجسر في أيدينا، وسنمنع أي محاولة للعبور. سنغلق الطريق أمام النظام، ونحكم الحصار عليه".

الفصل الثاني "التعبئة الجماهيرية: التحفيز والاستعداد"

كان زياد يدرك أن التحضير النفسي للجماهير لا يقل أهمية عن التحضير الميداني. لذلك، أطلق حملة إعلامية مكثفة، استخدم فيها الذكاء الصناعي لتحليل مشاعر الناس وتصميم رسائل مخصصة لكل فئة. كانت الحملة تهدف إلى تحفيز الجميع على المشاركة في يوم التعبئة، وجعلهم يشعرون بأنهم جزء من شيء أكبر من حياتهم اليومية.

- رسائل إلى الشباب: كانت رسائل زياد إلى الشباب تحمل طابعًا تحفيزيًا قويًا، يركز على دورهم كمحرك رئيسي للتغيير. "أنتم المستقبل، أنتم القوة التي ستبني عراقًا جديداً. تحركوا الآن لتثبتوا للعالم أنكم قادة هذه الأمة".
- رسائل إلى الأمهات: رسائل تحث الأمهات على دعم أبنائهن وتشجيعهن على المشاركة في الثورة. "هذه الثورة هي من أجل مستقبل أبنائكم، من أجل حياة كريمة لهم. كونوا قوة دعم لهم، ادعموهم ليعيدوا بناء وطن يستحقونه".
- رسائل إلى العمال: كانت رسائل زياد إلى العمال تركز على معاناتهم اليومية وكيف أن الثورة ستعيد لهم كرامتهم. "لقد عانيتم بما فيه الكفاية، لقد حان الوقت لتأخذوا حقوقكم. الثورة هي فرصتكم لبناء عراق يحترم عملكم ويقدر تعبكم".

زياد (بابتسامة رضا وهو يشاهد تفاعل الجماهير): "هذه ليست مجرد رسائل، إنها دعوة للحرية. هذه الحملة ستشعل قلوب الناس، وتجعلهم يدركون أن هذا هو وقتهم للتحرك".

كان زياد يعرف جيداً أن الوضع السياسي والاجتماعي في العراق قد وصل إلى نقطة الغليان. بعد سنوات من الفساد والمحسوبية والتفرقة الطائفية، كان الناس يشعرون بالاختناق. كانت هذه اللحظة هي ذروة الإحباط الجماهيري، حيث أدرك الجميع أن النظام لم يعد قادراً على تقديم أي شيء سوى المزيد من الظلم.

زياد (بتأمل وهو ينظر إلى خريطة العراق): "لقد أهلك النظام هذا الشعب، استنزف موارده، وحطم آماله. ولكن هذا الوضع لن يستمر. الشعب قد وصل إلى نقطة اللاعودة، هذه اللحظة هي فرصتنا لتغيير المعادلة".

استذكر زياد في لحظات تفكير عميق بعض اللحظات التاريخية التي قادت إلى هذه الثورة. تذكر الحروب والصراعات التي دمرت البلاد، وكيف أن كل محاولة للإصلاح كانت تجهضها

القوى الفاسدة. كان يعرف أن هذه الثورة ليست مجرد ردة فعل لحظية، بل هي نتيجة لعقود من القهر والتهميش.

زياد (متحدثًا لنفسه وهو يسترجع الماضي): "لقد كان هذا الشعب دائمًا ضحية لمؤامرات لا نهاية لها. ولكن الآن، لدينا الفرصة لنضع حدًا لهذه الدوامة. الثورة هي أملنا الأخير، وهي نتيجة طبيعية لكل ما مررنا به".

في لحظات من السرد الداخلي، كان زياد يعبر عن رؤيته الفلسفية للثورة. كان يرى في الثورة نوعًا من التصحيح الطبيعي لدورة الحياة، حيث تعيد الشعوب تصحيح مسارها بعد فترة من الظلم والاستبداد. كانت هذه التأملات تعبر عن عمق فهمه لدور الثورة في التاريخ.

زياد (بفكر عميق): "الثورة ليست مجرد حركة سياسية، إنها جزء من دورة طبيعية. عندما يصل الظلم إلى ذروته، يصبح من الطبيعي أن ينتفض الناس، أن يطالبوا بحقوقهم. الثورة هي تعبير عن إرادة الحياة، عن رغبة الإنسان في العيش بحرية وكرامة".

في يوم التعبئة، كانت الرموز تلعب دوراً محوريًا في تعزيز الوحدة بين صفوف الثوار. حمل الأطفال رايات بألوان العراق، وكانت تتناثر في السماء فوق رؤوس الناس. كانت هناك رموز دينية تظهر في اللحظات الحرجة، مثل الأذان الذي كان يصدح من المساجد قبل التحرك، أو الصلوات التي كانت تقام في الميادين العامة.

زياد (وهو ينظر إلى السماء): "هذه الرموز ليست مجرد شعارات، إنها تعبير عن هويتنا، عن وحدتنا. في هذه اللحظات، نحن لا نتحدث فقط، بل نعيش الثورة بكل معانيها".

مع اقتراب ساعة الصفر، كانت الأجواء في بغداد مشحونة. كانت هناك رائحة البخور التي تملأ الهواء، مختلطة برائحة التراب الذي كان يعلو في الأفق نتيجة لتحركات المجموعات. كانت أصوات الطبول الشعبية تتردد في أنحاء البصرة، بينما كانت التكبيرات تتردد من مآذن الموصل. كانت الأجواء تحمل في طياتها شعوراً بالرهبة والتوقع.

زياد (وهو يشعر بالنسيم البارد على وجهه): "هذه اللحظة تشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة. كل شيء يبدو هادئًا، ولكنني أعلم أن هناك بركانًا ينتظر الانفجار".

في شوارع بغداد، كان الناس يراقبون التحركات بعناية. كانوا يعرفون أن شيئًا كبيراً على وشك الحدوث. كان هناك من يغلقون محلاتهم بسرعة، بينما كان آخرون يتجمعون في

الأزقة يتحدثون بصوت منخفض. في الكرادة، كانت الجموع تتحرك بهدوء نحو النقاط المحددة، يتجنبون لفت الانتباه، بينما كانت العيون تراقب بحذر.

زياد (وهو يتابع الموقف من شاشات المراقبة): "الشعب مستعد، الجميع يشعر أن هذه اللحظة هي لحظتهم. التحرك بدأ، ولا يمكن التراجع الآن".

مع اقتراب اللحظة الحاسمة، كان التوتر في أوجه. فجأة، حدث ما لم يكن في الحسبان. انقطعت الاتصالات مع إحدى المجموعات المكلفة بالسيطرة على جسر الجمهورية. لم يكن زياد يعرف ما إذا كانت هذه المجموعة قد تعرضت لهجوم أو أنها تخلت عن موقعها. كان هذا التحدي الجديد يتطلب قراراً سريعًا.

زياد (بصوت متوتر وهو يتحدث إلى قادته): "يجب أن نتحرك بسرعة. لا يمكن أن ندع هذه العقبة توقفنا. أرسلوا تعزيزات إلى الجسر، وتأكدوا من استعادة الاتصال. لا مجال للفشل الآن".

ومع مرور اللحظات، استعاد زياد الاتصال بالمجموعة، لكن التوتر لم يخف. كان يعلم أن الطريق أمامهم لا يزال طويلاً، وأن إسقاط الخضراء لن يكون نهاية المطاف. في داخله، كان يتساءل عما إذا كانت الثورة ستنجح حقًا في تحقيق التغيير، أم أنها مجرد بداية لطريق طويل من النضال.

زياد (بفكر مشغول وهو ينظر إلى الأفق): "لقد بدأنا الطريق، ولكن هل سيكون هذا الطريق نهايته سعيدة؟ لا أعرف ما يخبئه لنا المستقبل، ولكنني أعلم أننا لا يمكن أن نتراجع الآن. علينا أن نستمر، علينا أن نثبت للعالم أن هذه الثورة ليست مجرد حلم"...

خلال التنفيذ، كان زياد يراقب الوضع من مركز القيادة. كانت الخريطة الرقمية تعرض تحركات كل مجموعة، وكان يستخدم الذكاء الصناعي لتحليل الوضع بشكل مستمر وتوجيه التعليمات بناءً على البيانات اللحظية. كانت هناك اتصالات مشفرة بين القادة، تضمن أن كل خطوة يتم تنفيذها بدقة.

زياد (وهو يتابع شاشات المراقبة): "كل شيء يسير كما هو مخطط له. استخدام التكنولوجيا كان مفتاح نجاحنا حتى الآن. يجب أن نستمر في التحليل السريع واتخاذ القرارات الصحيحة".

كان الشعب يتلقى إشارات للتحرك عبر وسائل التواصل الاجتماعي. كانت هناك رموز محددة تشير إلى ساعة الصفر، وتوجيهات حول كيفية التحرك والوصول إلى النقاط المحددة. كانت هذه الوسائل جزءاً من الاستراتيجية الشاملة لإرباك النظام، حيث لم يكن بمقدورهم تتبع كل التحركات.

زياد (بصوت مليء بالثقة): "هذه اللحظة هي نتيجة لشهور من التخطيط. الآن، الشعب هو الذي يقود الثورة. لن يستطيع النظام مواكبة هذا الزخم، ولن يعرف كيف يرد على هذا التحرك الجماعي".

مع انتهاء يوم التعبئة، لم يكن الهدف هو اقتحام الخضراء، بل كان تحضير الأرضية وإظهار القوة الحقيقية للشعب العراقي. كانت هذه مجرد خطوة أولى في مسار طويل نحو إسقاط النظام. ولكن في تلك اللحظات، أدرك زياد أن الوحدة التي تحققت بين مكونات الشعب هي بحد ذاتها نصر كبير.

زياد (متحدثًا إلى نفسه وهو ينظر إلى الأفق): "لقد حققنا أكثر مما كنت أتوقع. الشعب متحد، النظام مرعوب. اليوم لم نسقط الخضراء، ولكننا أثبتنا أننا قادرون على ذلك. سنعود مرة أخرى، وهذه المرة سنكون أقوى وأكثر استعداداً".

بهذه الكلمات، ختم زياد يوم التعبئة. كانت هذه مجرد بداية لطريق طويل، مليء بالتحديات والآمال. لكن زياد كان يعرف أن الشعب قد بدأ رحلته نحو الحرية، وأنهم لن يتراجعوا حتى يحققوا أهدافهم..

الفصل الثالث: "بداية المسيرة نحو المنطقة الخضراء"

في صباح اليوم التالي ليوم التعبئة، كان زياد يجلس في غرفة المراقبة، يتابع الشاشات المتعددة التي تعرض تحركات الحشود المتجهة نحو المنطقة الخضراء. كان الجو مشحونًا بالتوتر والقلق، وكان زياد يعلم أن هذا اليوم سيحمل في طياته أحد أهم القرارات التي سيتخذها في حياته. فاليوم لم يكن فقط بداية الزحف، بل كان أيضًا بداية المواجهة الحاسمة.

زياد (متحدثًا لنفسه بنبرة عميقة): "اليوم سنبدأ التحرك. لا مجال للتراجع. كل نقطة تحرك محسوبة، وكل خطوة مدروسة. نحن نعلم أن الطريق ليس سهلاً، ولكننا مستعدون لكل الاحتمالات".

تجمع الناس من كل صوب في منطقة جسر الجمهورية، قلب بغداد النابض، حيث كان المتظاهرون يرفعون راياتهم وأعلامهم، يتقدمون بشجاعة نحو الجسر الذي يمثل الممر الوحيد إلى المنطقة الخضراء. كانت قوات مكافحة الشغب تتمركز على الجسر، مستعدة للتصدي لكل من يقترب. وكان زياد يراقب الوضع عن كثب من مركز القيادة.

بدأت الحشود بالتقدم نحو الجسر، وكان التوتر يتصاعد مع كل خطوة. فجأة، ظهرت قوات مجهولة الهوية، مدججة بالسلاح، تتحرك بتكتيكات عسكرية احترافية. بدت هذه القوات وكأنها تتبع لبعض الفصائل المسلحة التابعة للحشد الشعبي، مما أضاف المزيد من الغموض والخطر إلى الموقف.

زياد (بتوتر وهو يتابع الوضع): "هناك شيء غير طبيعي. هؤلاء ليسوا فقط قوات حكومية، هناك جهات أخرى تتحرك في الخفاء. علينا أن نكون حذرين، ولكن يجب ألا نتراجع".

بدأت المواجهات بين المتظاهرين وقوات مكافحة الشغب، حيث استخدمت الأخيرة الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي لتفريق الحشود. لكن المتظاهرين لم يتراجعوا. كانت الاشتباكات عنيفة، واستخدم المتظاهرون كل ما بحوزتهم من أدوات للدفاع عن أنفسهم. في هذه اللحظة، بدا أن الأمور قد تخرج عن السيطرة.

في منطقة الكرادة، كانت الأمور تسير بشكل مختلف. هنا، كان المتظاهرون يتحركون بحذر، محاولين تجنب أي مواجهات مباشرة. كانت قوات الأمن تراقب بحذر، لكن التوتر كان واضحًا. في هذه الأثناء، ظهرت طائرات الدرون الأمريكية تحلق فوق المنطقة، تراقب الوضع بعناية.

زياد (مخاطبًا قادته في الكرادة) : "ابقوا هادئين . لا تثيروا الفوضى هنا . يجب أن نحافظ على التحرك المنظم ، الطائرات تحلق ولكنها لن تتدخل إذا لم نعطهم ذريعة" .

التحليق المستمر للطائرات زاد من توتر المتظاهرين . كانت السفارات الأجنبية في حالة استنفار قصوى ، وكان الجميع يترقب ما سيحدث . لكن بفضل التوجيهات الحكيمة من قادة الميدان ، تمكن المتظاهرون من الحفاظ على الهدوء والاستمرار في التقدم نحو الخضراء .

على طريق مطار بغداد ، كانت الأجواء مشحونة بشكل خاص . هذا الطريق يمثل أهمية استراتيجية كبيرة ، حيث يمكن استخدامه لاستدعاء التعزيزات أو إجلاء الشخصيات المهمة . لذلك ، تمركزت وحدات من الحشد الشعبي على طول الطريق ، مستعدة لمواجهة أي محاولة للتقدم .

وفي نفس الوقت ، كان هناك تنسيق واضح بين الولايات المتحدة وإيران لاحتواء الحشود . بدا أن هناك توافقًا دوليًا على منع المتظاهرين من الوصول إلى الخضراء بأي ثمن .

زياد (مخاطبًا قادة مجموعات البصرة عبر الاتصال) : "كونوا على حذر ، هذا الطريق سيكون مفتاح النجاح أو الفشل . لا تستفزوا القوات ، ولكن لا تتراجعوا . نحن هنا لنظهر أننا قوة لا يستهان بها" .

مع استمرار التقدم ، بدأت الطائرات الدرون تحلق على ارتفاع منخفض ، مما زاد من الضغط النفسي على المتظاهرين . لكن الجماهير لم تتراجع ، وواصلت التقدم نحو المواقع التي تتمركز فيها القوات المسلحة ، مستعدة لمواجهة أي تهديد .

في حي الحارثية ، حيث تقترب الحشود من المنطقة الخضراء ، كانت الأمور تسير نحو تصعيد خطير . المنطقة محاصرة من قبل القوات الأمنية والمليشيات المسلحة ، والمراقبة مشددة . بدا أن كل شارع وزقاق في الحي كان تحت المراقبة ، وكل حركة تثير الشكوك .

عندما اقترب المتظاهرون من الحواجز الأمنية ، ظهرت فجأة قوات مجهولة الهوية ، مدججة بالسلاح . هذه القوات ، التي كانت تتحرك بتكتيكات احترافية ، لم تظهر أي نية للتفاوض . كان واضحًا أنها موجودة لإجهاض أي محاولة للوصول إلى الخضراء .

زياد (بقلق وهو يتابع تحركات القوات) : "هذه ليست قوات حكومية فقط ، هناك شيء أكبر يحدث هنا . يجب أن نكون مستعدين لكل الاحتمالات" .

بدأت القوات المجهولة بإطلاق النار في الهواء لترهيب المتظاهرين، لكن الحشود لم تتراجع. بدأ الاشتباك المباشر بين الطرفين، وسقطت الإصابات. كانت المواجهة عنيفة، وبدأ الوضع يخرج عن السيطرة بسرعة.

مع تقدم التحركات من جميع المداخل المؤدية إلى الخضراء، كانت الطائرات الدرون الأمريكية تحلق بشكل مستمر فوق بغداد. هذا التحليق كان إشارة واضحة على وجود توافق دولي على احتواء الوضع. السفارات الأجنبية كانت في حالة تأهب قصوى، وكان هناك تواصل مستمر بين الولايات المتحدة وإيران للسيطرة على الحشود ومنعها من الوصول إلى الخضراء.

زياد (بتوتر وهو يتابع التحركات الدولية): "هناك قوى أكبر منا تتحرك الآن. الأمريكيون والإيرانيون يريدون احتواء الثورة قبل أن تصل إلى الخضراء. علينا أن نتحرك بحذر، ولكننا لن نتراجع".

في ظل تزايد التوترات على جميع الجبهات، بدأ زياد يعيد تقييم الوضع. كانت المواجهات تأخذ طابعًا عنيفًا في بعض المناطق، بينما كان التوتر يزداد في مناطق أخرى دون مواجهة مباشرة. كان عليه أن يقرر ما إذا كان سيستمر في الدفع نحو الخضراء أو ينسحب بشكل تكتيكي لإعادة التقييم..

زياد (بصوت مليء بالتحدي والحكمة): "القرار ليس سهلاً، ولكن علينا أن نكون أذكياء. هذه ليست نهاية الثورة، ولكنها خطوة نحو الهدف. يجب أن نحافظ على حياة الناس ونستمر في الضغط بطريقة تجعلنا أقوى في الجولة القادمة.

مع ازدياد حدة الاشتباكات وتدخل القوات المجهولة، قرر زياد أن يأمر بالانسحاب التكتيكي. كانت هذه الاستراحة ضرورية لتجنب المزيد من الخسائر ولإعادة ترتيب الصفوف. كانت الجماهير تتراجع بشكل منظم، لكن الروح الثورية لم تنكسر. على العكس، شعر الناس بأنهم أقوى وأكثر استعداداً للمرحلة التالية.

زياد (متحدثًا إلى قادته بعد الانسحاب): "هذه استراحة مؤقتة فقط. الليل قادم، ومعه ستبدأ المرحلة الثانية. لن نسمح لهم بإجهاض حلمنا. سنعود، وسنكون أكثر استعداداً لمواجهة كل ما سيأتي".

مع حلول الليل، بدأ زياد في إعادة تنشيط الخطة. كانت هذه اللحظة التي انتظرها الجميع، اللحظة التي ستتحقق فيها نبوءة الثورة. كان يعرف أن الظلام سيعطيهم ميزة تكتيكية، وأن الوقت قد حان لاستئناف المسيرة نحو الخضراء.

زياد (مخاطبًا قادته بحزم): "الليل لنا، سنستخدمه لصالحنا. الآن هو الوقت للتحرك. سنضربهم في قلبهم، وسنجعل من هذه الليلة ليلة سقوط الخضراء".

بدأت الحشود تتحرك من جديد، مستفيدة من الظلام ومن الاستراحة التي أعطتهم وقتًا للتفكير وإعادة التقييم. كل مجموعة كانت تعرف دورها، وكل قائد كان يعرف المهمة الموكلة إليه. كان الجميع يدركون أن هذه هي اللحظة الحاسمة.

من جميع المداخل، بدأت الحشود بالتحرك نحو الخضراء. في جسر الجمهورية، كانت المواجهة الأكثر حدة، حيث اشتبكت الحشود مع القوات الأمنية والمليشيات. كان الليل يعطي المتظاهرين غطاءً، لكن القوات الحكومية كانت تستخدم كل وسائلها لصدهم.

في الكرادة، كانت الأمور تتحرك بسرعة أكبر. الطائرات الدرون كانت تحلق، لكن الحشود كانت تتحرك بحذر وفعالية، متجنبة الاشتباكات المباشرة. كانت هذه المنطقة قد أصبحت نقطة انطلاق رئيسية نحو الخضراء.

طريق المطار كان مسرحًا لمواجهات عنيفة بين المتظاهرين والقوات المسلحة. كان النظام قد دفع بكل قواته للحفاظ على هذا الطريق، لكن المتظاهرين كانوا مصممين على السيطرة عليه.

في حي الحارثية، حيث كانت القوات المجهولة تنتظر، كانت المواجهات تتصاعد. لكن هذه المرة، كانت الحشود أكثر استعداداً. بدأوا بالاشتباك مع هذه القوات بشجاعة، مستفيدين من الظلام لتقليص الفجوة في القوة..

الفصل الرابع : "سقوط الدم : المواجهات الدامية على أبواب الخضراء"

في تلك الليلة المظلمة، كانت بغداد تغلي تحت غطاء من الدخان، وأصوات التحركات العسكرية تتردد في أرجاء المدينة كهمسات الموت التي تقترب. كان زياد يقف في مقر قيادته المؤقت، يراقب الشاشات التي تعرض له مشاهد حية للمواجهات. كل شاشة تعكس زاوية من زوايا الثورة، كأنها نوافذ تطل على معركة مصير لا رجعة فيه.

زياد (بصوت متوتر ومليء بالعزم): "الليلة، إما أن نكسر قيود الخضراء، أو أن تسقط آخر أحلامنا في ظلامها. لا تراجع الآن، فهذه اللحظة قد لا تتكرر".

على جسر الجمهورية، كانت المواجهة الأولى تعيد تعريف معنى الشجاعة. الحشود التي اقتربت بخطى ثابتة لم تكن تحمل سوى الأمل، ولكنها وجدت نفسها في مواجهة قوة أمنية مدججة بالسلاح. كان الجسر يمثل شريان الحياة إلى قلب الخضراء، ووقف المتظاهرون أمامه كأنهم أمواج عاتية تتلاطم بصخور صلبة.

عندما انفجرت القنابل الصوتية، كان الصوت أشبه برعد يشق السماء. تلا ذلك وابل من الغاز المسيل للدموع، الذي انتشر في الهواء كغيمة سوداء تخنق الأنفاس. لكن الحشود لم تتراجع؛ كانوا كمن يواجه العاصفة بلا خوف، وكل خطوة إلى الأمام كانت تدفعهم نحو الموت أو الحرية.

كان الرصاص المطاطي ينطلق من بنادق القوات الأمنية، مخترقًا صفوف المتظاهرين. البعض سقط على الأرض، لكن الآخرين تقدموا، يحملون أجساد رفاقهم الجرحى كرموز للثبات. كل رصاصة كانت تطلق صرخة من الألم، لكنها أيضًا كانت تحفز العزيمة في قلوب الباقين.

زياد (مخاطبًا قادته عبر الاتصالات المشفرة): "الجسر هو رمز عبورنا إلى المستقبل. لا تتركوا القمع يهزمنا، تقدموا بكل ما أوتيتم من قوة وعزيمة".

في شوارع الكرادة، كانت المواجهات أكثر شراسة وتعقيداً. القوات المجهولة التي ظهرت في الظلام كانت تحاول إغلاق الطرق أمام المتظاهرين، لكنهم كانوا يصرون على التقدم، وكأنهم يسيرون نحو مصير لا رجعة فيه. الأزقة المظلمة في الكرادة تحولت إلى ساحة معركة، حيث كانت أصوات الطلقات النارية تتردد كطبول حرب لا تنتهي.

كان الدخان يغطي السماء، وكانت الرؤية تزداد صعوبة مع كل دقيقة تمر. بين الأنقاض، كان المتظاهرون يتقدمون، مدفوعين بالأمل وبغضب مكتوم. كانت جثث الرفاق تسقط حولهم، والدموع تختلط بالدماء، لكن العزيمة لم تهتز.

في لحظة مؤثرة، كانت هناك امرأة تحمل طفلها بين ذراعيها، تحاول التقدم بين الحشود المشتعلة. كانت عيناها مليئتين بالدموع، لكنها لم تتراجع. رأى المتظاهرون في عينيها رمزًا لكل ما يقاتلون من أجله، وكأنها تجسد الوطن نفسه، مجروحًا لكنه لا يستسلم.

إحدى المتظاهرات (بصوت مليء بالعزم): "لن نتراجع! هذه الدماء هي ثمن حريتنا، ولن نتركهم يهدرونها".

على طريق مطار بغداد، كانت المواجهات تأخذ شكلا أكثر تنظيمًا ودموية. القوات المسلحة المدججة بالسلاح كانت تنتظر المتظاهرين هناك، وحواجزهم كانت ترتفع كجدران من الحديد والنار. ومع أول محاولة للتقدم، انفجرت نيران الرشاشات الثقيلة، مخترقة الليل وصمت الحشود التي كانت تتقدم بعزيمة لا تنكسر.

كان الرصاص ينطلق مثل وابل من سهام الموت، يتساقط على المتظاهرين بلا رحمة. لكنهم لم يتراجعوا. كانت قلوبهم ممتلئة بالشجاعة التي تدفعهم لمواجهة هذه القوة الغاشمة. كانوا يعرفون أن هذا الطريق قد يكون طريق اللاعودة، لكنه أيضًا كان طريقهم إلى الحرية.

زياد (مخاطبًا قادته عبر الاتصالات المشفرة): "لا تتراجعوا. هذا هو اختبارنا الحقيقي. إذا نجحنا هنا، فإننا سنقترب من الخضراء أكثر من أي وقت مضى. علينا أن نثبت أننا لا نخاف من الرصاص ولا من الحديد".

في حي الحارثية، كانت المعركة الأعنف والأكثر دموية. القوات المجهولة، التي يُعتقد أنها تابعة لبعض المليشيات المسلحة المدعومة من الخارج، كانت تقاتل بشراسة لا مثيل لها. كل زاوية في الحي كانت تتحول إلى ساحة اشتباك، حيث كان القتال يدور وجهًا لوجه، في معركة تبدو كأنها معركة حياة أو موت.

المدافع الثقيلة كانت تطلق قذائفها، والرصاص كان يخترق الأجساد بلا هوادة. كان المشهد مرعبًا: المباني المهدمة، السيارات المحترقة، الدخان الذي يخنق الأنفاس، والدماء التي كانت تلطخ كل شيء. لكن رغم كل هذا، لم يكن المتظاهرون يتراجعون. كانوا يقاتلون وكأنهم يعرفون أن هذه الليلة هي كل ما تبقى لهم.

أحد القادة المحليين (بصوت مفعم بالتحدي): "هذه أرضنا، وهؤلاء هم شعبنا. لن ندعهم يأخذونها منا دون قتال. إذا كان علينا أن نموت هنا، فليكن. لكنهم لن يحصلوا على هذه الأرض بسهولة".

مع تقدم الليل، كان المشهد يزداد قتامة. الدماء كانت تغطي الشوارع، والأجساد كانت تتراكم على جوانب الطرقات. كل جسر وكل طريق وكل زقاق كان يحمل معه قصة من الألم والصمود. كان هناك لحظات من الإنسانية المؤثرة، حيث كانت الدموع تختلط بالدماء، وأصوات الحزن ترتفع مع أصوات الرصاص.

في لحظة مؤثرة، كان هناك أب يرفع جثة ابنه بين ذراعيه، ودموعه تنساب على خديه، وكأنها تتحدث عن حب لا نهاية له. كان يقف أمام الجنود الذين كانوا يحاولون دفعه بعيداً، لكنه لم يتراجع. كانت صرخاته تخترق الليل، تطلب العدالة من الذين وقفوا على الجانب الآخر من البنادق.

الأب (بصوت متقطع من الحزن والغضب): "لقد قتلتموه! لقد قتلتم حلمه بالحرية! ماذا تريدون أكثر من هذا؟ هل دماؤنا هي ما تبحثون عنه؟"

في زاوية أخرى، كانت أم جالسة بجانب جثة ابنتها، تحاول عبثًا إيقاف النزيف من الجرح الكبير في صدرها. كانت يديها المرتجفتين تحاولان تغطية الجرح بقطعة قماش ممزقة، بينما كانت دموعها تتساقط على جسد ابنتها المسجى على الأرض.

الأم (بصوت مختنق بالبكاء): "يا الله، لماذا أخذتها مني؟ كانت تريد فقط أن تعيش بسلام. لماذا كان يجب أن يحدث هذا؟"

في خضم هذه المواجهات، كان هناك تدخل واضح من القوى الخارجية. الطائرات الدرون الأمريكية كانت تحلق فوق سماء بغداد، تراقب كل حركة وكل خطوة، تنقل صوراً حية إلى السفارات الأجنبية التي كانت في حالة استنفار قصوى. كانت الاتصالات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وإيران نشطة، وكأنهم يلعبون لعبة شطرنج على أرض مغطاة بالدماء.

في الكواليس، كانت هناك محاولات لإجهاض هذا التحرك الشعبي. التوافق بين واشنطن وطهران كان واضحًا، حيث كانت السفارات ترسل تقاريرها إلى العواصم، وتحاول إيقاف نزيف الثورة قبل أن تصل إلى قلب الخضراء. المليشيات المدعومة من إيران كانت تتلقى أوامرها بالتصدي للحشود بأي ثمن، بينما كانت القوات الحكومية تتحرك بتنسيق واضح مع القوات الأجنبية.

زياد (مخاطبًا قادته بقلق) : "هناك قوى أكبر منا تتحرك الآن . الأمريكيون والإيرانيون يريدون إجهاض حلمنا . لكننا لن نسمح لهم بذلك . سنقاتل حتى النهاية ، ولن ندعهم يسرقون منا هذه اللحظة" .

مع اقتراب الفجر ، كانت الشوارع المحيطة بالخضراء تتحول إلى ساحات حرب مفتوحة . كانت المواجهات تأخذ طابعًا أكثر عنفًا ، بينما كان المتظاهرون يقتربون شيئًا فشيئًا من البوابات المغلقة . كانت النيران تشتعل في كل مكان ، والدخان يتصاعد في السماء كأنه ينذر بكارثة قادمة .

لكن رغم كل هذا العنف ، كانت هناك لحظة من الهدوء المخيف . كان زياد يعرف أن هذه اللحظة هي الحاسمة ، وأنه إذا استطاعوا الصمود لبضع ساعات أخرى ، فإنهم سيحققون نصرًا لم يكن أحد يتوقعه .

زياد (بفكر مشغول) : "هذه ليست النهاية ، بل بداية مرحلة جديدة . هذه اللحظة قد تكون نقطة تحول في تاريخ العراق ، أو قد تكون اللحظة التي نخسر فيها كل شيء" .

بينما كانت القوات تقترب من نقطة اللاعودة ، كانت السماء تشتعل بأضواء الانفجارات ، والدخان يغطي الأفق . الجميع كان يعرف أن الصباح سيحمل معه حقيقة لا مفر منها . لكن السؤال الأكبر كان لا يزال معلقًا في الهواء : هل ستسقط الخضراء حقًا؟ أم أن هذه الليلة ستكون مجرد فصل آخر في قصة طويلة من النضال؟

الفصل الخامس: "الترقب في الظلام وانكسار في الأفق"

في تلك الليلة المشؤومة، كانت بغداد تغلي تحت غطاء من الدخان الكثيف، وصدى الانفجارات والرصاص يملأ الأجواء، كأن المدينة تتنفس بثقل الألم واليأس. كل شارع، كل زقاق، كان يحمل قصة جديدة من الألم والدمار. ورغم ذلك، كانت هناك لحظات من الصمت، وكأن الأرض تحبس أنفاسها، تترقب ما سيأتي بعد هذا الليل الطويل.

على جسر الجمهورية، حيث كانت المعركة على أشدها، بدأت بوادر التراجع تظهر بين صفوف المتظاهرين. بعد ساعات من المواجهة المستمرة، أصبح الجسر مغطى بالدخان والدماء، وكانت الأجساد الملقاة على الأرض تروي قصة النضال المرير. الحشود التي كانت تتحرك إلى الأمام بثقة بدأت تشعر بثقل الساعات الطويلة والضغط المتزايد من القوات الأمنية والمليشيات.

كانت اللحظة مريرة، حيث بدأ بعض المتظاهرين يشعرون بالخوف والتردد. كانوا يتراجعون خطوة إلى الخلف، ليس بسبب الجبن، ولكن بحثًا عن فرصة لالتقاط أنفاسهم. في تلك اللحظات، كان شعور الخذلان يتسلل إلى القلوب، وكأن الجسر الذي كان يمثل الأمل أصبح فجأة مقبرة للأحلام.

أحد المتظاهرين (بصوت متقطع من اليأس): "لقد قاتلنا بما فيه الكفاية... الرصاص لا يتوقف، والظلام يبتلعنا. هل سنصل إلى الخضراء أم أن هذا الجسر سيكون مقبرتنا؟"

رغم هذه اللحظات القاسية، لم يكن التراجع استسلامًا. بل كان لحظة من التوقف المؤقت، لتقييم الوضع، وإعادة ترتيب الصفوف. كانت العزيمة لا تزال موجودة، رغم تراجع البعض إلى الخلف، وكأنهم يستعدون لجولة جديدة.

في الكرادة، كانت القوات الحكومية والمليشيات تتحرك بخطوات ثابتة نحو السيطرة. استغلوا لحظات التراجع الطفيف للمتظاهرين لفرض مزيد من الضغط. كل خطوة إلى الأمام كانت تعني تضييق الخناق على المتظاهرين الذين بدأوا يشعرون بأن طريق الخضراء أصبح أكثر وعورة.

الغاز المسيل للدموع كان يملأ الأجواء، يحجب الرؤية ويجعل التنفس صعبًا. كانت الأصوات المتداخلة بين الانفجارات وصراخ المتظاهرين تشكل خلفية مأساوية لهذه اللحظات. في تلك اللحظات، شعر بعض المتظاهرين بأن الخطر يقترب، وأن الهزيمة قد تكون قريبة.

قائد ميداني حكومي (بصوت مليء بالثقة) : "لا تتراجعوا . هؤلاء المتظاهرون بدأوا ينهارون . اضغطوا عليهم ، إنهوا هذه الفوضى قبل أن تنتشر الفوضى في المدينة بأكملها" .

في حي الحارثية ، كانت المواجهات تحتدم بشكل متزايد . القوات المجهولة ، المدعومة من الخارج ، كانت تقاتل بشراسة لا مثيل لها . الحي كان يتحول إلى ساحة معركة دموية ، حيث كانت كل زاوية تحمل معها قصة من الرعب والتضحية .

بدأ المتظاهرون يشعرون بأن النصر الذي كانوا يحلمون به أصبح بعيد المنال . كل خطوة إلى الأمام كانت تكلفهم مزيداً من الأرواح ، وكل طلقة كانت تسقط جسداً يحمل معه جزءاً من الأمل . في تلك اللحظات ، بدأ بعض المتظاهرين يتساءلون : هل يستحق الأمر كل هذه التضحيات؟ هل يمكنهم حقًا الوصول إلى الخضراء؟

زياد (مخاطبًا قادته عبر الاتصالات المشفرة ، بصوت يحمل مزيجًا من الألم والتصميم) : "إنه إخفاق مؤقت . لا تدعوا هذا الانكسار يثني عزيمتنا . إذا لم نتمكن من الوصول الليلة ، فإننا سنعود غداً أقوى" .

بينما كانت المواجهات تزداد ضراوة في شوارع بغداد ، بدأت مشاهد حية من القتال تتسرب إلى مواقع التواصل الاجتماعي . كانت تلك المشاهد صادمة ومؤثرة ، تظهر الانفجارات ، الجثث الملقاة على الأرض ، ووجوه المتظاهرين الملطخة بالدماء ، التي تحمل في عيونها مزيجًا من الرعب والإصرار .

هذه الصور ومقاطع الفيديو انتشرت بسرعة البرق ، محولة ما كان يحدث في بغداد إلى قصة عالمية . كبرى المحطات الفضائية بدأت تبث هذه المشاهد ، ونقلتها إلى ملايين الشاشات حول العالم . كانت العيون تراقب ما يحدث في بغداد بترقب وقلق ، والجميع كان يتساءل : هل هذه هي نهاية الثورة؟ هل ستتمكن القوات الحكومية من سحق الحلم الذي حمله المتظاهرون؟

في أحد الفيديوهات التي انتشرت بشكل واسع ، ظهر شاب جريح ، مغطى بالدماء ، لكنه لا يزال يحمل في عينيه بريق التحدي . كان يتحدث بصوت مرتجف لكنه قوي ، وكأنه يوجه رسالة للعالم أجمع .

الشاب الجريح (بصوت مليء بالتحدي) : "لن نتوقف ، حتى لو سقطنا جميعًا . سنعود ، حتى لو لم يكن هذا النصر الليلة ، فإنه قادم لا محالة" .

وفي خلفية هذه الأحداث الدامية، كان التدخل الخارجي يأخذ طابعًا أكثر وضوحًا وخطورة. الطائرات الدرون الأمريكية كانت تحلق في سماء بغداد، تراقب كل حركة وكل خطوة، وكأنها عيون خفية تنقل صوراً حية إلى العواصم الكبرى. السفارات الأجنبية كانت في حالة استنفار قصوى، حيث كانت تقاريرها تنتقل بسرعة إلى مراكز القرار في واشنطن وطهران.

في هذه الأثناء، كانت هناك محاولات دؤوبة لإجهاض هذا التحرك الشعبي بأي ثمن. التوافق بين واشنطن وطهران كان واضحًا، حيث كانت السفارات تنسق لاحتواء الموقف ومنع تصاعد الأمور إلى ما هو أخطر. المليشيات المدعومة من إيران كانت تتلقى أوامرها بالتصدي للحشود بكل الوسائل الممكنة، بينما كانت القوات الحكومية تتحرك بتنسيق كامل مع القوات الأجنبية.

زياد (بصوت مفعم بالقلق، موجهًا كلامه إلى قادته): "هناك قوى أكبر منا تتحرك الآن. الأمريكيون والإيرانيون يريدون إجهاض حلمنا. لكننا لن نسمح لهم بذلك. سنقاتل حتى النهاية، ولن ندعهم يسرقون منا هذه اللحظة".

مع مرور الساعات، كانت لحظات التوتر تتزايد، وكان المتظاهرون يشعرون بأنهم على شفا الهاوية. أصوات القنابل والصراخ كانت تتردد في كل مكان، بينما كان المتظاهرون يحاولون فهم ما يحدث من حولهم. في تلك اللحظات، شعر البعض بأنهم محاصرون بين النيران، وأن كل خطوة يمكن أن تكون الأخيرة.

زياد (بصوت يملؤه التصميم والتحدي): "لا تدعوا هذا التراجع يخدعكم. إنه ليس هزيمة، بل هو تكتيك. نحن نعيد ترتيب صفوفنا، وسنعود أقوى مما كنا".

بينما كانت القوات الحكومية تواصل تقدمها، كان المتظاهرون يعرفون أن القرار الحاسم لم يأت بعد. كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة لاتخاذ الخطوة التالية، مدركين أن أي حركة خاطئة قد تكلفهم كل شيء. لكنهم كانوا يعرفون أيضًا أن هذه الليلة لن تكون النهاية، بل هي مجرد جولة في حرب طويلة.

مع كل خطوة إلى الخلف، كان المتظاهرون يشعرون بأنهم يبتعدون عن هدفهم. لكنهم كانوا يعرفون أن التراجع ليس نهاية، بل هو مرحلة مؤقتة. كانوا يرون في هذا التراجع فرصة لإعادة تقييم الوضع، ولإعداد أنفسهم لجولة جديدة. كانت الخضراء تبدو كقلعة محصنة، لكنهم كانوا يعرفون أن كل حصن يمكن أن ينهار إذا كانت العزيمة قوية بما يكفي.

أحد المتظاهرين (بصوت مفعم بالأمل): "قد نتراجع الليلة، لكننا لن نستسلم. هذه ليست النهاية، بل هي بداية جديدة. سنعود، وسنحقق ما جئنا من أجله".

في قلب المنطقة الخضراء، وسط تحصينات وجدران سميكة تمنع أي تسرب للمعلومات، اجتمع قادة الأحزاب الحاكمة مع جنرال إيراني رفيع المستوى وممثل عن السفارة الأمريكية. الغرفة كانت مظلمة بإضاءة خافتة، تضفي جواً من التوتر والترقب. الحراسة مشددة خارج الأبواب، وضباط الأمن يقفون في حالة تأهب قصوى، مدركين أهمية هذا الاجتماع المصيري.

الجنرال الإيراني، رجل في منتصف الخمسينيات بعيون باردة وعميقة، جلس على أحد جوانب الطاولة البيضاوية الكبيرة. على الجانب الآخر، جلس ممثل السفارة الأمريكية، دبلوماسي محنك يحافظ على هدوء ظاهر، لكن عينيه تخفيان قلقًا عميقًا. بينهما، كان قادة الأحزاب الحاكمة يجلسون، وجوههم متعبة من القلق والخوف من فقدان السلطة.

بدأ الاجتماع بصوت منخفض، حيث تحدث قائد الحزب الحاكم الرئيسي عن الوضع المتدهور في الشوارع. وصف المواجهات العنيفة التي تدور على الجسور وفي الأزقة الضيقة، وعن الحشود التي تتقدم بلا تراجع رغم الخسائر الفادحة.

قائد الحزب الحاكم (بصوت يغلبه الغضب والقلق): "الأمور خرجت عن السيطرة. هؤلاء المتظاهرون لم يعودوا مجرد حشود غاضبة، بل تحولوا إلى تهديد وجودي للنظام. إذا استمروا في التقدم، فإنهم سيصلون إلى قلب الخضراء، وإذا سقطت الخضراء، فسيسقط النظام بأكمله".

الجنرال الإيراني (بصوت هادئ لكنه يحمل في طياته تهديداً ضمنيًا): "لن نسمح بذلك. هؤلاء ليسوا مجرد متظاهرين عاديين. هناك قوى خارجية تحركهم، تسعى إلى زعزعة استقرار العراق والمنطقة بأكملها. يجب أن نكون حازمين في الرد".

ممثل السفارة الأمريكية (بصوت حذر، محاولا الحفاظ على توازن دقيق): "الاستقرار في العراق مهم لنا جميعًا. ولكن يجب أن نكون حذرين. التعامل العنيف مع المتظاهرين قد يؤدي إلى تصاعد الأمور وخروجها عن السيطرة. نحن بحاجة إلى خطة محكمة تجمع بين الحزم والحذر".

قائد حزب آخر، قلقًا من تفاقم الوضع، نظر حوله بحثًا عن حلول: "لكن ماذا يمكننا أن نفعل؟ لقد فقدنا السيطرة في الشوارع. القوات الأمنية تبذل قصارى جهدها، لكن الحشود تزداد عنفًا وإصرارًا. كيف يمكننا احتواء هذا الوضع؟"

الجنرال الإيراني (بصوت مليء بالثقة والخبرة العسكرية): "علينا أن نكون استراتيجيين في تحركاتنا. القوة وحدها لن تكفي. يجب أن نضرب في العمق، ونستهدف القادة والمخططين لهذه التحركات. لدينا معلومات مؤكدة عن بعض العناصر الرئيسية التي تقود هذه الثورة من خلف الكواليس. يجب تصفيتهم بأسرع وقت ممكن".

ممثل السفارة الأمريكية (بصوت مفعم بالحذر): "علينا أن نكون حذرين. اغتيال القادة قد يؤدي إلى ردود فعل عنيفة تخرج الأمور عن السيطرة. الأفضل أن نستخدم وسائل أكثر دقة لتفريق الحشود. علينا أن نفكر في الجانب الإعلامي أيضًا. هذه الثورة تكسب الزخم بسبب وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي. إذا استطعنا السيطرة على تلك الجبهة، سنتمكن من إضعافهم".

قائد الحزب الحاكم (بصوت مليء بالحماس وكأنه وجد الحل): "الإعلام هو سلاحنا الأقوى. علينا أن نستخدمه بذكاء لتفريق صفوف المتظاهرين. سنقوم بنشر الشائعات التي تزرع الفتنة بينهم، ونشوه سمعة قادتهم ونظهرهم كعملاء لقوى خارجية".

الجنرال الإيراني (بصوت هادئ ولكنه يحمل مكرًا خفيًا): "بالضبط. يجب أن ننشر فكرة أن هؤلاء المتظاهرين ليسوا سوى مجموعة من المخربين، يسعون لتدمير البلاد لحساب قوى خارجية. سنقوم بتسريب معلومات مزيفة عن تورط بعض قادة الثورة في قضايا فساد، وعن تحالفاتهم مع جهات مشبوهة".

ممثل السفارة الأمريكية (بصوت يحمل تحذيرًا دقيقًا): "يجب أن نستخدم وسائل التواصل الاجتماعي بكثافة. ننشر القصص والشائعات، نستخدم الحسابات المزيفة، ونغرق الفضاء الرقمي بالمعلومات المغلوطة. يجب أن نسيطر على الرأي العام، ونوجه الناس للاعتقاد بأن هذه الثورة ستقود البلاد إلى الفوضى".

قائد حزب آخر (بصوت مليء بالتأكيد، وكأنه يرى الخطة تتشكل أمامه): "وسنقوم بتكرار هذه الرسائل عبر وسائل الإعلام التقليدية. يجب أن تظهر في نشرات الأخبار، وفي المقالات الصحفية، وحتى في خطب الجمعة في المساجد. علينا أن نرسخ فكرة أن هذه الثورة ليست من أجل الشعب، بل هي مؤامرة تستهدف استقرار العراق".

الجنرال الإيراني (بصوت صارم، يختصر كل ما قيل): "علينا أن نكون قساة وحازمين. لا مجال للرحمة. هذه الليلة يجب أن تنتهي بانكسارهم. قواتنا جاهزة للتحرك، وإذا لزم الأمر، سنعزز وجودنا في الشوارع".

ممثل السفارة الأمريكية (بصوت يحمل نبرة تحذير واضحة): "لكن لا تنسوا، يجب أن نحافظ على التوازن. التعامل بعنف مفرط قد يؤدي إلى كارثة على المدى البعيد. علينا أن نستخدم القوة بحذر، وأن نترك للإعلام والمعلومات المضللة الباقي".

قائد الحزب الحاكم (بصوت حاسم، مستعد للانطلاق في التنفيذ): "إذن، نحن متفقون. سنقوم بتنفيذ هذه الخطة فوراً. الليلة سنبدأ في نشر الشائعات، وسنوجه إعلامنا لتشويه صورة المتظاهرين. سنجعل الناس يعتقدون أن هذه الثورة ستدمر كل شيء، وأنه لا خيار أمامهم سوى دعم النظام".

عندما انتهى الاجتماع، وقف الجميع للحظات في صمت، متأملين ما تم الاتفاق عليه. كانت وجوههم تحمل مزيجًا من التوتر والحذر، لكن بداخلهم كانوا يدركون أن هذه القرارات قد تنقذ نظامهم أو تؤدي إلى انهياره. الجنرال الإيراني غادر الغرفة بخطوات ثابتة، واثقًا من نجاح الخطة، بينما ظل ممثل السفارة الأمريكية متردداً، وقلقه يزداد حول العواقب التي قد تترتب على هذا التحرك.

الجنرال الإيراني (بصوت هادئ لكنه مفعم بالثقة): "لنترك هذه الغرفة ونحن متأكدون من خطتنا. سنقضي على هذه الثورة، ليس بالسلاح فقط، ولكن بالعقول. إذا استطعنا تفريق صفوفهم، سننتصر بدون معركة".

ممثل السفارة الأمريكية (بصوت هادئ لكنه يحمل تحذيراً داخليًا): "لنتحرك إذن. هذه الليلة ستحدد مصير العراق، ويجب أن نكون مستعدين لكل شيء".

خرج الجميع من الغرفة، عازمين على تنفيذ خطتهم، بينما كانت الشوارع تشتعل بالنار والدماء. في الخارج، كانت أصوات الاحتجاجات لا تزال تدوي في الأفق، وكان العالم يراقب، منتظرًا النتيجة.

ما لم يعرفه أحد، هو أن هذه الخطة الجديدة ستفتح الباب أمام مواجهة جديدة، أكثر تعقيداً وأشد ضراوة. وبينما كانت الأضواء تخفت في غرفة الاجتماعات، كان الجميع يعلم أن ما حدث في تلك الغرفة سيغير مجرى الأحداث، وربما يشعل ناراً لا يمكن إطفاؤها بسهولة..

في غرفة صغيرة تضيئها شمعة متواضعة، جلس زياد على كرسي خشبي بالكاد يتحمل وزن جسده المثقل بالهموم. كانت الغرفة، رغم صغرها، تضج بأصداء ذكريات المعارك والمواجهات التي لا تزال تجري في الخارج. الهواء في الغرفة كان ثقيلاً، ممزوجًا برائحة العرق والخوف، وكأن الجدران تحفظ داخلها أنفاسًا محبوسة وآمالاً معلقة.

أمام زياد، كانت شاشة حاسوبه القديم تعرض مقاطع الفيديو المسربة ببطء شديد، نتيجة لتعمد الحكومة إبطاء الإنترنت، محاولة منها لعرقلة انتشار الحقيقة. كان البث المتقطع يزيد من توتره، وكأنه يراه كعقبة أخرى تضيفها السلطات لتخنق أنفاس الثورة. كلما انقطع البث لوهلة، كان يشعر وكأن الزمن قد توقف، وكأن الأحلام قد تجمدت في لحظة لا نهاية لها.

على الشاشة، كانت مقاطع الفيديو تظهر ببطء؛ جثث رفاقه ملقاة على الأرصفة، وأصوات الرصاص تخترق الصمت المميت. كانت الوجوه الشاحبة، الملطخة بالدماء، تلاحقه في كل زاوية من الغرفة، وكأنها أشباح تطالب بالعدالة. كل مشهد كان يزداد ثقلاً على كاهل زياد، يجعله يغرق في دوامة من الحزن والغضب والعجز.

في إحدى اللقطات، ظهرت أم تبكي بجانب جثة ابنها الشاب، تحمل رأسه بين ذراعيها، وعيناها فارغتان من أي بريق أمل. وفي مشهد آخر، كان هناك شاب ينزف، يحاول أن يزحف بعيداً عن ساحة المعركة، بينما تعبر فوقه أحذية الجنود. كانت هذه الصور تنحت ندوبًا عميقة في روح زياد، كل ندبة تحكي قصة حلم مكسور وآمال ضائعة.

زياد (بصوت متهدج، يكاد يخنقه الألم): "يا الله... كم من الدماء يجب أن تُراق قبل أن يتحقق هذا الحلم؟ هل كنا مخطئين؟ هل دفعنا هؤلاء الشباب إلى الموت بلا جدوى؟"

في تلك اللحظات المظلمة، كان زياد يشعر وكأن جدران الغرفة تضيق عليه، وكأن الظلام يبتلع كل ذرة من ضوء الأمل. كان حديثه الداخلي يزداد تعقيداً، يتصارع فيه اليأس مع الغضب، الأمل مع الألم. كانت الأسئلة تتلاحق في ذهنه كأمواج عاتية تضرب شواطئ روحه المنهكة.

زياد (محدثًا نفسه، بصوت يملؤه التناقض): "لقد دفعتهم إلى الشوارع... كنت أؤمن بأننا نستطيع التغيير، لكن هل كنت أعمى عن الحقيقة؟ كيف يمكنني أن أطلب منهم الاستمرار في القتال، وأنا لا أستطيع حتى أن أوقف هذا النزيف؟"

في هذه اللحظات، عاد بذاكرته إلى تلك الأيام التي كان يجتمع فيها مع رفاقه، يحلمون بعراق جديد، بلد ينعم بالحرية والكرامة. كانوا يتحدثون بحماس عن مستقبل أفضل،

مستقبل خال من القمع والفساد. لكن الآن، يبدو أن كل تلك الأحلام قد تحولت إلى كوابيس تحاصِرهم من كل جانب.

زياد (بصوت مرتجف، يكاد ينكسر): "هل ضاع كل شيء؟ هل كانت هذه الثورة مجرد وهم؟ هل كنت أدفعهم نحو الهاوية؟ أم أن هذا هو ثمن الحرية الذي يجب أن ندفعه؟"

في تلك اللحظات، شعر زياد وكأن الثورة قد تكون على وشك الانهيار. كان خائفًا من أن كل التضحيات التي قدمها هو ورفاقه قد تكون قد ذهبت سدى. كل هذه الدماء، كل هذه الأرواح التي فارقت الحياة، هل كانت بلا مقابل؟ كان يخشى أن يكون هذا هو النهاية، أن يتحقق أسوأ كوابيسه.

لكن مع كل هذا الألم، كان هناك صوت آخر يعلو في داخله، صوت يرفض الاستسلام. رغم الدموع، رغم الحزن الذي كان يعصف به، لم يستطع أن يتخلى عن الأمل الذي عاش من أجله. كان يعرف أن التراجع الآن يعني الهزيمة النهائية، وأنه لا يمكن أن يخون ذكرى رفاقه الذين سقطوا.

زياد (بصوت مليء بالعزم الذي يستعيد قوته): "لا... لن أستسلم. لن ندعهم ينهون ما بدأناه. نحن من يحمل شعلة الأمل، حتى وإن كانت تشتعل بين أيدينا. هؤلاء الذين سقطوا، سقطوا من أجل حلم، ولن ندع حلمهم يموت. قد يكون هذا الليل طويلاً، لكنه لن يستمر للأبد"..

الفصل السادس : "المد الثوري : دموع الحزن تتحول إلى فرح ودخول الخضراء"

في اللحظات التي كان زياد يظن فيها أن الليل قد أسدل ستاره على آخر بصيص أمل ، حدث ما لم يكن في الحسبان . وهو يغادر غرفته ، متجهًا نحو الظلام الذي كان ينتظره خارج الباب ، رأى شيئًا لم يكن يتوقعه . شلال من الناس بدأ يتدفق من كل حدب وصوب . الفئات التي خاطبها زياد على مدار الأيام الماضية كانت تتقاطر من كل مكان ، يتدفقون كالنهر الجارف الذي لا يعرف التوقف .

كانت تلك اللحظة التي تحولت فيها دموع الأسى إلى دموع فرح . العمال ، المهندسون ، الأطباء ، المعلمون ، أصحاب المهن الحرة ، وحتى الفلاحون من الريف ، جميعهم جاءوا ليعززوا الصفوف . كانت الوجوه التي ملأها الحزن في الأيام الماضية ، الآن تعكس تصميمًا لا يُقهر . لقد لبت نداء زياد ، وها هي تلتحق بالموج الثوري الهائل الذي اجتاح شوارع المدينة .

في الشوارع التي كانت تعج بالخوف والظلام ، تحولت الآن إلى أنهار من الناس ، كلهم يحملون شعلة الأمل التي كانت تكاد تخبو . هذه اللحظة كانت استجابة جماعية لإرادة الوطن ، لإرادة العدل والحرية . كل خطوة كانت تضيف إلى شرعية التظاهرات ، تجعلها أكثر قوة وأكثر تحديًا للنظام القمعي .

الذين كانوا يشاهدون من خلف شاشاتهم ، والذين ترددوا في البداية ، وجدوا أنفسهم الآن في قلب الموجة الثورية . كانت الحشود تتزايد باستمرار ، حتى بدت الشوارع ضيقة على اتساعها . لم يعد هناك مجال للتردد ، لم يعد هناك وقت للانتظار . الجميع كان يعرف أن هذه هي اللحظة الحاسمة .

وسط هذا المد البشري الذي لا يتوقف ، وجد زياد نفسه محاطًا بوجوه جديدة وقديمة ، كلها تحمل نفس الإصرار ، نفس الرغبة في التغيير . عيون زياد التي كانت تغمرها الدموع من الحزن واليأس ، بدأت الآن تفيض بدموع الفرح والأمل . كان يقف في وسط الحشد ، يشعر بأن إرادة الشعب قد استعادت قوتها من جديد .

زياد (بصوت مرتعش من الفرح والعزيمة) : "هذا هو الشعب الذي حلمنا به ، الشعب الذي لن يرضى بالظلم . هذا هو الوطن الذي نريده ، الوطن الذي يقف فيه الجميع صفًا واحدًا ضد القمع والطغيان" .

تلك اللحظة كانت الانفراجة التي كان الجميع ينتظرها. تحولت الجموع من حالة الدفاع إلى وضعية الهجوم. لم يعد هناك مجال للانسحاب، لم يعد هناك مكان للتراجع. الآن، كانت الخطوة التالية هي التحرك نحو الخضراء.

ومع تصاعد الحماس في الحشود، بدأ التحرك. من كل المداخل المؤدية إلى المنطقة الخضراء، كانت الجموع تتقدم بخطى ثابتة، لا تعرف التراجع. كان الهتاف يرتفع في السماء، يصدح في أرجاء المدينة. كانت القوات الحكومية تقف متأهبة، لكن هذه المرة، كان المد الثوري مختلفًا. قوة جديدة وروح متجددة تغلغلت في صفوف المتظاهرين، وكأن الأرض نفسها كانت تتحدث عبر هؤلاء الناس.

زياد، الذي كان في مقدمة الحشود، شعر بأن اللحظة قد حانت. شعلة الأمل التي كانت تضيء في قلبه، شعلة لم يختبرها من قبل، أضاءت المسار أمامه. كانت الحشود تتقدم بلا خوف، تحمل معها عبء كل تلك الدماء التي سقطت، وكل تلك الأرواح التي زهقت من أجل هذا اليوم.

زياد (مخاطبًا الحشود بصوت قوي يصدح في السماء): "اليوم لن نتراجع. هذه هي اللحظة التي انتظرناها، اللحظة التي سنستعيد فيها وطننا. لقد حاولوا إسكاتنا، حاولوا قمعنا، لكننا اليوم نقف هنا، أقوى من أي وقت مضى. فلنتقدم معًا، نحو الحرية، نحو العدالة، نحو الخضراء"!

مع تقدم الحشود، كان الجنود الحكوميون يترددون، يتراجعون خطوة تلو الأخرى أمام هذا الطوفان البشري الذي لا يتوقف. لكن عند أبواب الخضراء، كانت هناك مقاومة شرسة بانتظارهم. الميليشيات المدعومة من الحكومة، كانت مجهزة ومستعدة، مدركة أن هذه اللحظة هي التي ستحسم مصير النظام.

التحام الحشود مع هذه الميليشيات كان حتميًا. كانت تلك اللحظة تتسم بالفوضى والصراع العنيف. الرصاص يطلق من كل زاوية، الغاز المسيل للدموع يتسلل إلى أنوف المتظاهرين، لكنهم لم يتراجعوا. على الرغم من الإصابات والسقوط المستمر في صفوفهم، ظلوا يتقدمون، يخترقون صفوف الميليشيات، يتسللون إلى الأطراف الأولى من الخضراء.

زياد، الذي كان يقف وسط هذا الصراع، رأى أمامه مشهدًا لم يكن يتخيله. الأعلام ترفرف على أسوار الخضراء، وأصوات الهتاف تملأ الأرجاء. الدماء كانت تسيل على الأرض، لكن العزيمة لم تتزعزع.

زياد (بصوت مليء بالفرح والجدية معًا) : "لقد دخلنا . . . لقد اخترقنا أسوارهم . لكن هذا ليس نهاية الطريق . هذه هي البداية فقط . سنواصل حتى يتحقق حلمنا ، حتى نرى عراقًا جديدًا ، عراقًا ينعم فيه الجميع بالحرية والكرامة" .

في قلب المنطقة الخضراء ، حيث كان الصراع على أشده ، كانت أصوات الشعارات الثورية تعلو فوق هدير الرصاص وأصوات الانفجارات . المتظاهرون تقدموا بخطى ثابتة ، يهتفون بشعارات تنبض بالعزم والإصرار ، بينما ترفرف الأعلام فوق رؤوسهم ، كتعبير حي عن إيمانهم بوطن حر ومستقل .

"الحرية ! الحرية !" ، كان هذا الهتاف يرتد صداه بين الجدران المحصنة ، يتردد كأنفاس الوطن الذي يأبى الانحناء . "لا للفساد ! لا للظلم !" ، "الشعب يريد إسقاط النظام !" ، "بالروح ، بالدم ، نفديك يا عراق !" ، شعارات تخرج من أعماق أرواحهم ، تحمل في طياتها تاريخًا من القهر والمعاناة ، وشوقًا لا ينتهي للحرية .

بينما كانت الحشود تتقدم بشجاعة ، كانت القوات الحكومية والميليشيات المدعومة منها تقاوم بشراسة ، مطلقة الرصاص بلا هوادة . الرصاص كان يخترق الصفوف ، لكن المتظاهرين لم يتراجعوا . كان الدم يسيل على الأرض ، لكنهم ظلوا يتقدمون ، يدفعهم الإيمان بأن هذه اللحظة قد تكون الفرصة الأخيرة لاستعادة وطنهم .

في إحدى الزوايا ، كانت الاشتباكات تشتد عند مدخل أحد المباني الحكومية . الطلقات تطايرت كالشظايا في كل اتجاه ، والدخان الكثيف كان يخنق الأنفاس . أحد المتظاهرين ، شاب في مقتبل العمر ، كان يتقدم نحو الباب ، رافعًا علم العراق بكل فخر ، رغم الجروح التي غطت جسده . اقترب من الباب الذي كان محاصرًا بالنيران ، ورغم انفجار قنبلة صوتية بجواره ، لم يتوقف . كان العلم يرفرف في يده ، وكأنه يعلن أن الأمل لا يزال حيًا .

"بالروح ، بالدم ، نفديك يا عراق !" ، صرخ الشاب بكل قوته ، وكأن صوته يحمل عبء كل تلك الأحلام المحطمة .

وسط هذا الصراع الدموي ، كان هناك لحظة تحول غير متوقعة . أحد عناصر الأمن ، شاب في العشرينات من عمره ، كان يقف في مواجهة المتظاهرين ، يده على الزناد ، عينيه تملؤها الحيرة . كان يرى أمامه شبانًا وشابات يتقدمون بلا خوف ، يتحدون الموت من أجل الحرية . لحظة من الصمت اجتاحت قلبه ، وكأن الزمن قد توقف للحظة .

رفع عنصر الأمن سلاحه ببطء، تردد للحظة، ثم نظر إلى المتظاهرين المتقدمين نحوه. تذكر في تلك اللحظة طفله الصغير وهو يلعب في الحديقة، ووجه والدته التي كانت دائمًا تحثه على فعل الصواب. شعر بأن يده ترتجف، وببطء، ألقى سلاحه على الأرض. رفع يديه في إشارة للاستسلام، وخطا خطوة إلى الوراء، مفسحًا الطريق أمام المتظاهرين. كانت عيون المتظاهرين مشدودة نحوه، غير مصدقة لما يرونه.

زياد، الذي كان يقود المجموعة في تلك اللحظة، تقدم نحو العنصر الأمني، نظر إليه بعمق، ثم وضع يده على كتفه قائلاً بصوت مليء بالتقدير: "هذا هو الاختيار الصحيح... نحن لا نحاربكم، نحن نحارب من يقمعنا جميعًا".

العنصر الأمني (بصوت متهدج): "لقد تعبت من القتال... لا أريد أن أكون جزءًا من هذا الظلم بعد الآن".

ثم تراجع، وانضم إلى صفوف المتظاهرين، وهو يحمل العلم العراقي، يهتف معهم بشعارات الحرية، وكأن روحه قد وجدت خلاصها في اللحظة التي اختار فيها الوقوف إلى جانب شعبه.

على الجانب الآخر من المنطقة الخضراء، كانت الاشتباكات تتصاعد وتيرتها بشكل مرعب. الميليشيات كانت تطلق النار من المباني العالية، تحاول منع المتظاهرين من التقدم. لكن الشبان لم يتراجعوا، تسللوا بين المباني، يتفادون الرصاص، يحملون الحجارة والأعلام والأسلحة البسيطة التي جمعوها من ساحة المعركة.

في إحدى الزوايا، كانت هناك مجموعة من النساء تجلس بجانب جريح، تحاول وقف نزيفه باستخدام قطع قماش ممزقة. كانت النساء يهتفن بشعارات الحرية، بينما الدموع تملأ عيونهن، يعلمن أن هذه اللحظة قد تكون النهاية أو بداية جديدة.

المرأة (بصوت مليء بالتحدي): "لن نخاف، لن نتراجع. هذه أرضنا، وهذا حقنا. سيذكر التاريخ أن النساء وقفن هنا، حيث سقط الرجال".

وفي زاوية أخرى، كان الاشتباك عند أحد الحواجز المحصنة يأخذ منحى أكثر شراسة. المتظاهرون كانوا يحاولون تحطيم الحاجز بأيديهم العارية، بينما كانت الطلقات تتساقط حولهم كالمطر. فجأة، حدث انفجار قوي، لكن الحشود لم تتراجع. كانوا يعلمون أن الموت قد يكون قريبًا، لكنهم واصلوا التقدم، كأنهم يسيرون نحو قدرهم بقلوب لا تعرف الخوف.

بينما كان المتظاهرون يقتربون من أهدافهم، كانت القوات الحكومية تشعر بتوتر متزايد. بعض الجنود كانوا يترددون في إطلاق النار، يتساءلون في داخلهم عما إذا كانوا يقومون بالصواب. كانت وجوه المتظاهرين تملأ رؤوسهم بالأسئلة التي لم يجدوا لها إجابة. هل يمكن أن يكونوا هم الطرف الخطأ؟ هل سيذكرهم التاريخ كأدوات للقمع أم كضحايا لظروف أكبر منهم؟

في لحظة من الصمت، تردد المتظاهرون أنفسهم للحظة، شعروا بالخوف يتسلل إلى قلوبهم، لكن نظرة واحدة إلى العلم العراقي المرفوع فوق رؤوسهم كانت كافية لإعادة العزيمة. تقدموا مرة أخرى، غير عابئين بالرصاص أو الموت. كانوا يعلمون أن هذه اللحظة قد تكون فاصلة، لحظة الحسم التي لا يمكن أن تتكرر.

مع مرور الوقت، كانت الحشود تتقدم شيئًا فشيئًا، تدفع بالقوات الحكومية للتراجع. أصوات الهتافات كانت تعلو، تختلط مع أصوات الاشتباكات، لكنها كانت أقوى. كان الجميع يعرف أن هذه اللحظة هي التي ستحدد مصير الثورة.

زياد كان يقف في وسط هذا البحر البشري، يشعر بالفخر والفرح يغمرانه. كان يعلم أن هذه اللحظة قد تكون بداية النهاية للنظام القمعي. لكنه كان يعرف أيضًا أن الطريق لا يزال طويلاً، وأن هذه اللحظة لن تكون نهاية المعركة.

زياد (بصوت يصدح في السماء): "هذه ليست النهاية، بل هي البداية. نحن هنا من أجل الحرية، من أجل الوطن. سنواصل القتال حتى نحقق حلمنا، حتى نرى عراقًا جديداً، عراقًا ينعم فيه الجميع بالكرامة والعدل".

وفي تلك اللحظة، رغم الدماء التي غطت الأرض، ورغم الجثث التي سقطت، كان هناك شعور بالنصر يسري في الهواء. لكن كما كانت هذه اللحظة تمثل انتصاراً صغيراً، كانت تحمل في طياتها تحديات أكبر قادمة. الكل كان يعلم أن ما تحقق لم يكن سهلاً، وأن القادم قد يكون أشد ضراوة.

الفصل السابع : "المنطقة الخضراء : نظرة علوية على قلب السلطة"

من علو شاهق ، بدت المنطقة الخضراء كجزيرة معزولة تحصنها أسوار عالية وأسلاك شائكة ، تحمي ما بداخلها من مراكز السلطة والتحكم ، في وسط بحر من الفوضى يعم العاصمة بغداد . من هذه المسافة ، بدت الخضراء كقلعة منيعة ، تحمل في طياتها أسرار الدولة ومراكز القرار ، محاطة بالخوف والترقب ، وكأنها عالم منفصل تمامًا عن الواقع الذي يعيشه الشعب خارج أسوارها .

بينما كان الدخان يتصاعد من شوارع بغداد خارج الأسوار ، كانت المنطقة الخضراء تعيش في هدوء غير طبيعي . أصوات الاحتجاجات والصراخ التي تصم الآذان خارج الأسوار كانت تتلاشى تدريجيًا ، ليحل محلها صمت ثقيل ، يعكس عزلة السلطة عن الشعب . داخل هذه الأسوار ، كان كل شيء يبدو مترفًا ، هادئًا ، لكنه كان هدوءًا ينذر بالخطر ، كأن المنطقة بأسرها تعيش في فقاعة زائفة ، منفصلة تمامًا عن الواقع المحيط بها .

في وسط هذا الحصن ، كانت المرافق الحكومية البارزة ترتفع بشكل واضح . مبنى البرلمان كان من أبرز هذه المنشآت ، بقبته الكبيرة التي تلمع تحت ضوء الشمس ، وكأنها تراقب العاصمة من عل ، تجسد مركز السلطة التشريعية في البلاد . هنا ، تُصاغ القوانين وتُتخذ القرارات التي تتحكمً في مصير الملايين ، قرارات قد تكون عادلة ، وقد تكون جائرة ، لكن كلها كانت تُصنع في هذه الغرف المحصنة .

ليس بعيدًا عن البرلمان ، كان القصر الجمهوري يقف بصلابة ، محاطًا بالحدائق المشذبة بعناية تامة ، تشبه المتاهة ، وكأنها حاجز أخضر يفصل بين السلطة والشعب . داخل هذه الجدران ، تُعقد الاجتماعات السرية ، وتُرسم السياسات التي تحدد مسار الأمة . القصر ، برغم جماله الخارجي ، يحمل بين جدرانه تاريخًا من القرارات المصيرية ، بعضها كان مشرقًا ، والبعض الآخر كان قاتمًا ، لكنه كله محفور في ذاكرة هذا المكان .

إلى جانب القصر الجمهوري ، كانت السفارات الأجنبية تقبع في مواقعها داخل المنطقة الخضراء كقلاع صغيرة مستقلة . السفارة الأمريكية كانت الأكبر والأكثر تحصينًا ، بمبانيها الضخمة ووسائل الحماية العالية التقنية . هذه السفارة لم تكن مجرد مقر دبلوماسي ، بل كانت رمزًا لنفوذ دولي يتغلغل في شرايين السياسة العراقية . هناك ، تُدار ملفات العلاقات الدولية ، وتتخذ ًالقرارات التي تؤثر في الساحة السياسية الداخلية والخارجية ، وكأنها تُدير خيوط اللعبة من وراء الكواليس .

في الجانب الآخر من المنطقة، كانت المرافق العسكرية والأمنية تنتشر كالأشواك حول قلب السلطة. مقر وزارة الدفاع، ببواباته الضخمة وجدرانه المسلحة، كان بمثابة مركز التحكم في العمليات العسكرية في البلاد. خلف تلك الجدران، كانت الخطط العسكرية تُرسم، والتحركات تُنظم، وكأنها مسرح لإعداد السيناريوهات المحتملة لأي طارئ.

مقرات المخابرات كانت محاطة بسرية أكبر، تحتفظ بملفاتها خلف جدران سميكة، بعيداً عن أعين المتطفلين. هذه المباني تبدو بلا نوافذ تقريبًا، وكأنها صُممت لحفظ الأسرار التي لا يعرفها إلا القليل. هناك، تُدار عمليات التجسس ومراقبة الأوضاع، وتتخذ القرارات الحاسمة حول من يجب أن يُراقب ومن يجب أن يُترك في الظل، وكأنها عصب النظام الذي يسيطر على كل شيء من خلف الستار.

بعيداً عن المباني الحكومية والمرافق الأمنية، كانت هناك مناطق سكنية مخصصة لكبار المسؤولين والدبلوماسيين الأجانب. هذه المناطق كانت تضم الفيلات الفاخرة، ذات التصاميم المعمارية الفخمة، والتي كانت مجهزة بأحدث وسائل الراحة. الحدائق الواسعة التي تحيط بها، برك السباحة، والمرافق الترفيهية، كانت تعكس حياة الترف التي يعيشها سكان هذه المنطقة مقارنة بما يعانيه الشعب خارج الأسوار.

كانت هناك أيضًا نوادي رياضية ومرافق ترفيهية خاصة، حيث يمكن لكبار الشخصيات أن يقضوا أوقاتهم بعيداً عن ضغوط السلطة. في إحدى الزوايا، كانت تقام حفلة فاخرة، حيث تُقدَّم الأطعمة والمشروبات الفاخرة، بينما في الخارج يعاني الناس للحصول على لقمة العيش. هذه المرافق كانت بمثابة واحة من الرفاهية في قلب الصحراء القاحلة التي تمثلها بغداد الخارجة عن الأسوار، وكأنها تعيش في عالم مختلف تمامًا، عالم لا يعرف عن معاناة الشعب شيئًا.

الطرق المعبدة داخل المنطقة الخضراء كانت تخترقها الحواجز الأمنية، حيث كانت النقاط التفتيشية منتشرة على كل زاوية تقريبًا. السيارات المصفحة تمر من خلال هذه النقاط، تحرسها أعين يقظة من الحراس المدججين بالسلاح. كان الوصول إلى أي جزء من المنطقة الخضراء يتطلب المرور عبر طبقات متعددة من الأمن، وكأن كل خطوة محسوبة بدقة.

كل مبنى كان محصنًا بأسوار خاصة، وكاميرات المراقبة كانت تراقب كل حركة، لا تترك أي تفصيل دون ملاحظة. أجهزة المراقبة كانت ترصد كل حركة، وأعين الحراس كانت لا تغفل عن أي تفصيل. في الليل، كانت الأضواء الكاشفة تمسح الأرض، وكأن المنطقة تعيش في حالة حرب دائمة. كل زاوية كانت تخضع للمراقبة، كأن المكان ينتظر عدواً غير مرئي. كان

الدخول إلى الخضراء يشبه الدخول إلى قلعة مهيبة، كل من يمر من بواباتها يشعر ببرودة الخوف تتسلل إلى عروقه. هنا، في قلب السلطة، يبدو كل شيء غير مستقر، وكأن الهياكل الضخمة تخفي وراءها هشاشة لم تظهر بعد.

المنطقة الخضراء لم تكن مجرد مركز للسلطة، بل كانت رمزاً للخوف أيضًا. كان الدخول إليها يشبه الدخول إلى قلب الوحش، حيث كل حركة تُراقب وكل كلمة تُسجل. كانت هذه الهياكل الضخمة، على الرغم من قوتها الظاهرة، تخفي هشاشة داخلية. كانت الأسوار العالية، التي كانت تهدف لحماية السلطة من الشعب، تبدو وكأنها على وشك الانهيار تحت ضغط الثورة التي تختمر في الخارج.

في هذه اللحظة، كانت المنطقة الخضراء تراقب من عل، ولكنها لم تعد بمنأى عن الهزات التي بدأت تعصف بها من الخارج. كانت هذه القلعة، التيِّ بدت في يوم من الأيام منيعة، تتعرض الآن لتحد غير مسبوق. كانت الأسوار العالية تروي قصة انفصال السلطة عن الشعب، لكن الهتافات اَلتي بدأت تتسلل إلى داخلها كانت تحمل معها تحذيراً بأن هذا الانفصال قد لا يدوم طويلا.

من هذه النظرة العلوية، بدت المنطقة الخضراء وكأنها تعيش أيامها الأخيرة كحصن منيع للسلطة. كل هذه الفخامة وكل هذه التحصينات قد لا تصمد أمام الغضب الشعبي المتزايد. كانت المباني تبدو قوية، لكن الأجواء كانت مشحونة بالتوتر والخوف من المستقبل. كان الجميع داخل الخضراء يعلمون أن ما يحدث خارجها لن يبقى بعيداً عنها لفترة طويلة.

قد تكون الخضراء هي قلب السلطة في العراق، لكن مستقبلها أصبح الآن مرتبطًا بمصير البلاد بأكملها. الشعب الذي يتجمع خارج أسوارها قد يقرر في أي لحظة أن يقتحم هذا القلب المحصن، ليعيد للسلطة حقيقتها الضائعة، ويكتب فصلا جديداً في تاريخ العراق.

الفصل الثامن: "لحظة الحسم: ثورة الشعب تحت حماية الجيش وحشد العتبات"

المنطقة الخضراء كانت تغلي كالمرجل، على وشك الانفجار. المتظاهرون على أهبة الاستعداد، يحيطون بأسوارها، يهتفون بشعارات الحرية والعدالة، لكن أحداً لم يكن يتوقع أن يكون الحسم بهذا الشكل. خلف الأسوار، كانت القوات الحكومية والميليشيات تتحصن، مستعدة للدفاع حتى آخر رمق. الجميع يعلم أن هذه اللحظة ستحدد مصير الثورة.

فجأة، وفي خضم هذا التوتر المتصاعد، جاء ما لم يكن بالحسبان. بدأ هدير الدبابات يتردد في الأفق، لم تكن أصوات تهديد، بل أصوات أمل. الجيش العراقي يتقدم نحو المنطقة الخضراء، ولكن ليس لقمع المتظاهرين، بل لحمايتهم. كان هذا التدخل العسكري مدفوعاً برغبة قوية في استعادة هيبة الجيش العراقي، الذي كان قد تعرض للانكسار والإذلال في حقبة صدام وبعد الغزو الأمريكي في ٢٠٠٣. كانت هذه اللحظة فرصة تاريخية للجيش لإعادة بناء سمعته كقوة تحمي الشعب وتدافع عن الوطن.

من كل مداخل المنطقة الخضراء، ظهرت القوات العراقية النظامية، تتقدم بخطى ثابتة نحو الأسوار، رافعة العلم العراقي عالياً. الجنود كانوا يتقدمون صفًا بعد صف، ودباباتهم تمهد الطريق أمامهم. لم يكن في نيتهم مواجهة الشعب، بل كانوا هناك لحمايته من أي محاولة لقمع ثورته. كانت هذه اللحظة بمثابة إعلان واضح: الجيش يقف إلى جانب الشعب.

كان الجنود الذين تقدموا نحو المتظاهرين يشعرون بمزيج من الفخر والرهبة. بالنسبة لهم، لم يكن هذا مجرد تدخل عسكري، بل كان فرصة لإثبات أن الجيش العراقي لا يزال قوة يمكن الاعتماد عليها. كانت هذه فرصة للجيش ليستعيد كرامته بعد سنوات من التراجع والانكسار. رفع أحد الجنود يده في إشارة ترحيب، وعندما قابله زياد، لم يتمالك نفسه من العناق. كانت هذه اللحظة أكثر من مجرد التقاء، كانت ولادة جديدة لروح وطنية تجمع بين الجيش والشعب.

لم يقتصر التحول على تدخل الجيش. في تلك اللحظات الحاسمة، بدأت الأخبار تتوالى عن دخول "حشد العتبات" إلى الساحة. هذا الحشد، الذي تأسس تحت لواء المرجعية الدينية العليا، جاء استجابة لفتوى صادرة من المرجعية تدعو إلى حماية المتظاهرين وملاحقة الميليشيات التي قهرت الشعب. كانت الفتوى بمثابة ضوء أخضر لحشد العتبات للتحرك، لتحمي إرادة الشعب وتطارد الميليشيات التي كانت تمارس القمع.

الميليشيات، التي كانت تشعر بالتهديد مع وصول الجيش، بدأت ترتبك عندما رأت حشد العتبات يتقدم نحوها. كان دخول حشد العتبات تحت فتوى المرجعية يضفي شرعية إضافية

على تحركهم، ويزيد من قوة الضغط على الميليشيات. الميليشيات التي كانت بالأمس تفرض سيطرتها على المنطقة الخضراء، كانت الآن تجد نفسها في مواجهة قوى لا تستطيع الوقوف أمامها.

المواجهات بين الميليشيات وحشد العتبات كانت شرسة. بعض عناصر الميليشيات كانوا يستعدون للقتال حتى النهاية، لكن عندما رأوا حشد العتبات يتقدم، ومعه دعم واضح من المرجعية، بدأت الخيانة تتسلل إلى صفوفهم. الانشقاق كان وشيكًا؛ لم يعد الجميع راغبين في القتال، خاصةً بعد أن أدركوا أن ما كانوا يعتقدونه قوة قد بدأ يتهاوى.

في تلك اللحظات المصيرية، كان الانشقاق يتزايد بين صفوف الحشد. بعض المقاتلين، الذين رأوا معاناة الشعب وعاشوا شعوراً بالذنب تجاه أفعالهم السابقة، بدأوا بإلقاء أسلحتهم وانضموا إلى صفوف حشد العتبات. كانوا يدركون أن استمرارهم في صفوف الميليشيات لن يؤدي إلا إلى المزيد من الدمار، وأن الوقت قد حان لاختيار الجانب الصحيح.

رأى أحد عناصر الحشد، وهو شاب بالكاد تجاوز العشرين، مشهد امرأة تجر ابنها الجريح على الأرض، تحاول يائسة إنقاذه. لحظة من الصمت اجتاحت روحه. كيف وصل إلى هنا؟ كيف أصبح جزءاً من هذا القمع؟ بتردد، ألقى بسلاحه على الأرض. نظر إلى السماء، كأنه يبحث عن إجابة، ثم اتجه نحو حشد العتبات. كان يعلم أنه لم يعد يستطيع الاستمرار في هذا الطريق. كانت عيناه تملؤهما الدموع وهو يسير نحو إخوانه الجدد، يعلم أن هذه اللحظة هي التي ستحدد مستقبله.

مع انسحاب الميليشيات وتراجع قوات الحكومة المتحالفة معها، بدأت أبواب المنطقة الخضراء تُفتح على مصراعيها أمام المتظاهرين. كانت لحظة لا توصف، لحظة انتصار شعبي لم يكن أحد يتوقع أن يحدث بهذه السرعة. المتظاهرون، الذين كانوا يحيطون بأسوار المنطقة الخضراء، بدأوا يتدفقون إلى داخلها، يرفعون الأعلام، يهتفون بصوت واحد: "الشعب يريد إسقاط النظام"!

الهدير الهائل للجموع التي تتدفق نحو الخضراء كان يشبه الموجة التي تكتسح كل شيء في طريقها. كان هدير الدبابات يرافقهم، وكأنه يحمي هذه اللحظة التاريخية من أي محاولة لإفسادها. كانت الأصوات تتعالى مع كل خطوة جديدة، مختلطة بهتافات النصر وبكاء الفرح الذي غمر العديد من المشاركين.

رغم الدمار الذي تركته الاشتباكات، ورغم أن المنطقة الخضراء بدت وكأنها كانت محصنة إلى الأبد، كان الآن جليًا أن الشعب قد استعادها. كانت العيون تتجه نحو المستقبل، بحذر

وتوقع. لم يكن أحد يعلم ما الذي سيأتي بعد هذه اللحظة، لكن الجميع كانوا يعرفون أن التاريخ قد بدأ يكتب من جديد.

الهتافات كانت تتردد في الهواء، تمزج الفرح بالخوف من المستقبل، ترفع الأعلام عالياً فوق رؤوس الجميع. كانت الخضراء، التي كانت دائمًا حصنًا للسلطة، تحتضن الآن إرادة الشعب، لكن الرحلة لم تنتهِ بعد. الطريق لا يزال طويلاً، لكن الأمل كان قد وُلد من جديد.

الفصل التاسع: "الهروب الكبير: انهيار الحكومة وفرار الفاسدين"

مع دخول المتظاهرين إلى المنطقة الخضراء، بدأت تلوح في الأفق معالم انهيار السلطة. كانت الأرض تهتز تحت أقدام المسؤولين الذين كانوا حتى لحظات قليلة يعتقدون أنهم يسيطرون على البلاد. تحولت المنطقة الخضراء، التي كانت رمزاً للقوة، إلى ساحة للفوضى، حيث كانت الأخبار تتسرب عن هروب المسؤولين الكبار، الذين أدركوا أن قبضتهم على السلطة قد تلاشت، وأن وقت الحساب قد دنا.

في سماء بغداد، كانت المروحيات العسكرية تحلق بسرعة، تحمل في جوفها رموز النظام الذين طالما تسلطوا على رقاب الناس. كانت هذه الطيور الحديدية تخترق السماء، تحاول الهروب من غضب الشعب الذي ملأ الأرض. في داخل تلك المروحيات، كان المسؤولون يجلسون متجهمين، ووجوههم الشاحبة تعكس حالة من الهلع واليأس.

أحد المسؤولين، وقد ارتسمت على جبينه خطوط من العرق البارد، كان يضغط على هاتفه المحمول بيدين مرتعشتين، محاولا الاتصال بأسرته. عيناه، المثقلتان بالخوف، كانت تتحركان بين زملائه الذين يشاركونه نفس المصير وبين الأفق الذي يبتعد عنهم. كان يشعر أن الهواء داخل المروحية قد أصبح ثقيلا، وأن دقات قلبه تتسارع، وكأنها تلاحقها عيون الشعب التي تركها خلفه.

في الوقت ذاته، وعلى ضفاف نهر دجلة، كانت قوارب سريعة تستعد للإبحار. مسؤولون آخرون، قرروا الهروب عبر المياه، ظانين أن هذا المسار سيكون أقل مراقبة. الحقائب المحملة بالأموال والأسرار كانت تحمَل على عجالة، وكانت القوارب تشق طريقها عبر المياه المضطربة. لكن حتى وهم في وسط النهر، كانوا يشعرون بأن أعين الشعب تراقبهم، بأن الموجات التي ترتفع حولهم تحمل في طياتها غضب الأمة الذي لن يغفر.

بينما كانت القوارب تنطلق بسرعة، لمح أحد المتظاهرين في آخر قارب وجهًا مألوفًا. كان ذلك أحد المسؤولين الذين طالما جلسوا في مكاتبهم الفاخرة، بعيدًا عن هموم الناس. رفع يده محاولا تحذير رفاقه، لكن القارب كان قد انطلق بسرعة، تاركًا خلفه أمواجًا من الغضب.

في زاوية مظلمة من المنطقة الخضراء، كان أحد المسؤولين يقف أمام مرآة، يتفحص مظهره الجديد. لقد اختار الهروب بالتنكر، بزي امرأة، محاولا التسلل بين الحشود المتظاهرة. العرق يتصبب من جبينه تحت العباءة السوداء، لكنه كان يعلم أن هذا هو خياره الأخير. وبينما كان يمشي بخطوات مترددة، كانت عيناه تتحركان يمينًا ويسارًا، يبحث عن طريق آمن، عن مخرج من هذا الجحيم.

مسؤول آخر، وقد ارتدى زي متظاهر عادي، كان يحاول الاندساس بين الجموع، يرفع شعارات الثورة بيدين مرتجفتين. كان يحاول أن يخفي ذعره خلف القناع الذي لبسه على عجل. عيناه المليئتان بالخوف كانتا تتبعان كل حركة، كل همسة، وكأن الزمن قد توقف بالنسبة له، وكأن العالم كله يراقب هروبه.

في مكان آخر، كان مسؤول معروف بجبنه، يختار الهروب بزي عامل نظافة. كان يمسك بمكنسة قديمة، محاولا إخفاء وجهه، لكنه لم يكن يعلم أن عيون المتظاهرين كانت تراقبه. وبينما كان يحاول الهروب من باب خلفي، تمزقت قبعته وسقطت، كاشفة عن هويته الحقيقية. التفت إليه الأنظار، وعلم حينها أن لعبته قد انتهت.

في عمق المنطقة الخضراء، حيث تتشابك الممرات السرية، كان بعض المسؤولين يسيرون بخطى متسارعة في الظلام. هذه الأنفاق، التي كانت يومًا ما ممرات آمنة، أصبحت الآن ممرات للخيانة والهروب. كانوا يسيرون بخطى مترددة، يحاولون الهروب من مصيرهم الذي يقترب بسرعة.

أحدهم، وقد بلغ نهاية النفق، وجد نفسه أمام طريق مسدود. تراجع بخوف، لكن الوقت كان قد فات. كان يسمع أصوات الأقدام تقترب منه. لم يكن هناك مكان للاختباء، ولم يكن هناك مفر من المصير الذي ينتظره.

مع تزايد هروب المسؤولين، بدأت الحكومة تتفكك أمام أعين الشعب. لم يعد هناك قائد، ولم يعد هناك تنظيم. انسحبت القوات الأمنية المتبقية، تاركة المباني الحكومية خاوية. الأوراق كانت تتطاير في الهواء، والمكاتب الفاخرة كانت مهجورة. كان المشهد داخل المنطقة الخضراء يعكس فوضى انهيار نظام حكمت به يد من حديد لعقود.

وفي وسط كل هذه الفوضى، كان زياد يقف مراقبًا، عيناه تتبعان الهاربين. رأى المروحيات تقلع، ورأى القوارب تنطلق، ورأى المسؤولين يتسللون عبر الطرق الملتوية. كان يعلم أن هذه اللحظة هي التي انتظرها لسنوات. كانت الابتسامة ترتسم على وجهه ببطء، وكأنها تجسد انتصاراً تحقق بعد طول انتظار.

هذه اللحظة لم تكن مجرد انتصار سياسي، بل كانت انتصاراً للعدالة. كانت عيناه تلمعان بإحساس عميق بالرضا. لم يكن الأمر فقط سقوط حكومة، بل كان سقوط نظام كامل، نظام من الظلم والفساد.

زياد كان يعلم أن هؤلاء الفاسدين، الذين هربوا اليوم، لن يفلتوا من قبضة العدالة. قد يكونون قد نجحوا في الهروب الآن، لكن الشعب لن ينسى، والتاريخ لن يغفر. كان يعرف أن العدالة ستلاحقهم أينما ذهبوا، وأن مصيرهم المحتوم سيلحق بهم، حتى لو استغرق الأمر وقتًا..

الفصل العاشر: "فرحة التحرير: تجول في المنطقة الخضراء واحتفالات الشعب"

بعد الهروب الكبير والانهيار التام للحكومة، تدفق المتظاهرون إلى المنطقة الخضراء كالموج الجارف، وكأنهم نهر من العزم والإرادة التي لا تقهر. كانت أبوابها، التي ظلت مغلقة لعقود، مفتوحة الآن أمام الشعب الذي استعاد كرامته بعد نضال مرير. تحت أشعة الشمس الساطعة، بدت المباني الشامخة كأنها تحاول إخفاء أسرارها، لم تعد كالرموز المخيفة التي عرفها الشعب، بل كأطلال تذكّرهم بتاريخ من الظلم والطغيان. اليوم، أصبحت هذه المباني ككتب مفتوحة، تنتظر من يَقرأ سطورها ويعيد كتابة التاريخ من جديد.

في قلب المنطقة الخضراء، وقف القصر الجمهوري بشرفاته الرخامية وأبوابه الثقيلة. هذا القصر، الذي كان يومًا رمزًا للقوة المطلقة، تحول إلى معلم يجسد ذاكرة الجماهير وتطلعاتهم. دخل المتظاهرون إلى القصر بخطوات بطيئة، يملأهم مزيج من الدهشة والرهبة. كانت كل خطوة داخل هذه الجدران تحمّلهم بعبء التاريخ، لكنها كانت أيضًا خطوة نحو التحرر من عبودية الماضي.

في ممرات القصر، التي كانت تزينها اللوحات الفاخرة والثريات المتلألئة، سار المتظاهرون بصمت. كل خطوة كانت تحمل معها رائحة الأيام الغابرة التي حكم فيها هذا القصر بمصائر الناس. كان الحذر يملأ أعينهم، لكن الخوف الذي كان يومًا يسيطر على هذه الجدران قد اختفى. اليوم، كان الناس يسيرون برؤوس مرفوعة، يلمسون الجدران بأيد كانت ترتجف يومًا من قبل، وكأنهم يقولون لهذه الجدران: "لم تعد سيدة علينا بعد الآن".

أحد المتظاهرين توقف أمام قاعة الاجتماعات الكبرى، تلك القاعة التي شهدت قرارات غيرت مصير أمة بأكملها. جلس على أحد الكراسي الفاخرة التي طالما جلس عليها من ظنوا أن بإمكانهم حكم البلاد إلى الأبد. كانت يده ترتجف وهو يلمس سطح الطاولة المصقول، ليس خوفًا، بل احترامًا لدماء الشهداء التي روت أرض هذا الوطن. رفع رأسه لينظر إلى السقف المزخرف، وتردد صدى صوت داخله، صوت الأجيال التي ضحت: "اليوم، نحن من يجلس هنا، نحن من يقرر".

في مبنى البرلمان، حيث كانت تصاغ القوانين التي أرهقت الشعب، كانت القاعات والمكاتب تغص بالمتظاهرين. كانت الأوراق مبعثرة على الطاولات، وكأنها شهدت الفوضى التي عمت قبل ساعات من سقوط النظام. بعض الكراسي كانت مقلوبة، وأخرى مهجورة كما تركها أصحابها الذين فروا من غضب الشعب.

وقف أحد المتظاهرين أمام منصة الخطابة في القاعة الكبرى. تلك المنصة التي كانت تعلوها أصوات كاذبة تحولت اليوم إلى منصة للصدق والحق. صرخ المتظاهر بصوت يملؤه العزم: "لقد استعدنا صوتنا! اليوم نحن من يقرر!" ارتفعت الهتافات في القاعة، وتردد صداها في الجدران المزخرفة، وكأن المبنى نفسه قد بدأ يشارك في فرحة التحرير. كانت تلك اللحظة بمثابة إعلان صريح بأن البرلمان، الذي كان يومًا أداة للظلم، قد عاد إلى أصحابه الحقيقيين.

السفارات الأجنبية، التي كانت محصنة بأسوار عالية ومحمية بحراسة مشددة، كانت تقف الآن صامتة، كأنها قلاع مهجورة تنتظر مصيرها. اقترب المتظاهرون من أسوارها ببطء، يتساءلون إن كانت هذه الحصون ستفتح أبوابها لهم أم ستظل مغلقة في وجههم. كانت الأعلام الأجنبية ترفرف بفخر فوق أسوارها، لكنها اليوم كانت تخفق بخوف، مدركة أن العراق قد تغير، وأنها لم تعد في مأمن كما كانت من قبل.

لم يكن أحد يعلم ماذا سيحدث بعد ذلك، لكن الأكيد أن السفارات كانت تدرك أن اللعبة قد تغيرت. كل شيء أصبح مختلفًا، كل حجر وكل جدار في هذه المنطقة بات يعبر عن تغيير لا رجعة فيه. لقد أدركت القوى الخارجية أن العراق الجديد لا يشبه العراق الذي عرفته في الماضي، وأن الشعب الذي انتصر اليوم لن يسمح لأحد بالتحكم بمصيره بعد الآن.

خارج المنطقة الخضراء، كانت الاحتفالات تعم جميع أنحاء العراق. من البصرة إلى الموصل، كان الشعب يخرج إلى الساحات الكبرى ليعبر عن فرحته بالنصر الذي تحقق. الشوارع كانت مكتظة بالناس، والأعلام ترفرف في الهواء، والأصوات تعلو بهتافات الحرية والكرامة، وكأن الجدران نفسها كانت تهتز تحت وطأة الفرح الذي لا يوصف.

في ساحة التحرير، القلب النابض للثورة، كانت الجماهير تتدفق كالنهر الجارف. كانت الأعلام ترفرف فوق رؤوس الناس، والأغاني الوطنية تتردد في كل زاوية. كان الشباب يتسلقون النصب التذكارية، يرفعون الأعلام بأيد مليئة بالعزم والإصرار. كانت النساء تزغردن، والدموع تلمع في عيونهن، دموع الفرحً والاعتزاز بهذا الانتصار الذي جاء بعد سنوات من المعاناة والظلم.

في وسط الساحة، كانت الأمواج البشرية تتلاحم، وكأنها تعلن وحدة الشعب الذي اجتمع على قلب واحد. كانت الساحة تتحول إلى مسرح كبير، حيث كان الجميع يؤدون دورهم في الاحتفال بالحرية المستعادة. الأطفال كانوا يركضون بين الجموع، يرفعون الأعلام الصغيرة بأيدٍ صغيرة، لكن أحلامهم كانت كبيرة، أكبر من السماء التي تظللهم.

في زاوية من الساحة، تجمع مجموعة من الشباب حول عازف ناي يعزف لحنًا حزينًا، لكنه مليء بالأمل. كانت أنغام الناي تتسلل إلى القلوب، تعبر عن مشاعر الجميع: الحزن على ما مضى، والأمل في ما هو قادم. كان الجميع يستمعون بصمت، وكأنهم يعيشون لحظة تأمل جماعية، لحظة تأمل في المستقبل الذي بدأ يتشكل أمامهم.

في الموصل، المدينة التي عانت الكثير، كانت الاحتفالات تحمل طابعًا خاصًا. خرج الناس إلى الشوارع بعد سنوات من القهر والظلم، وكأنهم يستعيدون حياتهم بعد طول غياب. كانت الموسيقى تعزف في كل مكان، والأغاني الشعبية تملأ الأجواء بالبهجة. الرجال كانوا يرقصون في دوائر كبيرة، والنساء يزغردن من الشرفات، وكأن المدينة بأكملها تنبض بالحياة من جديد.

في أحد شوارع الموصل، كان رجل مسن يقف متكئًا على عصاه، ينظر إلى الاحتفالات بعينين ممتلئتين بالدموع. كانت هذه اللحظة بالنسبة له أكثر من مجرد فرحة بالنصر، كانت استعادة لكرامة فقدها منذ سنوات طويلة. اقترب منه شاب، وقد أمسك بيده علم العراق، وقدمه له قائلاً: "هذا لك، أنت من صمدت." أخذ الرجل العلم بيدين مرتجفتين، ورفع رأسه نحو السماء، وكأنما يشكر الله على هذه اللحظة التي طال انتظارها.

في البصرة، حيث يلتقي النهر بالبحر، كانت الاحتفالات تحمل رمزية خاصة. خرج الصيادون من مراكبهم، ورفعوا الأعلام فوق زوارقهم الصغيرة، مجسدين وحدة الشعب من الجنوب إلى الشمال. كانت المدينة تتلألأ تحت أضواء الألعاب النارية التي أضاءت السماء، وكأنها تعلن للعالم أن العراق قد نهض من جديد.

على ضفاف شط العرب، كان الأطفال يركضون بفرح، يلعبون ويغنون، بينما كان الكبار يجلسون على ضفاف النهر، يتأملون المشهد بأعين حالمة. كانت هذه اللحظة بالنسبة لهم لحظة استعادة للسلام، لحظة يشعرون فيها بأنهم قد استعادوا جزءًا من وطنهم الذي فقدوه منذ زمن. في وسط البصرة، كان هناك نصب تذكاري قديم، وقف حوله الناس وهم يرفعون الأعلام، ويهتفون باسم العراق. كانت هذه اللحظة تجسيداً لوحدة الشعب، من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال.

في تلك اللحظات، كان الشعب العراقي يعيش فرحةً لم يعرف مثلها منذ زمن بعيد. كان الجميع يشعرون بأنهم استعادوا وطنهم، وأنهم أصبحوا جزءًا من تاريخ جديد يُكتب بأيديهم. كانت الساحات تعج بالناس، والأصوات تعلو بهتافات الحرية والكرامة، لكن

الأهم من ذلك كله ، كان هناك شعور عميق بالوحدة ، بالانتماء إلى وطن واحد ، بغض النظر عن الطوائف أو الأعراق .

كان زياد ، الذي وقف وسط هذه الساحات ، يراقب هذا المشهد بعينين مليئتين بالفخر والدهشة . كان يعرف أن الطريق لم ينته بعد ، وأن هناك الكثير من العمل الذي ينتظرهم ، لكن في هذه اللحظة ، كان بإمكانه أن يشَعر بالرضا ، أن يشعر بأنهم قد وضعوا أولى لبنات الحرية . كان هذا اليوم هو يوم العراق ، يوم الانتصار ، يوم الشعب .

بينما كان زياد يراقب الاحتفالات ، كان يشعر بأن هذا النصر لم يكن مجرد انتصار على الفساد والطغيان ، بل كان انتصاراً للروح العراقية التي ظلت صامدة رغم كل التحديات . كان يرى في عيون الناس بريق الأمل ، بريق الثقة بمستقبل أفضل . لم يكن الأمر مجرد استعادة للمنطقة الخضراء ، بل كان استعادة للكرامة ، استعادة للهوية التي حاول الكثيرون طمسها .

في هذه اللحظة ، أدرك زياد أن الشعب العراقي قد نهض من جديد ، وأنه لن يعود إلى الوراء أبدًا . كان يعرف أن التحديات لم تنته ، وأن الطريق إلى الحرية الكاملة لا يزال طويلاً ، لكن كان هناك شعور عميق بأنهم قد بدأوَا السير في الاتجاه الصحيح . كانت هذه اللحظة بداية لشيء أكبر ، لشيء أعظم . كانت بداية لعراق جديد ، عراق ينهض من تحت الرماد ، ينهض بشعبه ، ويستعيد مكانته بين الأمم .

زياد ، الذي وقف على تلة صغيرة تطل على الساحة المليئة بالناس ، أخذ نفسًا عميقًا وشعر بريح الحرية تلفح وجهه . كانت ابتسامة خفيفة ترتسم على شفتيه ، ليست ابتسامة انتصار فقط ، بل ابتسامة رضا وأمل . في تلك اللحظة ، لم يكن زياد وحده من شعر بهذا الشعور ، بل كان كل عراقي في تلك الساحات يشعر بنفس الشعور . كانت هذه اللحظة لحظة تاريخية ، لحظة سيذكرها التاريخ بأنها اللحظة التي استعاد فيها الشعب العراقي زمام الأمور ، وأعاد بناء وطنه بيديه .

القسم الأخير

خطاب الانتصار: زياد يستذكر الشهداء ويخاطب الأمة"

بعد أيام وليال من النضال المستمر واحتفالات اجتاحت كل زاوية في البلاد، حلَّ الهدوء على الساحات. الهَواء كان مشبعًا برائحة الدخان اَلذي خلفته النيران الصغيرة التي أُضرمت خلال الاحتفالات، ومزيج من العرق، الفرح، والأمل الذي يملأ المكان. وقف الجميع في انتظار، وكأن العالم كله قد توقف للحظة واحدة، لحظة حبس الأنفاس التي تسبق الكلام العظيم. كانت الساحات الواسعة، التي غصت بالجماهير، تتأهب لسماع كلمات تنتظرها منذ سنوات طويلة.

في وسط ساحة التحرير، نُصبت المنصة التي ستشهد الخطاب المنتظر. لم تكن منصة فاخرة، بل كانت بسيطة تعكس روح الثورة وروح الشعب الذي لم يطلب أكثر من العدل والكرامة. الأضواء كانت موجهة نحو تلك المنصة، وكأنها بقعة ضوء تُفرغ من الظلام الذي خيم على البلاد لعقود، لتصبح نقطة انطلاق نحو مستقبل مشرق.

على جانبي المنصة، تجمعت وسائل الإعلام العالمية، عدساتها مسلطة على زياد، القائد الذي قاد الثورة من الظلام إلى النور. كانت الكاميرات تستعد لبث هذه اللحظة إلى العالم، لحظة انتصار الشعب، لحظة استعادة الكرامة.

صعد زياد إلى المنصة بخطوات واثقة، لكن في عينيه كان هناك ثقل السنوات التي عاشها هو وشعبه تحت وطأة الظلم. كانت عيناه تلمعان ببريق الأمل، لكنه كان أيضًا بريق المسؤولية التي ألقتها الثورة على كتفيه. وقف في مواجهة الناس الذين تجمعوا في الساحة، وآلاف غيرهم الذين تجمعوا في ساحات أخرى، في انتظار ما سيقوله.

في تلك اللحظة، ساد صمت مهيب. لم يكن هناك صوت سوى صوت الريح التي تحركت بخفة بين الناس، وكأنها تهمس في آذانهم: "اسمعوا، هذه هي لحظتكم." الجميع كانوا يعلمون أن ما سيقوله زياد في هذه اللحظة سيكتب في صفحات التاريخ، وأن كلماته ستحمل معاني النصر والمستقبل.

زياد أخذ نفسًا عميقًا، شعر بثقل اللحظة، لكنه كان يعرف أن هذه اللحظة ليست له وحده، بل هي لكل الشعب. كانت يداه ممدودتين إلى الأمام، كأنه يستدعي الأرواح التي فقدها في المعركة، أولئك الذين لم يشهدوا هذه اللحظة، لكنه كان يعلم أنهم هنا بروحهم.

كانت الجماهير تحدق فيه بعينين ممتلئتين بالتوقعات ، وفي تلك اللحظة ، شعر الجميع بأن الزمان قد توقف. لم يكن هناك شيء سوى هذا الرجل ، وهذه اللحظة ، وهذا الصمت الذي كان يحمل في طياته كل ما عاشه الشعب من آلام وأحلام.

خطاب زياد:

زياد بدأ حديثه بصوت هادئ ، لكنه كان يحمل في نبرته ثقل السنين وصدى المعارك :

"يا أبناء العراق العظيم ، يا من صمدتم وناضلتم وواجهتم كل أشكال الظلم والطغيان ، اليوم ، أقف أمامكم لا كقائد ، بل كأخ ، كواحد منكم ، كإنسان عاش ما عشتموه ، وشعر بما شعرتم به".

توقف للحظة ، يراقب تعابير الوجوه التي أمامه ، ثم تابع :

"لقد كانت رحلتنا طويلة وشاقة. لقد مررنا بظلام دامس ، لكنكم لم تستسلموا. كانت قلوبكم هي النور الذي أضاء طريقنا ، وكان إيمانكم هو السلاح الذي هزم كل الطغاة".

زياد أغمض عينيه للحظة ، كأنه يستجمع قوته ، ثم فتحها وقال بصوت ملؤه العزم :

"هذا الانتصار ليس لي ، وليس لأي فرد أو جماعة. هذا الانتصار هو انتصار للعدالة ، للحرية ، للكرامة. هو انتصار لكل أم بكت على ابنها ، لكل أب فقد رجولته تحت وطأة الظلم ، لكل طفل حلم بمستقبل أفضل".

في تلك اللحظة ، رأى زياد الدموع تلمع في أعين الناس ، لكنه كان يعلم أن هذه الدموع لم تكن دموع حزن ، بل دموع فرح ممزوجة بالألم. كان يعلم أن هذه اللحظة هي لحظة فرح وانتصار ، لكنها أيضًا لحظة بداية ، بداية لطريق جديد.

"يا أبناء العراق ، اليوم نقف على أعتاب مستقبل جديد. لقد استعدنا وطننا ، لكن الأهم من ذلك ، لقد استعدنا كرامتنا. هذا اليوم هو يومكم ، هذا اليوم هو اليوم الذي أثبتم فيه للعالم كله أن الشعب العراقي لا يُقهر ، وأن الحق لا يُهزم".

زياد نظر إلى الكاميرات التي تنقل كلماته إلى العالم ، وتابع :

"إلى العالم أجمع ، نحن هنا اليوم لنقول لكم إننا شعب يحب السلام ، لكنه لا يقبل الظلم. نحن شعب يمد يده بالخير ، لكنه لن يتردد في حماية كرامته. نحن شعبٌ يؤمن بأن الحق لا بد أن ينتصر ، وأن الظلم لا بد أن يزول".

ثم خفض زياد صوته قليلا ، وكأنما يخاطب كل شخص في الساحة بشكل فردي :

"لكن هذا الانتصار ليس نهاية الطريق ، بل هو بدايته . اليوم نحتفل ، وغداً نعمل . اليوم نرفع الأعلام ، وغداً نزرع الأمل . اليوم نقول للعالم إن العراق قد نهض ، وغداً نبني العراق الجديد الذي نحلم به" .

توقف زياد للحظة ، ليمنح الجميع فرصة لاستيعاب كلماته . ثم تابع بصوت أكثر حزمًا :

"أيها الشعب العظيم ، لقد أثبتم اليوم أنكم قادرون على صنع المعجزات ، لكن المهمة لم تنته بعد . علينا أن نحافظ على وحدتنا ، أن نحمي مكتسباتنا ، وأن نواصل السير نحو مستقبلَ أفضل . علينا أن نضمن أن تظل الثورة نقية ، وأن نبني عراقًا يليق بتضحياتكم" .

زياد شعر أن الجماهير تترقب ، تنتظر كلمة أخيرة تحمل كل معاني النصر والأمل . في تلك اللحظة ، ارتفعت عيون الجميع نحو السماء ، وكأنها تستحضر أرواح الشهداء الذين فقدوا في سبيل هذا اليوم .

رفع زياد يديه نحو السماء ، وأغمض عينيه للحظة كأنه يستدعي الأرواح التي رحلت ، وقال بصوت مشبع بالخشوع :

"إلى أرواح الشهداء ، إلى كل من قدموا حياتهم في سبيل هذه اللحظة ، نحن هنا بفضل تضحياتكم . أنتم لم ترحلوا ، أنتم هنا معنا في كل لحظة ، في كل نفس . اليوم ، نحن نحقق ما حلمتم به ، ما ناضلتم من أجله ، وما قدمتم حياتكم في سبيله . لن ننساكم أبداً ، وستظل ذكراكم محفورة في قلوبنا ، وفي قلب هذا الوطن الذي نهض بفضل دمائكم" .

في تلك اللحظة ، انهمرت الدموع من عيون الكثيرين في الحشود . كان الجميع يشعرون بأن أرواح الشهداء تحلق فوق الساحة ، تبارك هذا النصر ، وتؤكد أن تضحياتهم لم تذهب سدى .

زياد أنهى خطابه بخاتمة تحمل في طياتها الأمل والمستقبل :

"أقول لكم اليوم ، ارفعوا رؤوسكم ، كونوا فخورين بأنكم أبناء هذا الوطن ، كونوا فخورين بأنكم جزء من هذه الثورة ، كونوا فخورين بأنكم صنعتم هذا النصر . لقد انتصرنا ، وسنظل منتصرين ، ما دمنا متوحدين ، ما دمنا متمسكين بالحق ، ما دمنا نؤمن بأنفسنا وبوطننا" .

مع نهاية كلماته، اندلعت الهتافات من كل حدب وصوب. كانت الهتافات تحمل في طياتها فرحة النصر، وعزيمة المستقبل. وفي تلك اللحظة، عرف زياد أن الثورة لم تنتصر فقط على الأرض، بل انتصرت في القلوب والعقول.

وسائل الإعلام العالمية كانت تبث هذه اللحظة إلى كل ركن من أركان العالم. كان الجميع يشاهدون هذه اللحظة التاريخية، لحظة انتصار الشعب العراقي، لحظة استعادة الكرامة، لحظة بدء البناء من جديد.

زياد نزل عن المنصة ببطء، لكن بخطوات واثقة. كان يعلم أن الطريق لا يزال طويلاً، لكن اليوم، كانت أولى خطواته قد بدأت. كان يعرف أن ما حققوه اليوم هو أعظم من مجرد إسقاط نظام، إنه إعادة بناء وطن. ومع كل خطوة كان يأخذها بين الناس، كان يشعر بثقل المسؤولية، لكنه كان يعرف أيضًا أن الشعب الذي وقف بجانبه اليوم، سيظل بجانبه دائمًا.

في تلك اللحظة، كان العالم كله يشهد على ولادة جديدة للعراق. ولادة جديدة للأمل، ولادة جديدة للحرية. ومع نهاية الخطاب، كان العراق قد بدأ أولى خطواته نحو المستقبل، مستقبل يصنعه شعبه بيديه، وينير طريقه بدماء شهدائه.

انتهت